

قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا

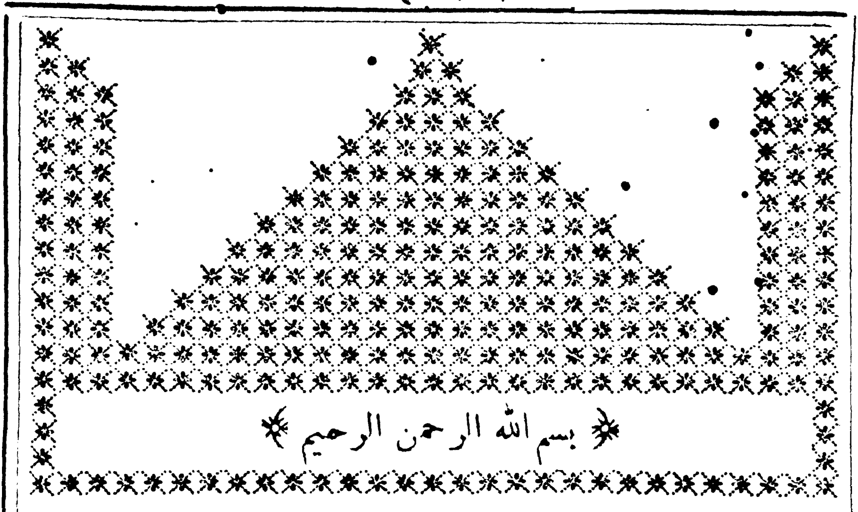
٣٤٢

﴿ كتاب الروح ﴾

في الكلام على ارواح الاموات والاحياء بالدلائل
من الكتاب والسنة والاثار واقوال العلماء
الاخيار لشيخ الاسلام شمس الدين ابي عبدالله
محمد الشهير بابن قيم الجوزية الحنبلي
الدمشقي المتوفى سنة (٧٥١)
قدس الله روحه ونور
ضريحه

الطبعة الاولى
بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة بمحروسة
حيدر اباد الدكن عمرها الله الى اقصى الزمن
سنة (١٣١٨) هجرية





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتصف بصفات الكمال * المنعوت بنعوت الجلال * الذي علم ما كان وما يكون وما هو كائن في الحال والمآل * وحكم بالموت على كل ذي روح من مخلوقاته * وساوى فيه بين الملك والمملوك والغني والفقير والشريف والضعيف والعاصي والمطيع من سكان ارضه وسمواته * فهو اول عدل الاخرة بين برياته * قبض روح هذا بعدما عمر الدنيا وزخرف البناء وتوطنها واتخذها لجسمه وطنا * وقبض روح الاخر الذى اجتهد فى اصلاح آخرته وجعل الدنيا جنة واتخذ صالح الاعمال فيها سفنا * فشتان ما بين خروج الروحين من الجسدين هذه لها السعادة والهنا * وتلك لها الخيبة والشقاوة والعنا * هذه ترتع في رياض الجنة وتاوى الى قناديل معلقة في العرش في لذة ونعيم * وتلك محبوسة تعذب فى نار الجحيم * واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اله تحبب الى عباده بنعمه والائه * وابتدأهم سبحانه وتعالى

باحسانه العميم وعطائه * فمعاذ ابعزته جل جلاله ان يختم بالاساءة وقد بدأنا بالاحسان * فله سبحانه الحمد والشكر والنعمة والفضل والخلق والامر والثناء الحسن الجميل والامتنان * واشهد ان محمد اصلوات الله وسلامه عليه عبده ورسوله الطيب الروح والجسد * سيد ولد آدم وافضل من قام وركع وسجد * الذى انزل عليه في كتابه العزيز ومن اصدق من الله قيلا * ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا * وعلى آله وصحبه خير القرون الذين اهتدوا وما بدلوا تبديلا * صلوة دائمة بدوام السموات والارض * الى ان يرث الله سبحانه وتعالى الارض ومن عليها للحساب والعرض * وسلم تسليما كثيرا * وبعد * فهذا كتاب عظيم النفع جليل القدر كثير الفائدة ما صنف مثله فى معناه * فلا تكاد تجد ما تضمنه من بدائع الفوائد وفرائد القلائد في كتاب سواه * ويشتمل على جملة من المسائل تتضمن الكلام على ارواح الاموات والاحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والاثار واقوال العلماء الاخيار لا ادري اسئل مصنفه قدس الله روحه عنها فاجاب * ام سئل عن البعض ولكن هو اطال الخطاب * فاني رأيته مجردا عن خطبة وسوال اصلا مبتدأ فيه بقوله * اما المسئلة الاولى هل تعرف الاموات بزيارة الاحياء ام لا * فاحببت بعد استخارة الله سبحانه وتعالى ان افتتحه بهذه الخطبة المباركة العظيمة * لكونه كتابا في ضمن مسائله التى تتاملها وتشاهدها كل درة يتيمة * لينشرح صدر الناظر فيه * ولتقوى همته على النظر في بدائع فوائده

ودقائق معانيه * والله سبحانه وتعالى المسئول المرجو الاجابة ان يعصمنا من الزيغ والزلل * وان يوفقنا لصالح النية والقول والعمل * وان يرفع درجات مؤلفه في جنات النعيم * وان ينفع به الناظر فيه انه سميع عليم * انه على كل شئ قدير * وبالاجابة جدير * وهو حسبنا ونعم الوكيل * قال الشيخ الامام العالم العامل ترجمان القران * ذو الفنون الحسان * شيخ الاسلام قدوة الانام اوحد الحفاظ * فارس المعاني والالفاظ * علامة العلماء وارث الانبياء عمدة المفسرين بقية المجتهدين شمس الدين ابو عبد الله محمد بن الشيخ الامام العالم العامل شرف الدين ابي بكر بن الشيخ الكبير ايوب بن سعد الشهير بابن قيم الجوزية الحنبلي الدمشقي قدس الله تعالى روحه ونور ضريحه * وجعل ابواب الجنان بين يديه مفتوحة * ولسائر علماء الاسلام * الجهابذة النقاد الاعلام * امين وصلى الله على سيدنا محمد سيد الاولين والاخرين واله وصحبه اجمعين

* اما المسئلة الاولى وهي هل تعرف الاموات بزيارة الاحياء وسلامهم ام لا *

المسئلة الاولى في معرفة الاموات بزيارة الاحياء وسلامهم

فقال ابن عبد البر ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم يمر على قبر اخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الارد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام * فهذا نص في انه يعرفه بعينه ويرد عليه السلام وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة انه امر بقتلى بدر فالقوا في قليب ثم جاء حتى وقف عليهم وناداهم باسمائهم

يا فلان ابن فلان و يا فلان ابن فلان هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا فقال له عمر يا رسول الله ما تخاطب من اقوام قد جيفوا فقال والذي بعثني بالحق ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جوابا * وثبت عنه صلى الله عليه وسلم ان الميت يسمع قرع نعال المشيعين له اذا انصرفوا عنه * وقد شرع النبي صلى الله عليه وسلم لامته اذا سلموا على اهل القبور ان يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول السلام عليكم دار قوم مومنين وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بان الميت يعرف بزيارة الحي له ويستبشر به قال ابو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن ابي الدنيا في كتاب القبور باب معرفة الموتى بزيارة الاحياء ثنا محمد بن عون ثنا يحيى بن يمان عن عبد الله بن سمعان عن زيد بن اسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الا استانس به ورد عليه حتى يقوم * ثنا محمد بن قدامة الجوهري ثنا معن ابن عيسى القزاز اخبرنا هشام بن سعد ثنا زيد بن اسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اذا مر الرجل بقبر اخيه يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام * ثنا محمد بن الحسين حدثني يحيى بن بسطام الاصغر حدثني مسمع حدثني

رجل من آل عاصم الجحدري قال رأيت عاصما الجحدري في منامي بعد موته بسنتين فقلت اليس قد مت قال بلى قلت فاين انت قال انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله المزني فنتلقى اخباركم قال قلت اجسادكم ام ارواحكم قال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قال قلت فكيف ذلك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمته * وحدثنا محمد بن الحسين حدثني بكر بن محمد ثنا حسن القصاب قال كنت اغدو مع محمد بن واسع في كل غداة سبت حتى ناتي الجبان فنقف على القبور فنسلم عليهم وندعو لهم ثم ننصرف فقلت ذات يوم لو صيرت هذا اليوم يوم الاثنين قال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبلها ويوما بعدها * حدثني محمد ثنا عبد العزيز بن ابان قال ثنا سفيان الثوري قال بلغني عن الضحاك انه قال من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته فقيل له وكيف ذاك قال لمكان يوم الجمعة * حدثنا خالد بن خداش ثنا جعفر بن سليمان عن ابي التياح قال كان مطرف يغدو فاذا كان يوم الجمعة ادلج قال وسمعت ابا التياح يقول بلغنا انه كان ينور له في سوطه فاقبل ليلة حتى اذا كان عند المقابر يقوم وهو على فرسه فرأى اهل القبور كل صاحب قبر جالسا على قبره فقالوا هذا

مطرف ياتى الجمعة قلت و تعلمون عند كم يوم الجمعة قالوا نعم وتعلم
مايقول فيه الطير قلت ومايقولون قالوا يقولون سلام سلام * حدثني
محمد بن الحسين حدثني يحيى بن ابى بكير حدثني الفضل بن موفق
ابن خال سفيان بن عيينة قال لما مات ابي جزعت عليه جزعا شديدا
فكنت آتى قبره فى كل يوم ثم قصرت عن ذلك ماشاء الله ثم انى اتيته
يوما فبينا انا جالس عند القبر غلبتنى عيناي فنمت فرأيت كان قبر ابى
قد انفرج وكانه قاعد فى قبره متوشحا اكفانه عليه سحنة الموتى قال
فكانى بكيت لما رأيته قال يابنى ما ابطأ بك عنى قلت وانك لتعلم بمجيئى
قال ماجئت مرة الا علمتها وقد كنت تاتينى فآنس بك فاسربك ويسر
من حولى بدعائك قال فكنت آتيه بعد ذلك كثيرا * حدثني محمد
حدثني يحيى بن بسطام حدثني عثمان بن سودة الطفاوى قال
وكانت امه من العابدات وكان يقال لها راهبة قال لما احتضرت
رفعت راسها الى السماء فقالت يا ذخرى وذخيرتى ومن عليه
اعتمادي فى حياتى وبعد موتى لا تخذلني عند الموت ولا توحشني
فى قبرى قال فماتت فكنت آتيها في كل جمعة فادعو لها واستغفر
لها ولاهل القبور فرأيتها ذات يوم في منامى فقلت لها يا امه كيف
انت قالت اى بنى ان للموت لكربة شديدة واني بحمد الله لفى
برزخ محمود نفترش فيه الريحان ونتوسد فيه السندس والاستبرق
الى يوم النشور فقلت لها الك حاجة قالت نعم قلت وماهي قالت

لا تدع ما كنت تصنع من زيارتنا والدعاء لنا فاني لا بشر بمجيئك يوم
الجمعة اذا اقبلت من اهلك يقال لي يا راهبة هذا ابنك قد اقبل فاسر
و يسر بذلك من حولي من الاموات * حدثني محمد بن عبد العزيز
ابن سليمان ثنا بشر بن منصور قال لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف
الى الجبان فيشهد الصلوة على الجنائز فاذا امسى وقف على باب المقابر
فقال آنس الله وحشتكم و رحم غربتكم و تجاوز عن مسيئكم و قبل
حسناتكم لا يزيد على هؤلاء الكلمات قال فامسيت ذات ليلة
و انصرفت الى اهلي و لم آت المقابر فادعو كما كنت ادعو قال فبينا
انا نائم اذا بخلق كثير قد جاؤني فقلت ما انتم و ما حاجتكم قالوا نحن
اهل المقابر قلت ما حاجتكم قالوا انك عودتنا منك هدية عند انصرافك
الى اهلك فقلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو بها قال قلت فاني
اعود لذلك قال فما تركتها بعد * حدثني محمد حدثني احمد بن سهل حدثني
رشدين بن سعد عن رجل عن يزيد بن ابي حبيب ان سليم بن عمير مر
على مقبرة و هو حاقن قد غلبه البول فقال له بعض اصحابه لو نزلت الى
هذه المقابر فبلت في بعض حفرها فبكى ثم قال سبحان الله و الله اني لاستحيي
من الاموات كما استحيي من الاحياء * ولولا ان الميت يشعر بذلك لما استحيي
منه و ابلغ من ذلك ان الميت يعلم بعمل الحي من اقاربه واخوانه قال عبد الله
ابن المبارك حدثني ثور بن يزيد عن ابراهيم عن ابي ايوب قال تعرض اعمال
الاحياء على الموتى فاذا رأوا حسنا فرحوا و استبشروا وان رأوا سوء قالوا

اللهم راجع به * وذكر ابن ابي الدنيا عن احمد بن ابي الحوارى قال حدثني محمد اخي قال دخل عباد بن عباد على ابراهيم بن صالح وهو على فلسطين فقال عظني قال بم اعظك اصلحك الله بلغني ان اعمال الاحياء تعرض على اقاربهم الموتى فانظر ما يعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك فبكى ابراهيم حتى اخضل لحيته * قال ابن ابى الدنيا وحدثني محمد بن الحسين حدثني خالد بن عمرو الاموى حدثنا صدقة بن سليمان الجعفرى قال كانت لى شرة سمجة فمات ابي فانبت وندمت على ما فرطت قال ثم زللت ايما زلة فرأيت ابي فى المنام فقال اى بني ما كان اشد فرحي بك واعمالك تعرض علينا فنشبهها باعمال الصالحين فلما كانت هذه المرة استحييت لذلك حياء شديدا فلا تخزني فيمن حولى من الاموات قال فكنت اسمعه بعد ذلك يقول في دعائه فى السحر وكان جار الي بالكوفة اسألك انابة لا رجعة فيها ولا حور يا مصلح الصالحين ويا هادى المضلين ويا ارحم الراحمين * وهذا باب فيه آثار كثيرة عن الصحابة وكان بعض الانصار من اقارب عبد الله بن رواحة يقول اللهم اني اعوذ بك من عمل اخزى به عند عبد الله بن رواحة كان يقول ذلك بعد ان استشهد عبد الله ويكفى في هذا تسمية المسلم عليهم زائرا ولولا انهم يشعرون به لما صح تسميته زائرا فان المزور ان لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح ان يقال زاره هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الامم وكذلك السلام عليهم ايضا فان السلام

على من لا يشعر و لا يعلم بالمسلم محال و قد علم النبي صلى الله عليه و سلم امتة اذا زار و االقبور ان يقولوا سلام عليكم اهل الديار من المومنين و المسلمين و انا ان شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا و منكم و المستاخرين نسأل الله لنا و لكم العافية * و هذا السلام و الخطاب و النداء لموجود يسمع و يخاطب و يعقل و يرد و ان لم يسمع المسلم الرد و اذ اصلى الرجل قريبا منهم شاهدوه و علموا صلاته و غبطوه على ذلك * قال يزيد بن هارون اخبرنا سلمان التيمي عن ابي عثمان النهدي ان ابن ساس خرج في جنازة في يوم و عليه ثياب خفاف فانتهى الى قبر قال فصليت ركعتين ثم اتكأت عليه فوالله ان قلبي ليقظان اذ سمعت صوتا من القبر اليك عني لا توذني فانكم قوم تعملون ولا تعلمون و نحن قوم نعلم و لا نعمل و لأن يكون لي مثل ركعتيك احب الي من كذا و كذا * فهذا قد علم باتكاء الرجل على القبر و بصلاته و قال ابن ابي الدنيا حدثني الحسين بن علي العجلي ثنا محمد بن الصلت ثنا اسمعيل بن عياش عن ثابت بن سليم ثنا ابو قلابة قال اقبلت من الشام الى البصرة فنزلت منزلا فتطهرت و صليت ركعتين بليل ثم وضعت راسي على قبر فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب القبر يشتكيني يقول قد أذيتني منذ الليلة ثم قال انكم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم و لا نقدر على العمل ثم قال الركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا و مافيها ثم قال جزى الله اهل الدنيا خيرا اقرأهم منا السلام فانه يدخل علينا من دعائهم نور امثال الجبال * وحدثني

الحسين العجلي ثنا عبد الله بن نمير ثنا مالك بن مغول عن منصور عن زيد
ابن وهب قال خرجت الى الجبانة فجلست فيها فاذا رجل قد جاء الى
قبر فسواه ثم تحول الي فجلس قال فقلت له ماهذا القبر قال اخ لي فقلت
اخ لك فقال اخ لي في الله رأيته فيما يرى النائم فقلت فلان عشت
الحمد لله رب العلمين قال قد قلتها لأن اقدر على ان اقولها احب الي
من الدنيا وما فيها ثم قال الم تر حيث كانوا يدفنوني فان فلانا قام فصلى
ركعتين لأن اكون اقدر على ان اصليهما احب الي من الدنيا وما فيها *
حدثني ابو بكر التيمي ثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث بن سعد حدثني
حميد الطويل عن مطرف بن عبد الله الجرشي قال خرجنا الى الربيع
في زمانه فقلنا ندخل يوم الجمعة لشهودها وطريقنا على المقبرة قال
فدخلنا فرأيت جنازة في المقبرة فقلت لو اغتنمت شهود هذه
الجنازة فشهدتها قال فاعتزلت ناحية قريبا من قبر فركعت ركعتين خففتهما
لم ارض اتقانهما ونعست فرأيت صاحب القبر يكلمني وقال ركعت
ركعتين لم ترض اتقانهما قلت قد كان ذلك قال تعملون ولا تعلمون
ولا نستطيع ان نعمل لأن اكون ركعت مثل ركعتيك احب الي من
الدنيا بحذافيرها فقلت من ههنا فقال كلهم مسلم وكلهم قد اصاب
خيرا فقلت من ههنا افضل فاشار الى قبر فقلت في نفسي اللهم ربنا
اخرجه الي فاكلمه قال فخرج من قبره فتى شاب فقلت انت افضل من
ههنا قال قد قالوا ذلك قلت فباي شيء نلت ذلك فوالله ما ارى لك ذلك

السن فاقول نلت ذلك بطول الحج والعمرة والجهاد في سبيل الله والعمل قال قد ابتليت بالمصائب فرزقت الصبر عليها فبذلك فضلتهم * وهذه المرائى وان لم تصح بمجردها لاثبات مثل ذلك فهي على كثرتها وانها لا يحصيها الا الله قد تواطات على هذا المعنى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ارى رؤياكم قد تواطات على انها في العشر الاواخر يعني ليلة القدر فاذا تواطات رؤيا المومنين على شيء كان كتواطى روايتهم له وكتواطى رائهم على استحسانه واستقباحه وما راه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما راوه قبيحا فهو عند الله قبيح على انا لم نثبت هذا بمجرد الرؤيا بل بما ذكرناه من الحجج وغيرها وقد ثبت فى الصحيح ان الميت يستانس بالمشيعين لجنازته بعد دفنه فروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الرحمن بن شماسة المهرى قال حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياق الموت فبكى طويلا وحول وجهه الى الجدار فجعل ابنه يقول ما يبكيك يا ابتاه اما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا فاقبل بوجهه فقال ان افضل ما نعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واني كنت على اطباق ثلاث لقد رأيتني وما احد اشد بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مني ولا احب الى ان اكون قد استمكنت منه فقتلته فلومت على تلك الحال لكنت من اهل النار فلما جعل الله الاسلام فى قلبي لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ابسط يدك فلأبايعك فبسط

يمينه قال فقبضت يدي قال فقال مالك يا عمرو قال قلت اردت ان اشترط قال تشترط ماذا قلت ان يغفر لي قال اما علمت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم ما كان قبله وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املأ عيني منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املأ عيني منه ولو مت على تلك الحال لرجوت ان اكون من اهل الجنة ثم ولينا اشياء ما ادري ما حالي فيها فاذا انا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فسنوا علي التراب سنا ثم اقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى استانس بكم وانظر ماذا اراجع به رسل ربي * فدل على ان الميت يستانس بالحاضرين عند قبره ويسر بهم وقد ذكر عن جماعة من السلف انهم اوصوا ان يقرأ عند قبورهم وقت الدفن قال عبد الحق يروى ان عبد الله بن عمر امر ان يقرأ عند قبره سورة البقرة وممن رأى ذلك المعلى بن عبد الرحمن وكان الامام احمد ينكر ذلك اولا حيث لم يبلغه فيه اثر ثم رجع عن ذلك وقال الخلال في الجامع كتاب القراءة عند القبور اخبرنا العباس بن محمد الدوري ثنا يحيي بن معين ثنا مبشر الحلبي حدثني عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن ابيه قال قال ابي اذا انا مت فضعني في اللحد وقل بسم الله وعلى سنة رسول الله وسن علي التراب سنا واقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها فاني سمعت عبد الله بن عمر يقول ذلك * قال عباس الدوري سألت

﴿القراءة عند القبور عقب الدفن﴾

احمد بن حنبل قلت تحفظ فی القراءة علی القبر شیئا فقال لا و سألت یحیی ابن معین فحدثنی بهذا الحدیث قال الخلال و اخبرني الحسن بن احمد الوراق ثني علي بن موسى الحداد وکان صدوقا قال کنت مع احمد بن حنبل و محمد بن قدامة الجوهري فی جنازة فلما دفن المیت جلس رجل ضریر یقرأ عند القبر فقال له احمد یاهذا ان القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد بن حنبل یا ابا عبد الله ماتقول في مبشر الحلبي قال ثقة قال کتبت عنه شیئا قال نعم قال فاخبرنی مبشر عن عبد الرحمن بن العلاء بن الحلاج عن ابیه انه اوصی اذا دفن ان یقرأ عند راسه بفاتحة البقرة و خاتمتها و قال سمعت ابن عمر یوصی بذلك فقال له احمد فارجع و قل للرجل یقرأ * و قال الحسن بن الصباح الزعفراني سألت الشافعی عن القراءة عند القبر فقال لا باس به * و ذکر الخلال عن الشعبي قال کانت الانصار اذا مات لهم المیت اختلفوا الی قبره یقرؤون عنده القران * قال و اخبرني ابو یحیی الناقد قال سمعت الحسن بن الجروی یقول مررت علی قبر اخت لی فقرأت عندها تبارك لما یذکر فیها فجاءني رجل فقال اني رأیت اختك في المنام تقول جزی الله ابا علي خیرا فقد انتفعت بما قرأ * اخبرني الحسن بن الهیثم قال سمعت ابا بکر بن الاطروش ابن بنت ابي نصر بن التمار یقول کان رجل یجیئ الی قبر امه یوم الجمعة فیقرأ سورة یس فجاء في بعض ایامه فقرا سورة یس ثم قال اللهم ان کنت قسمت لهذه السورة ثوابا فاجعله

فى اهل هذه المقابر فلما كان في الجمعة التى تليها جاءت امرأة فقالت انت فلان ابن فلانة قال نعم قالت ان بنتا لى ماتت فرأيتها في النوم جالسة على شفير قبرها فقلت ما اجلسك ههنا فقالت ان فلان ابن فلانة جاء الى قبر امه فقرأ سورة يس و جعل ثوابها لاهل المقابر فاصابنا من روح ذلك اوغفر لنا او نحو ذلك * و فى النسائي و غيره من حديث معقل بن يسار المزني عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اقرءوا يس عند موتاكم * وهذا يحتمل ان يراد به قراءتها على المحتضر عند موته مثل قوله لقنوا موتاكم لا اله الا الله ويحتمل ان يراد به القراءة عند القبر و الاول اظهر لوجوه * احدها * انه نظير قوله لقنوا موتاكم لا اله الا الله * الثاني * انتفاع المحتضر بهذه السورة لما فيها من التوحيد و المعاد والبشرى بالجنة لاهل التوحيد وغبطة من مات عليه بقوله ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربي و جعلنى من المكرمين * فتستبشر الروح بذلك فيحب لقاء الله فيحب الله لقاءه فان هذه السورة قلب القران ولها خاصية عجيبة في قراءتها عند المحتضر وقد ذكر ابو الفرج ابن الجوزى قال كنا عند شيخنا ابى الوقت عبد الاول و هو في السياق وكان اخر عهدنا به انه نظر الى السماء وضحك و قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربي وجعلنى من المكرمين و قضى * الثالث * ان هذا عمل الناس وعادتهم قديما وحديثا يقرءون يس عند المحتضر * الرابع * ان الصحابة لو فهموا من قوله صلى الله عليه وسلم اقرءوا يس عند موتاكم

قراءتها عند القبر لما اخلوا به وكأن ذلك امر امعتاد امشهور ابينهم

* الخامس * ان انتفاعه باستماعها وحضور قلبه وذهنه عند قراءتها في الحر عهده بالدنيا هو المقصود واما قراءتها عند قبره فانه لا يثاب على ذلك لان الثواب اما بالقراءة او بالاستماع وهو عمل وقد انقطع من الميت *

فصل

وقد ترجم الحافظ ابو محمد عبد الحق الاشبيلى على هذا فقال ذكر ماجاء ان الموتى يسئلون عن الاحياء ويعرفون اقوالهم واعمالهم ثم قال ذكر ابو عمر بن عبد البر من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل يمر بقبر اخيه المومن كان يعرفه فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام * ويروي هذا من حديث ابي هريرة مرفوعا قال فان لم يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام * قال ويروى من حديث عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن رجل يزور قبر اخيه فيجلس عنده الا استانس به حتى يقوم * واحتج الحافظ ابو محمد في هذا الباب بما رواه ابو داود في سننه من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن احد يسلم علي الارد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام * قال وقال سليمان بن نعيم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يارسول الله هؤلاء الذين ياتونك ويسلمون عليك اتفقه منهم قال نعم وارد عليهم *

﴿فصل في ان الموتى يسئلون عن الاحياء ويعرفون اقوالهم واعمالهم﴾

قال وكان صلى الله عليه وسلم يعلمهم ان يقولوا اذا دخلوا المقابر السلام عليكم اهل الديار الحديث قال وهذا يدل على ان الميت يعرف سلام من يسلم عليه ودعاء من يدعوله قال ابو محمد ويذكر عن الفضل ابن الموفق قال كنت آتي قبر ابي المرة بعد المرة فاكثر من ذلك فشهدت يوما جنازة في المقبرة التي دفن فيها فتعجلت لحاجتي ولم آته فلما كان من الليل رأيته في المنام فقال لي يا بني لم لا تاتيني قلت له ياابت وانك لتعلم بي اذا اتيك قال اي والله يابني مازال اطلع عليك حين تطلع من القنطرة حتى تصل الي وتقعد عندي ثم تقوم فلا ازال انظر اليك حتى تجوز القنطرة قال ابن ابي الدنيا حدثني ابراهيم بن بشار الكوفي قال حدثني الفضل بن الموفق فذكر القصة * وصح عن عمرو بن دينار انه قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم * وصح عن مجاهد انه قال ان الرجل ليبشر في قبره بصلاح ولده بعده *

فصل

ويدل على هذا ايضا ما جرى عليه عمل الناس قديما والى الآن من تلقين الميت في قبره ولولا انه يسمع ذلك وينتفع به لم يكن فيه فائدة وكان عبثا * وقد سئل عنه الامام احمد رحمه الله فاستحسنه واحتج عليه بالعمل ويروى فيه حديث ضعيف ذكره الطبراني في معجمه من حديث ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات احدكم فسويتم عليه

التراب فليقم احدكم على راس قبره ثم يقول يافلان ابن فلانة فانه
يسمع ولا يجيب ثم ليقل يافلان ابن فلانة الثانية فانه يستوي قاعدا ثم
ليقل يافلان ابن فلانة فانه يقول ارشدنا رحمكم الله ولكن لا تستمعون
فيقول اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا
وبالقرآن اماما فان منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما ويقول انطلق بنا
ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله حجيجه دونهما
فقال رجل يارسول الله فان لم يعرف امه قال ينسبه الى امه حواء *
فهذا الحديث وان لم يثبت فاتصال العمل به في سائر الامصار
والاعصار من غير انكار كاف في العمل به وما اجرى الله سبحانه العادة
قط بان امة طبقت مشارق الارض ومغاربها وهي اكمل الامم عقولا
واوفرها معارف تطبق على مخاطبة من لا يسمع ولا يعقل وتستحسن ذلك
لا ينكره منها منكر بل سنه الاول للاخر ويقتدي فيه الاخر بالاول
فلولا ان المخاطب يسمع والا كان ذلك بمنزلة الخطاب للتراب والخشب
والحجر والمعدوم وهذا وان استحسنه واحد فالعلماء قاطبة على
استقباحه واستهجانه وقد روى ابو داود في سننه باسناد لا باس به
ان النبي صلى الله عليه وسلم حضر جنازة رجل فلما دفن قال سلوا لاخيكم
التثبيت فانه الان يسأل * فاخبرانه يسأل حينئذ واذا كان يسأل فانه
يسمع التلقين وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الميت يسمع قرع

نعالهم اذا ولوا منصرفين * وذكر عبد الحق عن بعض الصالحين قال مات اخ لى فرأيته فى النوم فقلت يااخي ما كان حالك حين وضعت في قبرك قال اتاني آت بشهاب من نار فلولا ان داعياً دعا لي لهلكت * وقال شبيب بن شيبة اوصتني امى عند موتها فقالت يابني اذا دفنتني فقم عند قبرى وقل ياام شبيب قولى لا اله الا الله فلما دفنتها قمت عند قبرها فقلت ياام شبيب قولى لا اله الا الله ثم انصرفت فلما كان من الليل رأيتها في النوم فقالت يابنى كدت ان اهلك لولا ان تداركني لا اله الا الله فقد حفظت وصيتي يابني * وذكر ابن ابي الدنيا عن تماضر بنت سهل امرأة ايوب بن عيينة قالت رأيت سفيان بن عيينة في النوم فقال جزى الله اخي ايوب عني خيرا فانه يزورني كثيرا وقد كان عندى اليوم فقال ايوب نعم حضرت الجبان اليوم فذهبت الى قبره * وصح عن حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب ان الصعب بن جثامة وعوف بن مالك كانا متواخيين قال صعب لعوف اى اخي اينا مات قبل صاحبه فليترايا له قال او يكون ذلك قال نعم فمات صعب فراه عوف فيما يرى النائم كانه قد اتاه قال قلت اى اخي قال نعم قلت مافعل بكم قال غفر لنا بعد المشائب قال ورأيت لمعة سوداء فى عنقه قلت اى اخي ما هذا قال عشرة دنانير استسلفتها من فلان اليهودى فهن فى قرني فاعطوه اياها واعلم اى اخي انه لم يحدث في اهلي حدث بعد موتي الا قد لحق بي خبره حتى هرة لنا ماتت منذ ايام واعلم ان

بنتي تموت الى ستة ايام فاستوصوا بها معروفا فلما اصبحت قلت ان في هذا لمعلما فاتيت اهله فقالوا مرحبا بعوف اهكذا تصنعون بتركة اخوانكم لم تقربنا منذ مات صعب قال فاعتللت بما يعتل به الناس فنظرت الى القرن فانزلته فانتثلت ما فيه فوجدت الصرة التى فيها الدنانير فبعثت بها الى اليهودى فقلت هل كان لك على صعب شئ قال رحم الله صعبا كان من خيار اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هى له قلت لتخبرني قال نعم اسلفته عشرة دنانير فنبذتها اليه قال هي والله باعيانها قال قلت هذه واحدة قال فقلت هل حدث فيكم حدث بعد موت صعب قالوا نعم حدث فينا كذا حدث فينا كذا قال قلت اذكروا قالوا نعم هرة ماتت منذ ايام فقلت هاتان اثنتان قلت اين ابنة اخى قالوا تلعب فاتيت بها فمسستها فاذا هى محمومة فقلت استوصوا بها معروفا فماتت لستة ايام*

وهذا من فقه عوف رحمه الله وكان من الصحابة حيث نفذ وصية الصعب ابن جثامة بعد موته وعلم صحة قوله بالقرائن التى اخبره بها من ان الدنانير عشرة وهي في القرن ثم سأل اليهودي فطابق قوله لما في الرويا فجزم عوف بصحـــة الامر فاعطى اليهودى الدنانير وهذا فقه انما يليق بافقه الناس واعلمهم وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل اكثر المتاخرين ينكر ذلك ويقول كيف جاز لعوف ان ينقل الدنانير من تركة صعب وهى لايتامه وورثته الى يهودي بمنام ونظير هذا من الفقه الذى خصهم الله به دون الناس قصة ثابت بن قيس بن شماس

وقد ذكرها ابو عمر بن عبد البر وغيره قال ابو عمر اخبرنا عبد الوارث
ابن سفيان ثنا قاسم بن اصبغ ثنا ابو الزنباع روح بن الفرج ثنا سعيد بن
عفير وعبد العزيز بن يحيى المدني ثنا مالك بن انس عن ابن شهاب عن
اسمعيل بن محمد بن ثابت الانصاري عن ثابت بن قيس بن شماس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا
وتقتل شهيدا او تدخل الجنة * قال مالك * فقتل ثابت بن قيس يوم
اليمامة شهيدا * قال ابو عمر وروى هشام بن عمار عن صدقة بن
خالد ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال حدثني عطاء الخراساني قال
حدثتني ابنة ثابت بن قيس بن شماس قالت لما نزلت يا ايها الذين آمنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي دخل ابوها بيته واغلق عليه بابه ففقده
رسول الله صلى الله عليه وسلم وارسل اليه يسأله ما خبره قال انا رجل
شديد الصوت اخاف ان يكون قد حبط عملي قال لست منهم بل تعيش
بخير وتموت بخير قال ثم انزل الله ان الله لا يحب كل مختال فخور فاغلق
عليه بابه وطفق يبكي ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل
اليه فاخبره فقال يا رسول الله اني احب الجمال واحب ان اسود قومي
فقال لست منهم بل تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة قالت فلما كان
يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد الى مسيلمة فلما التقوا وانكشفوا
فقال ثابت وسالم مولى ابي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم حفر كل واحد له حفرة فثبتا وقاتلا حتى قتلا وعلى

ثابت يومئذ درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فاخذها فبينما رجل من المسلمين نائم اذ اتاه ثابت في منامه فقال له اوصيك بوصية فاياك ان تقول هذا حلم فتضيعه اني لما قتلت امس مر بي رجل من المسلمين فاخذ درعي ومنزله في اقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالدا فمره ان يبعث الى درعي فيأخذها واذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ابابكر الصديق فقل له ان علي من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق وفلان فاتى الرجل خالدا فاخبره فبعث الى الدرع فاتى بها وحدث ابابكر برؤياه فاجاز وصيته ۞ قال ولا نعلم احدا اجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رحمه الله انتهى ما ذكره ابو عمر فقد اتفق خالد وابو بكر الصديق والصحابة معه على العمل بهذه الرؤيا وتنفيذ الوصية بها وانتزاع الدرع ممن هي في يده بها وهذا محض الفقه واذا كان ابو حنيفة واحمد ومالك يقبلون قول المدعى من الزوجين ما يصلح له دون الاخر بقرينة صدقه فهذا اولى وكذلك ابو حنيفة يقبل قول المدعي للحائط بوجوه الآجر الى جانبه وبمعاقد القمط وقد شرع الله حد المرأة بايمان الزوج وقرينة تكون لها فان ذلك من اظهر الادلة على صدق الزوج وابلغ من ذلك قتل المقسم عليه في القسامة بايمان المدعين مع القرينة الظاهرة من اللوث وقد شرع الله سبحانه قبول قول المدعين لتركة ميتهم اذا مات في السفر واوصى الى رجلين

من

من غير المسلمين فاطلع الورثة على خيانة الوصيين فانهما يحلفان بالله ويستحقانه وتكون ايمانهما اولى من ايمان الوصيين وهذا انزله الله سبحانه في اخر الامر في سورة المائدة وهي من اخر القرآن نزولا ولم ينسخها شيء وعمل بها الصحابة بعده وهذا دليل على انه يقضي في الاموال باللوث واذا كان الدم يباح باللوث في القسامة فلان يقضى باللوث وهو القرائن الظاهرة في الاموال اولى واحرى وعلى هذا عمل ولاة العدل في استخراج السرقات من السراق حتى ان كثيرا ممن ينكر ذلك عليهم يستعين بهم اذا سرق ماله وقد حكى الله سبحانه عن الشاهد الذى شهد بين يوسف الصديق وامرأة العزيز انه حكم بالقرينة على صدق يوسف وكذب المرأة ولم ينكر الله سبحانه عليه ذلك بل حكاه عنه تقريرا له واخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن نبي الله سليمان بن داود انه حكم بين المرأتين اللتين تداعيا الولد للصغرى بالقرينة التي ظهرت له لما قال ائتوني بالسكين اشق الولد بينكما فقالت الكبرى نعم رضيت بذلك للتاسي بفقد ابن صاحبتها وقالت الاخرى لا تفعل هو ابنها فقضى به لها للشفقة والرحمة التي قامت بقلبها حتى سمحت به للاخرى ويبقى حيا وتنظر اليه وهذا من احسن الاحكام واعدلها وشريعة الاسلام تقرر مثل هذا وتشهد بصحته. وهل الحكم بالقافة والحاق النسب بها الا اعتماد على قرائن الشبه مع اشتباهها وخفائها غالبا والمقصود ان القرائن التي قامت في رؤيا عوف بن مالك وقصة ثابت بن قيس لا تقصر عن كثير من هذه

القرائن بل هي اقوى من مجرد وجوه الآجر و معاقد القمط وصلاحية المتاع للمدعى دون الاخر في مسئلة الزوجين والصانعين وهذا ظاهر لاخفاء به و فطر الناس و عقولهم تشهد بصحته و بالله التوفيق و المقصود جواب السائل و ان الميت اذا عرف مثل هذه الجزئيات و تفاصيلها فمعرفته بزيارة الحي له و سلامه عليه و دعائه له اولى واحرى *

﴿ فصل ﴾ * * * ﴿ المسئلة الثانية وهي ان ارواح الموتى هل تتلاقى و تتزاور و تتذاكر ام لا ﴾ فهي ايضا مسئلة شريفة كبيرة القدر وجوابها ان الارواح قسمان ارواح معذبة وارواح منعمة فالمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي والارواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة تتلاقى و تتزاور و تتذاكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من اهل الدنيا فيكون كل روح مع رفيقها الذى هو على مثل عملها و روح نبينا محمد صلى الله عليه و سلم في الرفيق الاعلى قال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولائك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين و الصديقين والشهداء و الصالحين وحسن اولائك رفيقا وهذه المعية ثابتة في الدنيا و فى دار البرزخ وفى دار الجزاء و المرأ مع من احب في هذه الدور الثلاثة وروى جرير عن منصور عن ابي الضحى عن مسروق قال قال اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لنا ان نفارقك فى الدنيا فاذا امت رفعت فوقنا فلم نرك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولائك

المسئلة الثانية في ان ارواح الموتى هل تتلاقى و تتزاور و تتذاكر ام لا

مع الذين انعم الله عليهم من النبيين و الصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولائك رفيقا * وقال الشعبي جاء رجل من الانصار وهو يبكى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال مايبكيك يافلان فقال يانبى الله والله الذي لااله الاهو لانت احب اليّ من اهلى ومالى والله الذي لااله الاهو لانت احب اليّ من نفسى وانا اذكرك انا واهلى فناخذني كذا حتى اراك فذكرت موتك وموتى فعرفت انى لن اجامعك الافى الدنيا وانك ترفع في النبيين وعرفت اني ان دخلت الجنة كنت في منزل ادنى من منزلك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولائك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الى قوله وكفى بالله عليما وقال تعالى ياايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادى وادخلي جنتى * اى ادخلي في جملتهم وكوني معهم وهذا يقال للروح عند الموت وفي قصة الاسراء من حديث عبد الله بن مسعود قال لما اسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم لقى ابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فتذاكروا الساعة فبدؤا بابراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم ثم بموسى فلم يكن عنده منها علم حتى اجمعوا الحديث الى عيسى فقال عيسى عهد الله الي فيما دون وجبتها فذكر خروج الدجال قال فاهبط فاقتله ويرجع الى بلادهم فتستقبلهم ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون فلايمرون بماء الاشربوه ولايمرون بشئ الاافسدوه

فيجأرون الى الله تعالى فيدعو الله فيميتهم فتجار الارض الى الله من ريحهم ويجأرون الي فادعو ويرسل الله السماء بالماء فيحمل اجسامهم فيقذفها في البحر ثم ينسف الجبال وتمد الارض مد الاديم فعهد الله الي اذا كان كذلك فان الساعة من الناس كالحامل المتم لا يدري اهلها متى تفجأهم بولادتها ليلا او نهارا ذكره الحاكم والبيهقي وغيرهما وهذا نص في تذاكر الارواح العلم وقد اخبر الله سبحانه وتعالى عن الشهداء بانهم احياء عند ربهم يرزقون وانهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم وانهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل وهذا يدل على تلاقيهم من ثلاثة اوجه * احدها * انهم عند ربهم يرزقون واذا كانوا احياء فهم يتلاقون الثاني انهم انما استبشروا باخوانهم لقدومهم عليهم ولقائهم لهم * الثالث * ان لفظ يستبشرون يفيد في اللغة انهم يبشر بعضهم بعضا مثل يتباشرون وقد تواترت المرائي بذلك فمنها ما ذكره صالح ابن بشير قال رأيت عطاء السلمي في النوم بعد موته فقلت له يرحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا فقال اما والله لقد اعقبني ذلك فرحا طويلا وسرورا دائما فقلت في اي الدرجات انت قال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين * وقال عبد الله بن المبارك رأيت سفيان الثوري في النوم فقلت له ما فعل الله بك قال لقيت محمدا وحزبه * وقال صخر بن راشد رأيت عبد الله بن المبارك في النوم بعد موته فقلت اليس قد مت قال بلى قلت فما صنع الله

بك قال غفرلى مغفرة احاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثوري قال
بخ بخ ذالك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن اولائك رفيقا * وذكر ابن ابى الدنيا من حديث حماد
ابن زيد عن هشام بن حسان عن يقظة بنت راشد قالت كان مروان المحلمي
لى جارا وكان قاضيا مجتهدا قالت فمات فوجدت عليه وجدا اشديدا قالت
فرأيته فيما يرى النائم قلت اباعبد الله ماصنع بك ربك قال ادخلني الجنة
قلت ثم ماذا قال ثم رفعت الى اصحاب اليمين قلت ثم ماذا قال ثم رفعت الى
المقربين قلت فمن رأيت من اخوانك قال رأيت الحسن وابن سيرين
وميمون بن سياه قال حماد قال هشام بن حسان فحدثتني ام عبدالله وكانت من
خيار نساء اهل البصرة قالت رايت فيما يرى النائم كاني دخلت دارا حسنة
ثم دخلت بستانا فذكرت من حسنه ماشاء الله فاذا انا فيه برجل متكئ
على سرير من ذهب وحوله الوصفاء بايديهم الاكاويب قالت فانى لمتعجبة
من حسن ماارى اذ قيل هذا مروان المحلمي اقبل فوثب فاستوى جالسا على
سريره قالت واستيقظت من منامى فاذا جنازة مروان قد مربها على بابى
تلك الساعة * وقد جاءت سنة صريحة بتلاقى الارواح وتعارفها قال ابن
ابي الدنيا حدثنى محمد بن عبدالله بن بزيع اخبرني فضيل بن سليمان النميرى
حدثنى يحيي بن عبد الرحمن بن ابي لبيبة عن جده قال لما مات بشر بن البراء
ابن معرور وجدت عليه ام بشر وجدا شديدا فقالت يارسول الله انه
لايزال الهالك يهلك من بنى سلمة فهل تتعارف الموتى فارسل الى بشر

بالسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم والذى نفسى بيده ياام بشر انهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في روس الشجر وكان لا يهلك هالك من بنى سلمة الا جاءته ام بشر فقالت يافلان عليك السلام فيقول وعليك فتقول اقرأ على بشر السلام * وذكر ابن ابي الدنيا من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال اهل القبور يتوكفون الاخبار فاذا اتاهم الميت قالوا مافعل فلان فيقول صالح مافعل فلان يقول صالح مافعل فلان فيقول الم ياتكم اوماقدم عليكم فيقولون لا فيقول انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا * وقال صالح المري بلغني ان الارواح تتلاقى عند الموت فتقول ارواح الموتى للروح التى تخرج اليهم كيف كان ماواك وفي اي الجسدين كنت في طيب ام خبيث ثم بكى حتى غلبه البكاء * وقال عبيد بن عمير ايضا اذا مات الميت تلقته الارواح يستخبرونه كما يستخبر الراكب مافعل فلان مافعل فلان فاذا قال توفى ولم ياتهم قالوا ذهب به الى امه الهاوية * وقال سعيد بن المسيب اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب * وقال عبيد بن عمير لواني آئس من لقاء من مات من اهلي لالفاني قد مت كمدا * وذكر معاوية بن يحيي عن عبد الله بن سلمة ان ابارهم السمعي حدثه ان ابا ايوب الانصارى حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نفس المومن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير فى الدنيا فيقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان فى كرب شديد فيسئلونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت

فلانة وهل تزوجت فلانة فلما اسالوه عن رجل مات قبله قال انه قد مات قبلي قالوا انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى امه الهاوية فبئست الام وبئست المربية * وقد تقدم حديث يحيى بن بسطام حدثني مسمع بن عاصم قال رأيت عاصما الجحدري في منامي بعد موته بسنتين فقلت اليس قد مت قال بلى قلت واين انت قال انا والله في روضة من من رياض الجنة انا ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله المزني فنتلقى اخباركم قلت اجسامكم ام ارواحكم قال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح *

* فصل * * * * * واما المسئلة الثالثة وهي هل تتلاقى ارواح الاحياء وارواح الاموات *

المسئلة الثالثة هل تلاقى ارواح الاحياء وارواح الاموات

فشواهد هذه المسئلة وادلتها اكثر من ان يحصيها الا الله تعالى والحس والواقع من اعدل الشهود بها فتلتقي ارواح الاحياء والاموات كما تلتقي ارواح الاحياء وقد قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * قال ابو عبد الله ابن مندة ثنا احمد بن محمد بن ابراهيم ثنا عبد الله بن حسين الحراني ثنا جدي احمد بن شعيب ثنا موسى بن اعين عن مطرف عن جعفر بن ابي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الاية قال بلغني ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام

فيتساءلون بينهم فيمسك الله ارواح الموتى و يرسل ارواح الاحياء
الى أجسادها * وقال ابن ابي حاتم في تفسيره ثنا عبد الله بن سليمان
ثنا الحسين ثنا عامر ثنا اسباط عن السدى فى قوله تعالى والتى لم تمت في
منامها قال يتوفاها في منامها فيلتقى روح الحى و روح الميت فيتذاكران
و يتعارفان قال فترجع روح الحى الى جسده في الدنيا الى بقية اجلها
و تريد روح الميت ان ترجع الى جسده فتحبس * وهذا احد القولين فى
الاية وهو ان الممسكة من توفيت وفاة الموت اولا والمرسلة من توفيت
وفاة النوم و المعنى على هذا القول انه يتوفى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها
الى جسدها قبل يوم القيامه ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها الى جسدها الى بقية
اجلها فيتوفاها الوفاة الاخرى والقول الثانى في الآية ان الممسكة والمرسلة
في الاية كلاهما توفي وفاة النوم فمن استكملت اجلها امسكها عنده
فلا يردها الى جسدها ومن لم تستكمل اجلها ردها الى جسدها لتستكمله
واختار شيخ الاسلام هذا القول وقال عليه يدل القرآن و السنة قال
فانه سبحانه ذكر امساك التى قضي عليها الموت من هذه الانفس التى توفاها
وفاة النوم واما التي توفاها حين موتها فتلك لم يصفها بامساك ولا
بارسال بل هي قسم ثالث والذى يترجح هو القول الاول لانه سبحانه اخبر
بوفاتين وفاة كبرى وهي وفاة الموت و وفاة صغرى وهي وفاة النوم
وقسم الارواح قسمين قسما قضى عليها بالموت فامسكها عنده وهي التي
توفاها وفاة الموت وقسما لها بقية اجل فردها الى جسدها الى

استكمال اجلها وجعل سبحانه الامساك والارسال حكمين للوفاتين المذكورتين اولا فهذه ممسكة وهذه مرسلة واخبرانّ التى لم تمت هي التي توفاها في منامها فلوكان قدقسم وفاة النوم الى قسمين وفاة موت ووفاة نوم لم يقل والتى لم تمت فى منامها فانها من حين قبضت ماتت وهو سبحانه قد اخبرانها لم تمت فكيف يقول بعد ذلك فيمسك التى قضى عليها الموت ولمن نصر هذا القول ان يقول قوله فيمسك التى قضى عليها الموت بعد ان توفاها وفاة النوم فهو سبحانه توفاها اولا وفاة نوم ثم قضى عليها الموت بعدذلك والتحقيق ان الاية تتناول النوعين فانه سبحانه ذكر وفاتين وفاة نوم ووفاة موت وذكر امساك المتوفاة وارسال الاخرى ومعلوم انه سبحانه يمسك كل نفس ميت سواء مات في النوم او في اليقظة ويرسل نفس من لم يمت فقوله يتوفى الانفس حين موتها يتناول من مات في اليقظة ومن مات في المنام وقددل على التقاء ارواح الاحياء والاموات ان الحي يرى الميت فى منامه فيستخبره ويخبره الميت بما لا يعلم الحي فيصادف خبره كما اخبر في الماضي والمستقبل وربما اخبره بمال دفنه الميت فى مكان لم يعلم به سواه وربما اخبره بدين عليه وذكر له شواهده وادلته وابلغ من هذا انه يخبر بما عمله من عمل لم يطلع عليه احدا من العالمين وابلغ من هذا انه يخبره انك تاتينا الى وقت كذا وكذا فيكون كما اخبر وربما اخبره عن امور يقطع الحي انه لم يكن يعرفها غيره وقدذكرنا قصة الصعب بن جثامة وقوله لعوف بن مالك ماقال له

وذكرنا قصة ثابت بن قيس بن شماس واخباره لمن رآه بدرعه وما عليه
من الدين وقصة صدقة بن سليمان الجعفري واخباره ابنه له بما عمل من بعده
وقصة شبيب بن شيبة وبقول امه له بعد الموت جزاك الله خيرا حيث
لقنتها لا اله الا الله وقصة الفضل بن الموفق مع ابنه واخباره اياه بعلمه
بزيارته وقال سعيد بن المسيب التقى عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي
فقال احدهما للآخر ان مت قبلي فالقني فاخبرني مالقيت من ربك وان
انا مت قبلك لقيتك فاخبرتك فقال الآخر وهل تلتقي الاموات
والاحياء قال نعم ارواحهم في الجنة تذهب حيث شاءت قال فمات
فلان فلقيه في المنام فقال توكل وابشر فلم ار مثل التوكل قط * وقال
العباس بن عبد المطلب كنت اشتهي ان ارى عمر في المنام فما رأيته
الا عند قرب الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا اوان
فراغي ان كاد عرشي ليهد لولا ان لقيت رؤفا رحيما * ولما حضرت شريح
ابن عابد الثمالي الوفاة دخل عليه غضيف بن الحارث وهو يجود بنفسه
فقال يا ابا الحجاج ان قدرت على ان تاتينا بعد الموت فتخبرنا بما ترى فافعل
قال وكانت كلمة مقبولة في اهل الفقه قال فمكث زمانا لا يراه ثم راه في
منامه فقال له اليس قد مت قال بلى قال فكيف حالك قال تجاوز ربنا عنا
الذنوب فلم يهلك منا الا الاخراص قلت وما الاخراص قال الذين يشار
اليهم بالاصابع في الشيء * وقال عبد الله بن عمر بن عبد العزيز رأيت ابي في
النوم بعد موته كانه في حديقة فدفع الي تفاحات فاولتهن الولد فقلت اي

الاعمال وجدت افضل قال الاستغفار اى بنى * ورأى مسلمة بن
عبد الملك عمر بن عبد العزيز بعد موته فقال يا امير المومنين ليت شعرى
الى اي الحالات صرت بعد الموت قال يا مسلمة هذا اوان فراغي والله
ما استرحت الا الآن قال قلت فاين انت يا امير المومنين قال مع ائمة
الهدى في جنة عدن * وقال صالح البراد رأيت زرارة بن اوفى بعد
موته فقلت رحمك الله ماذا قيل لك وماذا قلت فاعرض عنى قلت فما
صنع الله بك قال تفضل علي بجوده وكرمه قلت فابو العلاء بن يزيد
اخو مطرف قال ذاك في الدرجات العلى قلت فاي الاعمال ابلغ فيما
عندكم قال التوكل وقصر الامل * وقال مالك بن دينار رأيت مسلم بن
يسار بعد موته فسلمت عليه فلم يرد علي السلام فقلت ما يمنعك ان ترد
السلام قال انا ميت فكيف ارد عليك السلام فقلت له ماذا لقيت بعد
الموت قال لقيت والله اهوالا وزلازل عظاما شدادا قال قلت له فما كان
بعد ذلك قال وما تراه يكون من الكريم قبل منا الحسنات وعفا لنا عن
السيئات وضمن عنا التبعات قال ثم شهق مالك شهقة خر مغشيا عليه قال
فلبث بعد ذلك اياما مريضا ثم انصدع قلبه فمات * وقال سهيل اخو حزم
رأيت خالد بن دينار (١) بعد موته فقلت يا ابا يحيى ليت شعرى ماذا قدمت
به على الله قال قدمت بذنوب كثيرة محاها عنى حسن الظن بالله عزوجل
ولما مات رجاء بن حيوة رأته امرأة عابدة فقالت يا ابا المقدام الى
ما صرتم قال الى خير ولكن فزعنا بعدكم فزعة ظننا ان القيامة قد قامت

(١) هكذا في الاصل والظاهر مالك بن دينار ١٢

قالت قلت ومم ذلك قال دخل الجراح واصحابه الجنة باثقالهم حتى ازدحموا على بابها * وقال جميل بن مرة كان مورق العجلي لي اخا وصديقا فقلت له ذات يوم اينا مات قبل صاحبه فليأت صاحبه فليخبره بالذي صار اليه قال فمات مورق فرأت اهلي في منامها كانه اتانا كما كان ياتي فقرع الباب كما كان يقرع قالت فقمت ففتحت له كما كنت افتح وقلت ادخل يا ابا المعتمر الى باب اخيك فقال كيف ادخل وقد ذقت الموت انما جئت لاعلم جميلا بما صنع الله بي اعلميه انه قد جعلني في المقربين * ولما مات محمد بن سيرين حزن عليه بعض اصحابه حزنا شديدا فرآه في المنام في حال حسنة فقال يا اخي قد اراك في حال يسرني فما صنع الحسن قال رفع فوقي بسبعين درجة قلت ولم ذاك وقد كنا نرى انك افضل منه قال ذاك بطول حزنه * وقال ابن عيينة رايت سفيان الثوري في النوم فقلت اوصني قال اقل من معرفة الناس * وقال عمار بن سيف رأيت الحسن بن صالح في منامي فقلت قد كنت متمنيا للقائك فماذا عندك فتخبرنا به فقال ابشر فاني لم ار مثل حسن الظن بالله شيئا * ولما مات ضيغم العابد رآه بعض اصحابه في المنام فقال اما صليت عليّ قال فذكرت علة كانت فقال اما لو كنت صليت عليّ ربحت رأسك (١) فلما ماتت رابعة رأتها امرأة من اصحابها وعليها حلة استبرق وخمار من سندس وكانت كفنت في جبة وخمار من صوف فقالت لها ما فعلت الجبة التي كفنتك فيها وخمار الصوف قالت والله انه نزع عني وابدلت به هذا الذي

(١) هكذا في الاصل ولعله وامسك ــ السيد ابو بكر بن شهاب مد فيوضه

تو يونه

ترين على طويت اكفاني وختم عليها ورفعت في عليين ليكمل لي ثوابها يوم القيامة قالت فقلت لها لهذا كنت تعملين ايام الدنيا فقالت وما هذا عند ما رايت من كرامة الله لاوليائه فقلت لها فما فعلت عبدة بنت كلاب+ فقالت هيهات هيهات سبقتنا والله الى الدرجات العلى قالت قلت وبم وقد كنت عند الناس اعبد منها فقالت انها لم تكن تبالي على اي حال اصبحت من الدنيا او امست فقلت فما فعل ابو مالك تعني ضيغما فقالت يزور الله تبارك وتعالى متى شاء قالت قلت فما فعل بشر بن منصور قالت بخ بخ اعطي والله فوق ما كان يامل قالت قلت مريني بامر اتقرب به الى الله قالت عليك بكثرة ذكر الله فيوشك ان تغتبطي بذلك في قبرك * ولما مات عبد العزيز بن سليمان العابد رآه بعض اصحابه وعليه ثياب خضر وعلى راسه اكليل من لؤلؤ فقال كيف كنت بعدنا وكيف وجدت طعم الموت وكيف رأيت الامر هناك قال اما الموت فلا تسأل عن شدة كربه وغمه الا ان رحمة الله وارت عنا كل عيب وما تلقانا الا بفضله * وقال صالح بن بشر لما مات عطاء السلمي رأيته في منامي فقلت يا ابا محمد الست في زمرة الموتى قال بلى قلت فماذا صرت اليه بعد الموت قال صرت والله الى خير كثير ورب غفور شكور قال قلت اما والله لقد كنت طويل الحزن في دار الدنيا فتبسم وقال والله لقد اعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقلت ففي اي الدرجات انت قال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولائك رفيقا * ولما مات

+ بنت ابي كلاب

عاصم الجحدري رآه بعض اهله في المنام فقال أليس قدمت قال بلى قال فاين انت قال انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله المزنى فنتلقى اخباركم قال قلت اجسادكم ام ارواحكم قال هيهات بليت الاجساد وانما تتلاقى الارواح * وروى الفضيل بن عياض بعد موته فقال لم ار للعبد خيرا من ربه * وكان مرة الهمد انى قد سجد حتى اكل التراب جبهته فلما مات رآه رجل من اهله فى منامه وكان موضع سجوده كهيئة الكوكب الدري فقال ماهذا الاثر الذي ارى بوجهك قال كسي موضع السجود يا كل التراب له نورا قال قلت فما منزلتك في الآخرة قال خير منزل دار لا ينتقل عنها اهلها ولا يموتون * وقال ابو يعقوب القاري رأيت فى منامى رجلا آدما طوالا والناس يتبعونه قلت من هذا قالوا اويس القرنى فاتبعته فقلت اوصنى يرحمك الله فكلح فى وجهى فقلت مسترشد فارشدنى رحمك الله فاقبل علي فقال ابتغ رحمة الله عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه فى خلال ذلك ثم ولى وتركنى * وقال ابن السماك رأيت مسعرا في النوم فقلت اي الاعمال وجدت افضل قال مجالس الذكر * وقال الاجلح رأيت سلمة بن كهيل فى النوم فقلت اي الاعمال وجدت افضل قال قيام الليل * وقال ابو بكر بن ابي مريم رأيت وفاء بن بشر بعد موته فقلت ما فعلت يا وفاء قال نجوت بعد كل جهد قلت فاي الاعمال وجدتموها افضل قال البكاء من خشية الله

عز وجل

عزوجل * وقال الليث بن سعد عن موسى بن وردان انه رأى عبد الله بن
ابي حبيبة بعد موته فقال عرضت علي حسناتي وسيئاتي فرأيت في
حسناتي حبات رمان التقطتهن فاكلتهن ورأيت في سيئاتي خيطي حرير
كانا في قلنسوتي * وقال سنيد بن داود حدثني ابن اخي جويرية بن اسماء
قال كنا بعبادان فقدم علينا شاب من اهل الكوفة متعبد فمات بها في يوم
شديد الحر فقلت نبرد ثم ناخذ في جهازه فنمت فرأيت كاني في المقابر فاذا
بقبة جوهر تتلألأ حسنا وانا انظر اليها اذا انفلقت فاشرفت منها جارية
ما رأيت مثل حسنها فاقبلت علي فقالت بالله لا تحبسه عنا الى الظهر قال
فانتبهت فزعا واخذت في جهازه وحفرت له قبرا في الموضع الذي رأيت فيه
القبة فدفنته فيه * وقال عبد الملك بن عتاب الليثي رأيت عامر بن عبد قيس
في النوم فقلت اي الاعمال وجدت افضل قال ما اريد به وجه الله عزوجل *
وقال يزيد بن هارون رأيت ابا العلاء ايوب بن مسكين في المنام فقلت
ما فعل بك ربك قال غفر لي قلت بماذا قال بالصوم والصلوة قلت
ارأيت منصور بن زاذان قال هيهات ذاك نرى قصره من بعيد * وقال
يزيد بن نعامة هلكت جارية في طاعون الجارف فلقيها ابوها بعد موتها
فقال لها يا بنية اخبريني عن الآخرة قالت يا ابت قدمنا على امر عظيم نعلم
ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة او تسبيحتان او ركعة او ركعتان
في صحيفة عملي احب الي من الدنيا وما فيها * وقال كثير بن مرة رأيت
في منامي كاني دخلت درجة علياء في الجنة فجعلت اطوف بها واتعجب

منها فاذا انا بنساء من نساء المسجد في ناحية منها فذهبت حتى سلمت عليهن ثم قلت بما بلغتن هذه الدرجة قلن بسجدات وتكبيرات * وقال مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز عن فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز قالت انتبه عمر بن عبد العزيز ليلة فقال لقد رأيت رؤيا معجبة قالت فقلت جعلت فداك فاخبرني بها فقال ما كنت لاخبرك بها حتى اصبح فلما طلع الفجر خرج فصلى ثم عاد الى مجلسه قالت فاغتنمت خلوته فقلت اخبرني بالرؤيا التي رأيت قال رأيت كاني رفعت الى ارض خضراء واسعة كانها بساط اخضر واذا فيها قصر ابيض كانه الفضة واذا خارج قد خرج من ذلك القصر فهتف باعلى صوته يقول اين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب اين رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل ذلك القصر قال ثم ان آخر خرج من ذلك القصر فنادى اين ابو بكر الصديق اين ابن ابي قحافة اذا اقبل ابو بكر حتى دخل ذلك القصر ثم خرج آخر فنادى اين عمر بن الخطاب فاقبل عمر حتى دخل ذلك القصر ثم خرج آخر فنادى اين عثمان ابن عفان فاقبل حتى دخل ذلك القصر ثم خرج آخر فنادى اين علي بن ابي طالب فاقبل حتى دخل ذلك القصر ثم ان آخر خرج فنادى اين عمر ابن عبد العزيز قال عمر فقمت حتى دخلت ذلك القصر قال فدفعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقوم حوله فقلت بيني وبين نفسي اين اجلس فجلست الى جنب ابي عمر بن الخطاب فنظرت فاذا ابو بكر

عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم واذا عمر عن يساره فتاملت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ابي بكر
رجل فقلت من هذا الرجل الذي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين ابي بكر فقال هذا عيسى ابن مريم فسمعت هاتفا يهتف وبيني
وبينه ستر نور يا عمر بن عبد العزيز تمسك بما انت عليه واثبت على ما انت
عليه ثم كانه اذن لي في الخروج فقمت فخرجت من ذلك القصر فالتفت
خلفي فاذا انا بعثمان بن عفان وهو خارج من ذلك القصر يقول الحمد لله
الذي نصرني ربي واذا علي بن ابي طالب في اثره خارج من ذلك القصر
وهو يقول الحمد لله الذي غفر لي ربي * وقال سعيد بن ابي عروبة عن
عمر بن عبد العزيز رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر جالسان
عنده فسلمت وجلست فبينا انا جالس اذ اوتي بعلي ومعاوية فادخلا
بيتا واجيف عليهما الباب وانا انظر فما كان باسرع من ان خرج علي
وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان باسرع من ان خرج معاوية
على اثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة وقال حماد بن ابي هاشم جاء
رجل الى عمر بن عبد العزيز فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام وابو بكر عن يمينه وعمر عن شماله واقبل رجلان يختصمان
وانت بين يديه جالس فقال لك يا عمر اذا عملت فاعمل بعمل هذين
لابي بكر وعمر فاستحلفه عمر بالله ارأيت هذه الرؤيا فحلف فبكى عمر*
وقال عبد الرحمن بن غنم رأيت معاذ بن جبل بعد وفاته بثلاث على

فرس ابلق و خلفه رجال بيض عليهم ثياب خضر على خيل بلق وهو قد امهم وهو يقول ياليت قومي يعلمون بما غفر لى ربي و جعلني من المكرمين ثم التفت عن يمينه وشماله يقول ياابن رواحة ياابن مظعون الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوء من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين ثم صافحني و سلم علي * وقال قبيصة بن عقبة رايت سفيان الثوري في المنام بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال *

نظرت الى ربي عيانا فقال لى * هنيأ رضائي عنك ياابن سعيد
فقد كنت قواما اذا الليل قد دجى * بعبرة محزون و قلب عميد
فدونك فاختر اي قصر تريده * وزرني فاني منك غير بعيد

و قال سفيان بن عيينة رأيت سفيان الثوري بعد موته يطير في الجنة من نخلة الى شجرة ومن شجرة الى نخلة وهو يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فقيل له بما دخلت الجنة قال بالورع بالورع قيل له فما فعل علي بن عاصم قال ما نراه الا مثل الكوكب * وكان شعبة بن الحجاج و مسعر بن كدام حافظين وكانا جليلين قال ابواحمد البريدي فرأيتهما بعد موتهما فقلت ابا بسطام ما فعل الله بك فقال وفقك الله لحفظ ما اقول

حباني الهي فى الجنان بقبة * لها الف باب من لجين وجوهرا
و قال لى الرحمن ياشعبة الذى * تبحر في جمع العلوم فاكثرا
تنعم بقربي انني عنك ذو رضا * وعن عبدي القوام فى الليل مسعرا
كفا مسعرا عزا بان سيزورني * واكشف عن وجهي الكريم لينظرا

وهذا فعالى بالذين تنسكوا * ولم يالفوا في سالف الدهر منكوا
و قال احمد بن محمد اللبدى رايت احمد بن حنبل في النوم فقلت يا ابا
عبد الله ما فعل الله بك قال غفر لى ثم قال يا احمد ضربت في ستين
سوطاً قلت نعم يارب قال هذا وجهى قد ابحتك فانظر اليه * و قال
ابو بكر احمد بن محمد بن الحجاج حدثنى رجل من اهل طرسوس قال
دعوت الله عز وجل ان يرينى اهل القبور حتى اسألهم عن احمد بن حنبل
مافعل الله به فرأيت بعد عشر سنين فى المنام كان اهل القبور قد قاموا
على قبورهم فبادرونى بالكلام فقالوا ياهذا اكم تدعوا الله عز و جل ان
يريك ايانا تسألنا عن رجل لم يزل منذ فارقكم تحليه الملائكة تحت شجرة
طوبى * قال ابو محمد عبد الحق وهذا الكلام من اهل القبور انما هو اخبار
عن علو درجة احمد بن حنبل و ارتفاع مكانه و عظم منزلته فلم يقدروا
ان يعبروا عن صفة حاله و عن ما هو فيه الا بهذا او ما هو في معناه
و قال ابو جعفر السقاء صاحب بشر بن الحارث رأيت بشر الحافي
ومعروف الكرخي و هما جائيان فقلت من اين فقالا من جنة الفردوس
زرنا كليم الله موسى * و قال عاصم الجزرى رأيت في النوم كاني لقيت
بشر بن الحارث فقلت من اين يا ابا نصر قال من عليين قلت فما فعل
احمد بن حنبل قال تركته الساعة مع عبد الوهاب الوراق بين يدى الله
عز و جل ياكلان و يشربان قلت له فانت قال علم قلة رغبتى في الطعام
فاباحنى النظر اليه * و قال ابو جعفر السقاء رأيت بشر بن الحارث

في النوم بعد موته فقلت ابا نصر مافعل الله قال الطفني ورحمني وقال لي يابشر لو سجدت لي في الدنيا على الجمر ماادیت شکر ماحشوت قلوب عبادي منك واباح لي نصف الجنة فاسرح فيها حيث شئت ووعدني ان يغفر لمن تبع جنازتي فقلت مافعل ابو نصر التمار فقال ذاك فوق الناس بصبره على بلائه وفقره * قال عبد الحق لعله اراد بقوله نصف الجنة نصف نعيمها لان نعيمها نصفان نصف روحاني ونصف جسماني فيتنعمون اولا بالروحاني فاذا ردت الارواح الى الاجساد اضيف لهم النعيم الجسماني الى الروحانى وقال غيره نعيم الجنة مرتب على العلم والعمل وحظ بشر من العمل كان اوفى من حظه في العلم والله اعلم وقال بعض الصالحين رأيت ابا بكر الشبلي في المنام وكانه قاعد في مجلس الرصافة بالموضع الذي كان يقعد فيه واذا به قد اقبل وعليه ثياب حسان فقمت اليه وسلمت عليه وجلست بين يديه فقلت له من اقرب اصحابك اليك قال الهجهم بذكر الله واقومهم بحق الله واسرعهم مبادرة فى مرضاة الله * وقال ابو عبد الرحمن الساحلي رأيت ميسرة بن سليم في المنام بعد موته فقلت له طالت غيبتك فقال السفر طويل فقلت له فما الذي قدمت عليه فقال رخص لي لانا كنا نفتي بالرخص فقلت فما تأمرني به قال اتباع الاثار وصحبة الاخيار ينجيان من النار ويقربان من الجبار * وقال ابو جعفر الضرير رأيت عيسى بن زاذان بعد موته فقلت فما فعل الله بك فانشأ يقول

لو

لو رأيت الحسان في الخلد حولي * واكاويب معهم للشراب
يترنمن بالكتاب جميعا * يتمشين مسبلات الثياب

وقال بعض اصحاب ابن جريج رايت كاني جئت الى هذه المقبرة التي بمكة فرأيت على عامتها سرادقا ورايت منها قبرا عليه سوادق وفسطاط وسدرة فجئت حتى دخلت فسلمت عليه فاذا مسلم بن خالد الزنجي فسلمت عليه وقلت يا ابا خالد ما بال هذه القبور عليها سرادق وقبرك عليه سرادق وفسطاط وفيه سدرة فقال انى كنت كثير الصيام فقلت فاين قبر ابن جريج واين محله فقد كنت اجالسه وانا احب ان اسلم عليه فقال هكذا بيده هيهات وادار اصبعه السبابة واين قبر ابن جريج رفعت صحيفته في عليين ورأى حماد ابن سلمة في النوم بعض اصحابه فقال له مافعل الله بك فقال قال لى طال ما كددت نفسك في الدنيا فاليوم اطيل راحتك وراحة المتعبين * وهذا باب طويل جدا فان لم تسمح نفسك بتصديقه اوقلت هذه منامات وهي غير معصومة فتامل من رآى صاحبا له اوقريبا وغيره فاخبره بامر لايعلمه الا صاحب الرؤيا اواخبره بمال دفنه او حذره من امر يقع او بشره بامر يوجد فوقع كما قال اواخبره بانه يموت هو او بعض اهله الى كذا وكذا فيقع كما اخبر او اخبره بخصب اوجدب اوعدو اونازلة اومرض او بغرض له فوقع كما

الخبره والواقع من ذلك لايحصيه الا الله والناس مشتركون فيه وقد رأينا نحن وغيرنا من ذلك عجائب وابطل من قال ان هذه كلها علوم وعقائد في النفس تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم وهذا عين الباطل والمحال فان النفس لم يكن فيها قط معرفة هذه الامور التي يخبر بها الميت ولا خطرت ببالها ولا عندها علامة عليها ولا امارة بوجه ما ونحن لاننكر ان الامر قد يقع كذلك وان من الرؤيا مايكون من حديث النفس وصورة الاعتقاد بل كثير من مرائي الناس انما هي من مجرد صور اعتقادهم المطابق وغير المطابق فان الرؤيا على ثلاثة انواع رؤيا من الله ورؤيا من الشيطان ورؤيا من حديث

الرؤيا على ثلاثة انواع منها الرؤيا الصحيحة ولها اقسام

النفس والرؤيا الصحيحة اقسام * منها الهام يلقيه الله سبحانه في قلب العبد وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام كما قال عبادة بن الصامت وغيره ومنها مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها * ومنها * التقاء روح النائم بارواح الموتى من اهله واقاربه واصحابه وغيرهم كما ذكرناه * ومنها * عروج روحه الى الله سبحانه وخطابها له * ومنها * دخول روحه الى الجنة ومشاهدتها وغير ذلك فالتقاء ارواح الاحياء والموتى نوع من انواع الرؤيا الصحيحة التي هي عند الناس من جنس المحسوسات وهذا موضع اضطرب فيه الناس فمن قائل ان العلوم كلها كامنة في النفس وانما اشتغالها بعالم الحس يحجب عنها مطالعتها فاذا تجردت بالنوم رأت منها بحسب استعدادها ولما كان تجردها بالموت اكمل

كانت علومها ومعارفها هناك اكمل وهذا فيه حق وباطل فلا يرد كله ولا يقبل كله فان تجرد النفس تطلعها على علوم ومعارف لا تحصل بدون التجرد لكن لو تجردت كل التجرد لم تطلع على علم الله الذى بعث به رسوله وعلى تفاصيل مااخبر به عن الرسل الماضية والامم الخالية وتفاصيل المعاد واشراط الساعة وتفاصيل الامر والنهى والاسماء والصفات والافعال وغير ذلك مما لايعلم الا بالوحى ولكن تجرد النفس عون لها على معرفة ذلك وتلقيه من معدنه اسهل واقرب واكثر مما يحصل للنفس المنغمسة فى الشواغل البدنية ومن قائل ان هذه المرائي علوم علقها الله في النفس ابتداء بلا سبب وهذا قول منكرى الاسباب والحكم والقوى وهو قول مخالف للشرع والعقل والفطرة ومن قائل ان الرؤيا امثال مضروبة يضربها الله للعبد بحسب استعداده الفه على يد ملك الرؤيا فمرة يكون مثلا مضروبا ومرة يكون نفس ماراه الرائي فيطابق الواقع مطابقة العلم لمعلومه وهذا اقرب من القولين قبله ولكن الرؤيا ليست مقصورة عليه بل لها اسباب أخر كما تقدم من ملاقاة الارواح واخبار بعضها بعضا ومن القاء الملك الذى فى القلب والروع ومن روية الروح للاشياء مكافحة بلا واسطة وقد ذكر ابو عبد الله بن مندة الحافظ فى (كتاب النفس والروح) من حديث محمد بن حميد ثنا عبد الرحمن بن مغرا الدوسي ثنا الازهر بن عبد الله الازدى عن محمد بن عجلان عن سالم بن عبد الله

عن ابيه قال لقي عمر بن الخطاب علي بن ابي طالب فقال له يا ابا الحسن ر بما شهدت وغبنا وشهدنا وغبت ثلاث اسألك عنهن فهل عندك منهن علم فقال علي بن ابي طالب وماهن فقال الرجل يحب الرجل ولم يرَ منه خيرا والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شرا فقال علي نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الارواح جنود مجندة تلتقي في الهواء فتشام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فقال عمر واحدة قال عمر والرجل يحدث الحديث اذ نسيه فبينا هو وما نسيه اذ ذكره فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مافي القلوب قلب الا وله سحابة كسحابة القمر بينا القمر مضئ اذ تجللته سحابة فاظلم اذ تجلت فاضاء وبينا القلب يتحدث اذ تجللته سحابة فنسي اذ تجلت عنه فيذكر قال عمر اثنتان قال والرجل يرى الرؤيا فمنها مايصدق ومنها مايكذب فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن عبد ينام يمتلي نوما الا عرج بروحه الى العرش فالذي لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش فهي التي تكذب فقال عمر ثلاث كنت في طلبهن فالحمد لله الذي اصبتهن قبل الموت * وقال بقية بن الوليد حدثنا صفوان ابن عمرو عن سليم بن عامر الحضرمي قال قال عمر بن الخطاب عجبت لرؤيا الرجل يرى الشيء لم يخطر له على بال فيكون كاخذ بيد ويرى الشيء فلا يكون شيئا فقال علي بن ابي طالب يا امير المومنين

يقول الله عزوجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى قال والارواح يعرج بها في منامها فما رأت وهي في السماء فهو الحق فاذا ردت الى اجسادها تلقتها الشياطين في الهواء فكذبتها فما رأت من ذلك فهو الباطل قال فجعل عمر يتعجب من قول علي قال ابن مندة هذا خبر مشهور عن صفوان بن عمرو وغيره وروي عن ابي الدرداء وذكر الطبراني من حديث علي بن ابي طلحة ان عبدالله بن عباس قال لعمر بن الخطاب يا امير المومنين اشياء اسألك عنها قال سل عما شئت قال يا امير المومنين مم يذكر الرجل ومم ينسى ومم تصدق الرؤيا ومم تكذب فقال له عمر ان على القلب طخاوة كطخاوة القمر فاذا تغشت القلب نسي ابن ادم فاذا انجلت ذكر ما كان نسي واما مم تصدق الرؤيا ومم تكذب فان الله عزوجل يقول الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فمن دخل منها في ملكوت السماء فهي التي تصدق وما كان منها دون ملكوت السماء فهي التي تكذب * وروى ابن لهيعة عن عثمان بن نعيم الرعيني عن ابي عثمان الاصبحي عن ابي الدرداء قال اذا نام الانسان عرج بروحه حتى يوتى بها العرش فان كان طاهرا اذن لها بالسجود وان كان جنبا لم يوذن لها بالسجود * وروى جعفر بن عون عن ابراهيم الهجري عن ابي الاحوص عن عبدالله بن مسعود انه قال ان الارواح جنود مجندة تتلاقى فتشام كما تشام الخيل فما تعارف منها ائتلف

كيف تلتقي روح النائم وروح اليقظان

و ما تنا كر منها اختلف * و لم تزل الناس قديما وحديثا تعرف هذا وتشاهده

قال جميل بن معمر العذرى *

اظل نهارى مستهاما و تلتقي * مع الليل روحي في المنام وروحها

* فان قيل * فالنائم يرى غيره من الاحياء يحدثه ويخاطبه وربما كان بينهما مسافة بعيدة ويكون المرئ يقظان روحه لم تفارق جسده فكيف التقت روحاهما * قيل * هذا اما ان يكون مثلا مضروبا ضربه ملك الرؤيا للنائم او يكون حديث نفس من الرائي تجرد له في منامه

كما قال حبيب بن اوس *

سقيا لطيفك من زور اتاك به * حديث نفسك عنه وهو مشغول

و قد تتناسب الروحان وتشتد علاقة احداهما بالاخرى فيشعر كل منهما ببعض مايحدث لصاحبه وان لم يشعر بما يحدث لغيره لشدة العلاقة بينهما وقد شاهد الناس من ذلك عجائب والمقصود ان ارواح الاحياء تتلاقى في النوم كما تتلاقى ارواح الاحياء والاموات قال بعض السلف ان الارواح تتلاقى فى الهواء فتتعارف او تتذاكر فياتيها ملك الرؤيا بما هو لاقيها من خير او شر قال وقد وكل الله بالرؤيا الصادقة ملكا علمه والهمه معرفة كل نفس بعينها واسمها ومتقلبها في دينها ودنياها وطبعها ومعارفها لا يشتبه عليه منها شيء ولا يغلط فيها فياتيه نسخة من علم غيب الله من ام الكتاب بما هو مصيب لهذا الانسان من خير وشر فى دينه ودنياه ويضرب له فيها الامثال والاشكال على قدر عادته فتارة يبشره

بخير

بخير قدمه او يقدمه و ينذره من معصية ارتكبها او هم بها و يحذره من مكروه انعقدت اسبابه ليعارض تلك الاسباب باسباب تدفعها او لغير ذلك من الحكم و المصالح التي جعلها الله في الرؤيا نعمة منه و رحمة و احسانا و تذكيرا و تعريفا و جعل احد طرق ذلك تلاقي الارواح و تذاكرها و تعارفها و كم ممن كانت توبته و صلاحه و زهده و اقباله على الآخرة عن منام رآه او رؤي له و كم ممن استغنى و اصاب كنزا او دفينا عن منام وفي (كتاب المجالسة) لابي بكر احمد بن مروان المالكي عن ابن قتيبة عن ابي حاتم عن الاصمعي عن المعتمر بن سليمان عن من حدثه قال خرجنا مرة في سفر و كنا ثلاثة نفر فنام احد نا فرأينا مثل المصباح خرج من انفه فدخل غارا قريبا منه ثم رجع فدخل انفه فاستيقظ يمسح وجهه و قال رأيت عجبا رأيت في هذا الغار كذا و كذا فدخلناه فوجدنا فيه بقية من كنز كان * وهذا عبد المطلب دل في النوم على زمزم واصاب الكنز الذي كان هناك وهذا عمير بن وهب اتي في منامه فقيل له قم الى موضع كذا و كذا من البيت فاحفره تجد مال ابيك وكان ابوه قد دفن مالا و مات ولم يوص به فقام عمير من نومه فاحتفر حيث امره فاصاب عشرة الاف درهم و تبرا كثيرا فقضى دينه و حسن حاله و حال اهل بيته وكان ذلك عقيب اسلامه فقالت له الصغرى من بناته يا ابت ربنا هذا الذي حبانا بدينه خير من هبل و العزى و لولا انه كذلك ما ورثك هذا المال وانما عبدتها ايا ما قلائل * قال علي بن ابي طالب القيرواني العابر وما حديث عمير

هذا واستخراجه المال بالمنام باعجب مما كان عندنا وشاهدناه في عصرنا
ببلدنا من ابي محمد عبد الله البغانشي وكان رجلا صالحا مشهورا برؤية
الاموات وسؤالهم عن الغائبات ونقله ذلك الى اهلهم وقراباتهم
حتى اشتهر بذلك وكثر منه فكان المرء ياتيه فيشكو اليه ان حميمه
قد مات من غير وصية وله مال لا يهتدي مكانه فيعده خيرا ويدعو
الله تعالى في ليلته فيترايا له الميت الموصوف فيسأله عن الامر فيخبره به فمن
نوادره ان امرأة عجوزا من الصالحات توفيت ولامرأة عندها سبعة
دنانير وديعة فجاءت اليه صاحبة الوديعة وشكت اليه ما نزل بها واخبرته
باسمها واسم الميتة صاحبتها ثم عادت اليه من الغد فقال لها تقول لك
فلانة عدى من سقف بيتي سبع خشبات تجدي الدنانير في السابعة
في خرقة صوف ففعلت ذلك فوجدتها كما وصف لها * قال واخبرني
رجل لا اظن به كذبا قال استاجرتني امرأة من اهل
الدنيا على هدم دارها وبنائها بمال معلوم فلما اخذت في الهدم
لزمت الفعلة هي ومن معها فقلت مالك قالت والله مالي الى هدم
هذه الدار من حاجة لكن ابي مات وكان ذا يسار كثير فلم نجد له
كثير شيء فخلت ان ماله مدفون فعمدت الى هدم الدار لعلي اجد شيئا فقال
لها بعض من حضرنا لقد فاتك ما هو اهون عليك من هذا قالت وما هو
قال فلان تمضين اليه وتسالينه ان يبيت قصتك الليلة فلعله يرى
اباك فيدلك على مكان ماله بلا تعب ولا كلفة فذهبت اليه ثم عادت الينا

فزعمت

فزعمت انه كتب اسمها واسم ابيها عنده فلما كان من الغد بكرت الى العمل وجاءت المرأة من عند الرجل فقالت ان الرجل قال لي رأيت اباك وهو يقول المال في الحنية قال فجعلنا نحفر تحت الحنية وفي جوانبها حتى لاح لي شق واذا المال فيه قال فاخذنا في التعجب والمرأة تستخف بما وجدت وتقول مال ابي كان اكثر من هذا ولكني اعود اليه فمضت فاعلمته ثم سألته المعاودة فلما كان من الغد اتت وقالت انه قال لها ان اباك يقول لك احفري تحت الجابية المربعة التي في مخزن الزيت قال ففتحت المخزن فاذا الجابية مربعة في الركن فازلناها وحفرنا تحتها فوجدنا كوزا كبيرا فاخذته ثم دام بها الطمع في المعاودة ففعلت فرجعت من عنده وعليها الكآبة فقالت زعم انه راه وهو يقول له قد اخذت ماقدر لها واما ما بقي فقد جلس عليه عفريت من الجن يحرسه الى من قدر له * والحكايات في هذا الباب كثيرة جدا واما من حصل له الشفاء باستعمال دواء راى من وصفه له في منامه فكثير جدا وقد حدثني غير واحد ممن كان غير مائل الى شيخ الاسلام ابن تيمية انه رآه بعد موته وساله عن شيء كان يشكل عليه من مسائل الفرائض وغيرها فاجابه بالصواب وبالجملة فهذا امر لا ينكره الا من هو اجهل الناس بالارواح واحكامها وشانها وبالله التوفيق *

جلوس العفريت على المال

المسئلة الرابعة ان الروح هل تموت ام الموت للبدن وحده

﴿ فصل ﴾ * * ﴿ واما المسئلة الرابعة وهي ان الروح هل تموت ام الموت للبدن وحده ﴾

فقد اختلف الناس في هذا فقالت طائفة تموت وتذوق الموت لانها نفس وكل نفس ذائقة الموت قالوا وقد دلت الادلة على انه لا يبقى الا الله وحده قال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام * وقال تعالى كل شيء هالك الا وجهه * قالوا واذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية اولى بالموت قالوا وقد قال تعالى عن اهل النار انهم قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين * فالموتة الاولى هذه المشهودة وهي للبدن والاخرى للروح وقال اخرون لا تموت الارواح فانها خلقت للبقاء وانما تموت الابدان قالوا وقد دلت على هذا الاحاديث الدالة على نعيم الارواح وعذابها بعد المفارقة الى ان يرجعها الله في اجسادها ولو ماتت الارواح لانقطع عنها النعيم والعذاب وقد قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم * هذا مع القطع بان ارواحهم قد فارقت اجسادهم وقد ذاقت الموت والصواب ان يقال موت النفوس هو مفارقتها لاجسادها وخروجها منها فان اريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت وان اريد انها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فهي لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم

او في عذاب كما سياتي ان شاء الله تعالى بعد هذا وكما صرح به النص انها كذلك حتى يردها الله في جسدها وقد نظم احمد بن الحسين الكندي هذا الاختلاف في قوله *

تنازع الناس حتى لا اتفاق لهم * الا على شجب والخلف في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة * وقيل تشرك جسم المرء في العطب

فان قيل فعند النفخ في الصور هل تبقى الارواح حية كما هي او تموت ثم تحيي * قيل * قد قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله * فقد استثنى الله سبحانه بعض من في السموات ومن في الارض من هذا الصعق فقيل هم الشهداء هذا قول ابي هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وهذا قول مقاتل وغيره وقيل هم الذين في الجنة من الحور العين وغيرهم ومن في النار من اهل العذاب وخزنتها قاله ابو اسحق بن شاقلا من اصحابنا وقد نص الامام احمد على ان الحور العين والولدان لا يمتن عند النفخ في الصور وقد اخبر سبحانه ان اهل الجنة لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وهذا نص على انهم لا يموتون غير تلك الموتة الاولى فلو ماتوا مرة ثانية لكانت موتتان واما قول اهل النار ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فتفسير هذه الاية الآية التي في البقرة وهي قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم * فكانوا امواتا وهم نطف في

اصلاب آبائهم وفي ارحام امهاتهم ثم احياهم بعد ذلك ثم اماتهم ثم
يحييهم يوم النشور وليس في ذلك اماتة ارواحهم قبل يوم القيامة
والا كانت ثلاث موتات وصعق الارواح عند النفخ في الصور لا يلزم
منه موتها ففي الحديث الصحيح ان الناس يصعقون يوم القيامة فاكون
اول من يفيق فاذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا ادري افاق قبلي ام
جوزي بصعقة يوم الطور * فهذا صعق في موقف القيامة اذا جاء الله
لفصل القضاء واشرقت الارض بنوره فحينئذ تصعق الخلائق كلهم
قال تعالى فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون * ولو كان
هذا الصعق موتا لكانت موتة اخرى وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء
فقال ابو عبد الله القرطبي ظاهر هذا الحديث ان هذه صعقة
غشي تكون يوم القيامة لا صعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور قال
وقد قال شيخنا احمد بن عمرو ظاهر حديث النبي صلى الله عليه
وسلم يدل على ان هذه الصعقة انما هي بعد النفخة الثانية نفخة
البعث ونص القرآن يقتضي ان ذلك الاستثناء انما هو بعد نفخة
الصعق ولما كان هذا قال بعض العلماء يحتمل ان يكون موسى ممن لم يمت من
الانبياء وهذا باطل وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد بهذه
صعقة فزع بعد النشور حين تنشق السموات والارض قال فتستقل
الاحاديث والآثار ورد عليه ابو العباس القرطبي فقال يرده هذا
قوله في الحديث الصحيح انه حين يخرج من قبره يلقى موسى آخذا بقائمة

بيان الاقوال في توجيه قول النبي صلى الله عليه وسلم الناس يصعقون يوم القيمة فاكون اول من يفيق فاذا موسى آخذ بقائمة العرش

العرش قال وهذا انما هو عند نفخة الفزع قال ابو عبد الله وقال شيخنا احمد بن عمر والذي يزيح هذا الاشكال ان شاء الله ان الموت ليس بعدم محض وانما هو انتقال من حال الى حال ويدل على ذلك ان الشهداء بعد قتلهم وموتهم احياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين وهذه صفة الاحياء في الدنيا واذا كان هذا في الشهداء كان الانبياء بذلك احق واولى مع انه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض لاتاكل اجساد الانبياء وانه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالانبياء ليلة الاسراء فى بيت المقدس وفى السماء خصوصا بموسى وقد اخبر بانه مامن مسلم يسلم عليه الارد الله عليه روحه حتي يرد عليه السلام الى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بان موت الانبياء انما هو راجع الى ان غيبوا عنا بحيث لاندركهم وان كانوا موجودين احياء وذلك كالحال في الملائكة فانهم احياء موجودون ولا نراهم واذا تقرر انهم احياء فاذا انفخ في الصور نفخة الصعق صعق كل من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فاما صعق غير الانبياء فموت واما صعق الانبياء فالاظهر انه غشية فاذا نفخ في الصور نفخة البعث فمن مات حيى ومن غشي عليه افاق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق على صحته فاكون اول من يفيق * فنبينا اول من يخرج من قبره قبل جميع الناس الا موسى فانه حصل فيه تردد هل بعث قبله من غشيته او بقي على الحالة التي كان عليها قبل نفخة الصعق

مفيقا لانه حوسب بصعقة يوم الطور وهذه فضيلة عظيمة لموسى
ولا يلزم من فضيلة واحدة افضليته على نبينا مطلقا لان الشيء الجزءي
لا يوجب امرا كليا انتهى قال ابو عبد الله القرطبي ان حمل الحديث
على صعقة الخلق يوم القيامة فلا اشكال وان حمل على صعقة الموت
عند النفخ في الصور فيكون ذكر يوم القيامة يراد به اوائله فالمعنى
اذ انفخ في الصور نفخة البعث كنت اول من يرفع راسه فاذا موسى
آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادري افاق قبلي ام جوزي بصعقة
الطور * قلت * وحمل الحديث على هذا لا يصح لانه صلى الله عليه وسلم
تردد هل افاق موسى قبله ام لم يصعق بل جوزي بصعقة الطور فالمعنى
لا ادري اصعق ام لم يصعق وقد قال في الحديث فاكون اول من يفيق
وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم يصعق فيمن يصعق وان التردد حصل
في موسى هل صعق وافاق قبله من صعقته ام لم يصعق ولو كان المراد به
الصعقة الاولى وهي صعقة الموت لكان صلى الله عليه وسلم قد جزم بموته
وتردد هل مات موسى ام لم يمت وهذا باطل لوجوه كثيرة فعلم
انها صعقة فزع لا صعقة موت وحينئذ فلا تدل الآية على ان
الارواح كلها تموت عند النفخة الاولى نعم تدل على ان موت
الخلائق عند النفخة الاولى وكل من لم يذق الموت قبلها فانه يذوقه
حينئذ واما من ذاق الموت او من لم يكتب عليه الموت فلا تدل الآية
على انه يموت موتة ثانية والله اعلم * فان قيل * فكيف تصنعون بقوله

في الحديث ان الناس يصعقون يوم القيامة فاكون اول من تنشق عنه الارض فاجد موسى باطشا بقائمة العرش * قيل * لا ريب ان هذا اللفظ قد ورد هكذا ومنه نشأ الاشكال ولكنه دخل فيه على الراوي حديث في حديث فركب بين اللفظين فجاء هذا والحديثان هكذا * احدهما * ان الناس يصعقون يوم القيامة فاكون اول من يفيق * والثانى هكذا انا اول من تنشق عنه الارض يوم القيامة * ففى الترمذي وغيره من حديث ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح فدخل على الراوي هذا الحديث في الحديث الاخر وكان شيخنا ابو الحجاج الحافظ يقول ذلك * فان قيل * فما تصنعون بقوله فلا ادرى افاق قبلي ام كان ممن استثنى الله عز وجل والذين استثناهم الله انما هم مستثنون من صعقة النفخة لا من صعقة يوم القيامة كما قال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله * ولم يقع الاستثناء من صعقة الخلائق يوم القيامة * قيل * هذا والله اعلم غير محفوظ وهو وهم من بعض الرواة والمحفوظ ما تواطأت الروايات الصحيحة من قوله فلا ادرى افاق قبلي ام جوزي بصعقة الطور فظن بعض الرواة ان هذه الصعقة هي صعقة النفخة وان موسى داخل فيمن استثنى منها وهذا لا يلتئم على مساق

الحديث قطعا فان الافاقة حينئذ هي افاقة البعث فكيف يقول لا ادرى ابعث قبلي ام جوزى بصعقة الطور فتامله وهذا بخلاف الصعقة التى يصعقها الخلائق يوم القيامة اذا جاء الله سبحانه لفصل القضاء بين العباد وتجلى لهم فانهم يصعقون جميعا واما موسى صلى الله عليه وسلم فان كان لم يصعق معهم فيكون قد حوسب بصعقته يوم تجلى ربه للجبل فجعله دكا فجعلت صعقة هذا التجلى عوضا من صعقة الخلائق لتجلى الرب يوم القيامة فتامل هذا المعنى العظيم ولولم يكن في الجواب الا كشف هذا الحديث وشانه لكان حقيقا ان يعض عليه بالنواجذ ولله الحمد والمنة وبه التوفيق ❊

❊ فصل ❊ ❊ ❊ ❊ واما المسئلة الخامسة وهي ان الارواح بعد مفارقة الابدان اذا تجردت باى شئ يتميز بعضها من بعض حتى تتعارف وتتلاقى وهل تشكل اذا تجردت بشكل بدنها الذى كانت فيه وتلبس صورته ام كيف يكون حالها ❊

❊ المسئلة الخامسة وهي ان الارواح بعد مفارقة الاجسام الخ ❊

فهذه مسئلة لا تكاد تجد من تكلم فيها ولا يظفر فيها من كتب الناس بطائل ولا غير طائل ولا سيما على اصول من يقول بانها مجردة عن المادة وعلائقها وليست بداخل العالم ولا خارجه ولا لها شكل ولا قدر ولا شخص فهذا السوال على اصولهم مما لا جواب لهم عنه وكذلك من يقول هي عرض من اعراض البدن فتميزها عن غيرها مشروط بقيامها ببدنها فلا تميز لها بعد الموت بل لا وجود لها على اصولهم بل تعدم وتبطل باضمحلال البدن كما

تبطل سائر صفات الحي ولا يمكن جواب هذه المسئلة الا على اصول اهل السنة
التى تظاهرت عليها ادلة القرآن والسنة والاثار والاعتبار والعقل
والقول انها ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل وتخرج
وتذهب وتجئ وتتحرك وتسكن وعلى هذا اكثر من مائة دليل
قد ذكرناها في كتابنا الكبير في) معرفة الروح والنفس) وبينا بطلان
ماخالف هذا القول من وجوه كثيرة وان من قال غيره لم يعرف
نفسه وقد وصفها الله سبحانه وتعالى بالدخول والخروج والقبض
والتوفي والرجوع وصعودها الى السماء وفتح ابوابها لها وغلقها عنها
فقال تعالى ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا
ايديهم اخرجوا انفسكم * وقال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي
الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي * وهذا
يقال لها عند المفارقة للجسد وقال تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها
وتقواها * فاخبر انه سوى النفس كما اخبر انه سوى البدن في قوله
الذي خلقك فسواك فعدلك * فهو سبحانه سوى نفس الانسان
كما سوى بدنه بل سوى بدنه كالقالب لنفسه فتسوية البدن تابع
لتسوية النفس والبدن موضوع لها كالقالب لما هو موضوع له ومن
ههنا يعلم انها تاخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها فانها تتأثر وتنتقل
عن البدن كما يتأثر البدن وينتقل عنها فيكتسب البدن الطيب والخبث
من طيب النفس وخبثها وتكتسب النفس الطيب والخبث من طيب

البدن وخبثه فاشد الاشياء ارتباطا وتناسبا وتفاعلا وتأثرا من احدهما بالاخر الروح والبدن ولهذا يقال لها عند المفارقة اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب واخرجي ايتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث وقال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت في منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى * فوصفها بالتوفى والامساك والارسال كما وصفها بالدخول والخروج والرجوع والتسوية وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان بصر الميت يتبع نفسه اذا قبضت * واخبر ان الملك يقبضها فتاخذها الملائكة من يده فيوجد لها كاطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض او كانتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض * والاعراض لاريح لها ولا تمسك ولا توخذ من يد الى يد واخبر انها تصعد الى السماء ويصلى عليها كل ملك لله بين السماء والارض وانها تفتح لها ابواب السماء فتصعد من سماء الى سماء حتى ينتهى بها الى السماء التى فيها الله عز وجل فتوقف بين يديه ويامر × بكتابة اسمه في ديوان اهل عليين او ديوان اهل سجين ثم ترد الى الارض وان روح الكافر تطرح طرحا وانها تدخل مع البدن في قبره للسوال * وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بان نسمة المؤمن وهي روحه طائر يعلق في شجر الجنة حتى يردها الله الى جسدها * واخبر ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها * واخبر ان الروح

× يومر تنعم

تنعم و تعذب فى البرزخ الى يوم القيامة و قد اخبر سبحانه عن
ارواح قوم فرعون انها تعرض على النار غدوا و عشيا قبل يوم
القيامة وقد اخبر سبحانه عن الشهداء بانهم احياء عند ربهم يرزقون
وهذه حياة ارواحهم و رزقها دار او الا فالابدان قد تمزقت وقد
فسر رسول الله صلى الله عليه و سلم هذه الحياة بان ارواحهم
في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث
شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال على
تشتهون شيئا قالوا اي شيء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا
ففعل بهم ذلك ثلاث مرات فلما رأوا انهم لن يتركوا من ان يسئلوا
قالوا نريد ان ترد ارواحنا في اجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة اخرى*
وصح عنه صلى الله عليه و سلم ان ارواح الشهداء في طير خضر تعلق
من ثمر الجنة * وتعلق بضم اللام اى تاكل العلقة وقال ابن عباس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله
ارواحهم فى اجواف طير خضر ترد انهار الجنة و تاكل من ثمارها
و تأوى الي قناديل من ذهب فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم
وما كلهم وحسن مقيلهم قالوا ياليت اخواننا يعلمون ما صنع الله لنا
لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عزوجل انا
ابلغهم عنكم فانزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه و سلم ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون الايات

رواه الامام احمد وهذا صريح في اكلها وشربها وحركتها وانتقالها وكلامها وسيأتي مزيد تقرير لذلك عن قريب ان شاء الله تعالى واذا كان هذا شان الارواح فتميزها بعد المفارقة يكون اظهر من تميز الابدان والاشتباه بينها ابعد من اشتباه الابدان فان الابدان تشتبه كثيرا واما الارواح فقل ما تشتبه يوضح هذا انا لم نشاهد ابدان الانبياء والصحابة والائمة وهم متميزون في علمنا اظهر تميز وليس ذلك التميز راجعا الى مجرد ابدانهم وان ذكر لنا من صفات ابدانهم ما يختص به احدهم عن الاخر بل التميز الذي عندنا بما علمناه وعرفناه من صفات ارواحهم وما قام بها وتميز الروح من الروح بصفاتها اعظم من تميز البدن عن البدن بصفاته الا ترى ان بدن المومن والكافر قد يشتبهان كثيرا وبين روحيهما اعظم التباين والتميز وانت ترى اخوين شقيقين مشتبهين في الخلقة غاية الاشتباه وبين روحيهما غاية التباين فاذا تجردت هاتان الروحان كان تميزهما في غاية الظهور واخبرك بامر اذا تأملت احوال الانفس والابدان شاهدته عيانا قل ان ترى بدنا قبيحا وشكلا شنيعا الا وجدته مركبا على نفس تشاكله وتناسبه وقل ان ترى افة في بدن الا وفي روح صاحبه افة تناسبها ولهذا اتاخذ اصحاب الفراسة احوال النفوس من اشكال الابدان واحوالها فقل ان تخطئ ذلك ويحكى عن الشافعي رح في ذلك عجائب وقل ان ترى شكلا حسنا وصورة جميلة وتركيبا لطيفا الا وجدت الروح المتعلقة به مناسبة له هذا اما لم يعارض ذلك

مايوجب خلافه من تعلم وتدرب واعتياد واذا كانت الارواح
العلوية وهم الملائكة متميزا بعضهم عن بعض من غير اجسام تحملهم
وكذلك الجن فتميز الارواح البشرية اولى *

﴿ فصل ﴾ * * * ﴿ واما المسئلة السادسة وهي ان الروح
هل تعاد الى الميت فى قبره وقت السوال ام لا تعاد ﴾

فقد كفانا رسول الله صلى الله عليه وسلم امر هذه المسئلة واغنانا
عن اقوال الناس حيث صرح باعادة الروح اليه فقال البراء بن
عازب كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا النبي صلى الله عليه وسلم
فقعد وقعدنا حوله كان على رؤسنا الطير وهو يلحد له فقال اعوذ بالله
من عذاب القبر ثلاث مرات ثم قال ان العبد اذا كان فى اقبال من
الاخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة كان وجوههم الشمس
فيجلسون منه مد البصر ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه
فيقول ايتها النفس الطيبة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج
تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء فياخذها فاذا اخذها لم يدعوها
في يده طرفة عين حتى ياخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وذلك الحنوط
ويخرج منها كاطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض قال
فيصعدون بها فلا يمرون بها يعنى على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا
الروح الطيب فيقولون فلان ابن فلان باحسن اسمائه التي كانوا
يسمونه فى الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له

فيشيعه من كل سماء [illegible] الى السماء التي تليها حتى ينتهى بها الى
السماء التى فيها الله تعالى فيقول الله عزوجل اكتبوا كتاب عبدى في عليين
واعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم
تارة اخرى قال فتعاد روحه فى جسده فياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له
من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول دينى الاسلام
فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له
وما علمك بهذا فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد
من السماء ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة وافتحوا له بابا من الجنة قال
فياتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره قال وياتيه رجل
حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذى يسرك
هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له من انت فوجهك الوجه الذى
يجئي بالخير فيقول انا عملك الصالح فيقول رب اقم الساعة حتى
ارجع الى اهلي ومالى قال وان العبد الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا
واقبال من الاخرة نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم
المسوح فيجلسون منه مذ البصر ثم يجيئ ملك الموت حتى يجلس عند
راسه فيقول ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب قال
فتتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فياخذها
فاذا اخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح
ويخرج منها كانتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها

فلا

فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الريح الخبيث فيقولون فلان ابن فلان باقبح اسمائه التى كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى به الى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط * فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين فى الارض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوى به الريح في مكان سحيق * فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا ادرى فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا ادرى فينادى مناد من السماء ان كذب عبدى فافرشوه من النار وافتحوا له بابا الى النار فياتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول ابشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من انت فوجهك الوجه الذى يجئ بالشر فيقول انا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة رواه الامام احمد وابو داود * وروى النسائي وابن ماجة اوله ورواه ابو عوانة الاسفرائينى في صحيحه وذهب الى القول بموجب هذا الحديث جميع اهل السنة والحديث من سائر الطوائف وقال ابو محمد بن حزم في كتاب الملل والنحل له واما من ظن ان الميت يحيى فى قبره قبل يوم القيامة فخطأ ان الايات

التي ذكرناها تمنع من ذلك يعني قوله تعالى قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين * وقوله تعالى وكيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم * قال ولو كان الميت يحيي في قبره لكان تعالى قد اماتنا ثلاثا واحيانا ثلاثا وهذا باطل وخلاف القران الا من احياه الله تعالى اية لنبي من الانبياء والذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم والذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها ومن خصه نص وكذلك قوله تعالى الله يتو فى الانفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى * فصح بنص القران ان ارواح سائر من ذكرنا لا ترجع الى جسده الا الى الاجل المسمى وهو يوم القيامة وكذلك اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى الارواح ليلة اسري به عند سماء الدنيا عن يمين ادم ارواح اهل السعادة وعن شماله ارواح اهل الشقاوة واخبر يوم بدر اذ خاطب الموتى انهم قد سمعوا قوله قبل ان تكون لهم قبور ولم ينكر على الصحابة قولهم قد جيفوا واعلم انهم سامعون قوله مع ذلك فصح ان الخطاب والسماع لارواحهم فقط بلا شك واما الجسد فلا حس له وقد قال تعالى وما انت بمسمع من في القبور فنفى السمع عن من فى القبور وهى الاجساد بلا شك ولا يشك مسلم ان الذى نفى الله عز وجل عنه السمع هو غير الذى اثبت له رسول الله صلى الله عليه وسلم السمع قال ولم يات قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر صحيح ان ارواح الموتى ترد الى

اجساد

اجسادهم عند المسئلة ولو صح ذلك عنه لقلنا به قال وانما تفرد بهذه الزيادة
من رد الارواح في القبور الى الاجساد المنهال بن عمرو وحده وليس
بالقوي تركه شعبة وغيره وقال فيه المغيرة بن مقسم الضبي وهو
احد الائمة ماجازت للمنهال بن عمرو قط شهادة في الاسلام على
ماقد نقل وسائر الاخبار الثابتة على خلاف ذلك قال وهذا الذى
قلناهو الذى صح ايضا عن الصحابة ثم ذكر من طريق ابن عيينة عن منصور
ابن صفية عن امه صفية بنت شيبة قالت دخل ابن عمر المسجد فابصر ابن
الزبير مطروحا قبل ان يقبر فقيل له هذه اسماء بنت ابي بكر الصديق
فمال ابن عمر اليها فعزاها وقال ان هذه الجثث ليست بشئ وان
الارواح عند الله فقالت امه وما يمنعني وقد اهدى راس يحيى بن زكريا الى
بغي من بغايا بني اسرائيل * قلت * ماذكره ابو محمد فيه حق وباطل اما
قوله من ظن ان الميت يحيى في قبره فخطأ فهذا فيه اجمال ان اراد به
الحياة المعهودة في الدنيا التى تقوم فيها الروح بالبدن وتدبره وتصرفه
ويحتاج معها الى الطعام والشراب واللباس فهذا خطأ كما قال والحس
والعقل يكذبه كما يكذبه النص وان اراد به حياة اخرى غير هذه الحياة
بل تعاد الروح اليه اعادة غير الاعادة المالوفة في الدنيا ليسئل ويمتحن
في قبره فهذا حق ونفيه خطأ وقد دل عليه النص الصحيح الصريح وهو قوله
صلى الله عليه وسلم فتعاد روحه في جسده وسنذكر الجواب عن تضعيفه
للحديث ان شاء الله تعالى واما استدلاله بقوله تعالى قالوا ربنا امتنا اثنتين

واحييتنا اثنتين * فلا ينفى ثبوت هذه الاعادة العارضة للروح في الجسد كما ان قتيل بنى اسرائيل الذى احياه الله بعد قتله ثم اماته لم تكن تلك الحياة العارضة له للمسئلة معتد ابها فانه حيي لحظة بحيث قال فلان قتلني ثم خر ميتا على ان قوله ثم تعاد روحه في جسده لا يدل على حياة مستقرة وانما يدل على اعادة لها الى البدن وتعلق به والروح لم تزل متعلقة ببدنها وان بلي وتمزق وسر ذلك ان الروح لها بالبدن خمسة انواع من التعلق متغائرة الاحكام * احدها * تعلقها به فى بطن الام جنينا * الثاني * تعلقها به بعد خروجه الى وجه الارض * الثالث * تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه * الرابع * تعلقها به في البرزخ فانها وان فارقته وتجردت عنه فانها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لا يبقى لها التفات اليه البتة وقد ذكرنا في اول الجواب من الاحاديث والاثار ما يدل على ردها اليه وقت سلام المسلم وهذا الرد اعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة * الخامس * تعلقها به يوم بعث الاجساد وهو اكمل انواع تعلقها بالبدن ولا نسبة لما قبله من انواع التعلق اليه اذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتا ولا نوما ولا فسادا واما قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت في منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى * فامساكه سبحانه التى قضى عليها الموت لا ينافي ردها الى جسدها الميت في وقت ما رد اعارضا لا يوجب له الحياة المعهودة في الدنيا واذا كان النائم روحه في جسده وهو حي وحياته غير حياة

المستيقظ فان النوم شقيق الموت فهكذا الميت اذا اعيدت روحه الى جسده كانت له حال متوسطة بين الحي و بين الميت الذي لم ترد روحه الى بدنه كحال النائم المتوسطة بين الحي والميت فتامل هذا يزيح عنك اشكالات كثيرة واما اخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن روية الانبياء ليلة اسرى به فقد زعم بعض اهل الحديث ان الذي راه اشباحهم وارواحهم قال فانهم احياء عند ربهم وقد رأى ابراهيم مسند اظهره الى البيت المعمور ورأى موسى قائما في قبره يصلي وقد نعت الانبياء لما راهم نعت الاشباح فرأى موسى ادماضربا طوالا كانه من رجال شنوءة ورأى عيسى يقطر راسه كانما اخرج من ديماس وراى ابراهيم فشبهه بنفسه ونازعهم فى ذلك آخرون وقالوا هذه الروية انما هي لارواحهم دون اجسادهم والاجساد فى الارض قطعا انما تبعث يوم بعث الاجساد ولم تبعث قبل ذلك اذ لو بعثت قبل ذلك لكانت قد انشقت عنها الارض قبل يوم القيامة وكانت تذوق الموت عند نفخة الصور وهذه موتة ثالثة وهذا باطل قطعا ولو كانت قد بعثت الاجساد من القبور لم يعدهم الله اليها بل كانت فى الجنة وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله حرم الجنة على الانبياء حتى يدخلها هو وهو اول من يستفتح باب الجنة وهو اول من تنشق عنه الارض على الاطلاق لم تنشق عن احد قبله ومعلوم بالضرورة ان جسده صلى الله عليه وسلم فى الارض طرى مطرا وقد ساله الصحابة كيف تعرض

صلاتنا عليك وقد ارمت فقال ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد
الانبياء ولو لم يكن جسده في ضريحه لما اجاب بهذا الجواب وقد صح
عنه ان الله وكل بقبره ملائكة يبلغونه عن امته السلام وصح عنه انه
خرج بين ابي بكر وعمر وقال هكذا انبعث *هذا مع القطع بان روحه
الكريمة في الرفيق الاعلى في اعلى عليين مع ارواح الانبياء وقد صح عنه
انه رآى موسى قائما يصلي في قبره ليلة الاسراء ورآه في السماء
السادسة او السابعة فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن في القبر
واشراف عليه وتعلق به بحيث يصلي في قبره ويرد سلام من سلم عليه
وهي في الرفيق الاعلى ولا تنافي بين الامرين فان شان الارواح
غير شان الابدان وانت تجد الروحين المتماثلتين المتناسبتين
في غاية التجاور والقرب وان كان بينهما بعد المشرقين وتجد الروحين
المتنافرتين المتباغضتين بينهما غاية البعد وان كان جسداهما
متجاورين متلاصقين وليس نزول الروح وصعودها وقربها
وبعدها من جنس ما للبدن فانها تصعد الى ما فوق السموات ثم تهبط
الى الارض ما بين قبضها ووضع الميت في قبره وهو زمن يسير
لا يصعد البدن وينزل في مثله وكذلك صعودها وعودها الى البدن
في النوم واليقظة وقد مثلها بعضهم بالشمس وشعاعها فانها في السماء
وشعاعها في الارض قال شيخنا وليس هذا مثلا مطابقا فان نفس
الشمس لا تنزل من السماء والشعاع الذى على الارض ليس هو

الشمس

الشمس ولا صفتها بل هو عرض حصل بسبب الشمس والجرم المقابل لها والروح نفسها تصعد وتنزل واما قول الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم في قتلى بدر كيف تخاطب اقواما قد جيفوا مع اخباره بسماعهم كلامه فلا ينفي ذلك رد ارواحهم الى اجساد هم ذلك الوقت رد يسمعون به خطابه والاجساد قد جيفت فالخطاب للارواح المتعلقة بتلك الاجساد التي قد فسدت واما قوله تعالى وما انت بمسمع من في القبور * فسياق الآية يدل على ان المراد منها ان الكافر الميت القلب لا تقدر على اسماعه اسماعا ينتفع به كما ان من في القبور لا تقدر على اسماعهم اسماعا ينتفعون به ولم يرد سبحانه ان اصحاب القبور لا يسمعون شيئا البتة كيف وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انهم يسمعون خفق نعال المشيعين واخبر ان قتلى بدر سمعوا كلامه وخطابه وشرع السلام عليهم بصيغة الخطاب للحاضر الذي يسمع واخبر ان من سلم على اخيه المومن رد عليه السلام * وهذه الآية نظير قوله انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين * وقد يقال نفي اسماع الصم مع نفي اسماع الموتى يدل على ان المراد عدم اهلية كل منهما للسماع وان قلوب هؤلاء لما كانت ميتة صماء كان اسماعها ممتنعا بمنزلة خطاب الميت والاصم وهذا حق ولكن لا ينفي اسماع الارواح بعد الموت اسماع توبيخ وتقريع بواسطة تعلقها بالابدان في وقت ما فهذا غير الاسماع المنفي والله اعلم وحقيقة المعنى انك لا تستطيع ان تسمع من لم يشأ الله ان

يسمعه ان انت الا نذير اى انما جعل الله لك الاستطاعة على الانذار الذى كلفك اياه لا على اسماع من لم يشأ الله اسماعه واما قوله ان الحديث لا يصح لتفرد المنهال بن عمرو وحده به وليس بالقوى فهذا من مجازفته رحمه الله فالحديث صحيح لا شك فيه وقد رواه عن البراء بن عازب جماعة غير زاذان منهم عدي بن ثابت ومحمد بن عقبة ومجاهد قال الحافظ ابو عبد الله بن مندة في (كتاب الروح والنفس) اخبرنا محمد بن يعقوب بن يوسف ثنا محمد بن اسحق الصفار انا ابو النضر هاشم بن القاسم حدثنا عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلسنا وجلس كان على اكتافنا فلق الصخر وعلى رؤسنا الطير فارم قليلا والارمام السكوت فلما رفع رأسه قال ان المؤمن اذا كان في قبل من الاخرة ودبر من الدنيا وحضره ملك الموت نزلت عليه ملائكة معهم كفن من الجنة وحنوط من الجنة فجلسوا منه مد البصر وجاء ملك الموت فجلس عند رأسه ثم قال اخرجي ايتها النفس المطمئنة اخرجي الى رحمة الله ورضوانه فتنسل نفسه كما تقطر القطرة من السقاء فاذا خرجت نفسه صلى عليه كل من بين السماء والارض الا الثقلين ثم يصعد به الى السماء فيفتح له السماء ويشيعه مقربوها الى السماء الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة الى العرش مقربوا كل سماء

فاذا انتهى الى العرش كتب كتابه في عليين و يقول الرب عزوجل
ردوا عبدي الى مضجعه فاني وعدتهم اني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها
اخرجهم تارة اخرى فيرد الى مضجعه فياتيه منكر و نكير يثيران
الارض بانيابهما و يفحصان الارض باشعارهما فيجلسانه ثم يقال له ياهذا
من ربك فيقول ربي الله فيقولان صدقت ثم يقال له ما دينك فيقول
ديني الاسلام فيقولان صدقت ثم يقال له من نبيك فيقول
محمد رسول الله فيقولان صدقت ثم يفسح له في قبره مد بصره ويأتيه
رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول جزاك الله خيرا
فوالله ما علمت ان كنت لسريعا في طاعة الله بطيئا عن معصية الله فيقول
وانت فجزاك الله خيرا فمن انت فقال انا عملك الصالح ثم يفتح له باب
الى الجنة فينظر الى مقعده و منزله منها حتى تقوم الساعة وان الكافر اذا كان
في دبر من الدنيا و قبل من الاخرة و حضره الموت نزلت عليه من
السماء ملائكة معهم كفن من النار و حنوط من نار قال فيجلسون منه
مد بصره وجاء ملك الموت فجلس عند راسه ثم قال اخرجي ايتها
النفس الخبيثة اخرجي الى غضب الله وسخطه فتفرق روحه في جسده
كراهية ان تخرج لما ترى و تعاين فيستخرجها كما يستخرج السفود من
الصوف المبلول فاذا اخرجت نفسه لعنه كل شيء بين السماء والارض
الا الثقلين ثم يصعد به الى السماء فتغلق دونه فيقول الرب عزوجل
ردوا عبدي الى مضجعه فاني وعدتهم اني منها خلقتهم وفيها

الحيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى فترد روحه الى مضجعه فياتيه
منكر ونكير يثيران الارض بانيابهما ويفحصان الارض باشعارهما اصواتهما
كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف فيجلسانه ثم
يقولان ياهذا من ربك فيقول لا ادري فينادي من جانب القبر
لا دريت فيضربانه بمرزبة من حديد لو اجتمع عليها من بين
الخافقين لم تقل ويضيق عليه قبره حتي تختلف اضلاعه ويأتيه رجل
قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول جزاك الله شرا فوالله ماعلمت
ان كنت لبطيئا عن طاعة الله سريعا في معصية الله فيقول ومن انت
فيقول انا عملك الخبيث ثم يفتح له باب الى النار فينظر الى مقعده فيها
حتى تقوم الساعة* رواه الامام احمد ومحمود بن غيلان وغيرهما
عن ابي النضر ففيه ان الارواح تعاد الى القبر وان الملكين يجلسان الميت
ويستنطقانه ثم ساقه ابن مندة من طريق محمد بن سلمة عن خصيف
الجزرى عن مجاهد عن البراء بن عازب قال كنا في جنازة رجل من
الانصار ومعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهينا الى القبر ولم يلحد
ووضعت الجنازة وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان
المؤمن اذا احتضر اتاه ملك الموت في احسن صورة واطيبه ريحا فجلس
عنده لقبض روحه واتاه ملكان بحنوط من الجنة وكفن من الجنة وكانا
منه على بعيد فاستخرج ملك الموت روحه من جسده رشحا فاذا
صارت الى ملك الموت ابتدرها الملكان فاخذاها منه فحنطاها بحنوط

من

من الجنة وكفناها بكفن من الجنة ثم عرجا به الى الجنة فتفتح له ابواب
السماء وتستبشر الملائكة بها ويقولون ان هذه الروح الطيبة التي
فتحت لها ابواب السماء ويسمي باحسن الاسماء التي كان يسمى بها في
الدنيا فيقال هذه روح فلان فاذا اصعد بها الى السماء شيعها مقربوا
كل سماء حتى توضع بين يدى الله عند العرش فيخرج عملها من عليين
فيقول الله عز وجل للمقربين اشهدوا اني قد غفرت لصاحب هذا
العمل ويختم كتابه فيرد في عليين فيقول الله عزوجل ردوا روح عبدى الى
الارض فاني وعدتهم اني اردهم فيها ثم قرأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فاذا
وضع المومن في قبره فتح له باب عند رجليه الى الجنة فيقال له انظر الى
ما اعد الله لك من الثواب ويفتح له باب عند راسه الى النار فيقال له
انظر ما صرف الله عنك من العذاب ثم يقال له نم قرير العين فليس شيء
احب اليه من قيام الساعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضع
المومن في لحده تقول له الارض ان كنت لحبيبا الي وانت على ظهري
فكيف اذا اصرت اليوم في بطني سار يك ما اصنع بك فيفسح له في قبره
مد بصره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضع الكافر في
قبره اتاه منكر ونكير فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول لا ادرى
فيقولان له لا دريت فيضربانه ضربة فيصير رمادا ثم يعاد فيجلس
فيقال له ما قولك في هذا الرجل فيقول اي الرجل فيقولان محمد

صلى الله عليه وسلم فيقول قال الناس انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيضرب بانه ضربة فيصير رمادا * هذا احديث ثابت مشهور مستفيض
صححه جماعة من الحفاظ ولا يعلم احد من ائمة الحديث طعن فيه بل
رووه في كتبهم وتلقوه بالقبول وجعلوه اصلا من اصول الدين في
عذاب القبر ونعيمه ومسائلة منكر ونكير وقبض الارواح
وصعودها الى بين يدي الله ثم رجوعها الى القبر وقول ابي محمد
لم يروه غير زاذان فوهم منه بل رواه عن البراء غير زاذان ورواه عنه
عدي بن ثابت ومجاهد بن جبر ومحمد بن عقبة وغيرهم وقد جمع
الدارقطني طرقه في مصنف مفرد وزاذان من الثقات روى عن
اكابر الصحابة كعمر وغيره وروى له مسلم في صحيحه قال يحيى بن معين
ثقة وقال حميد بن هلال وقد سئل عنه هو ثقة لا تسأل عن مثل هؤلاء
وقال ابن عدي احاديثه لا باس بها اذا روى عن ثقة وقوله ان المنهال
ابن عمرو تفرد بهذه الزيادة وهي قوله فتعاد روحه في جسده وضعفه
فالمنهال احد الثقات العدول قال ابن معين المنهال ثقة وقال العجلي
كوفي ثقة واعظم ما قيل فيه انه سمع من بيته صوت غناء وهذا
لا يوجب القدح في روايته واطراح حديثه وتضعيف ابن حزم له
لا شيء فانه لم يذكر موجبا لتضعيفه غير تفرده بقوله فتعاد روحه في جسده
وقد بينا انه لم يتفرد بها بل قد رواها غيره وقد روي ما هو ابلغ منها
او نظيرها كقوله فترد اليه روحه وقوله فتصيره الى قبره وقوله فيستوي

جالسا وقوله فيجلسانه و قوله فيجلس فى قبره و كلها احاديث صحاح لا مغمز فيها و قد اعل غيره بان زاذان لم يسمعه من البراء و هذه العلة باطلة فان ابا عوانة الاسفرائيني رواه في صحيحه باسناده و قال عن ابن عمرو بن زاذان (١) الكندى قال سمعت البراء بن عازب وقال الحافظ ابو عبد الله بن مندة هذا اسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء و لو نزلنا عن حديث البراء فسائر الاحاديث الصحيحة صريحة في ذلك مثل حديث ابن ابي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قال اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح و ريحان و رب غير غضبان قال فيقول ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان × فيقولون مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلى حميدة و ابشرى بروح و ريحان و رب غير غضبان فيقال لها ذلك حتى ينتهى بها الى السماء التي فيها الله عز و جل و اذا كان الرجل السوء قال اخرجى ايتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وابشرى بحميم وغساق واخر من شكله ازواج فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقولون لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعى ذميمة فانها لن تفتح لك ابواب

(١) هكذا والظاهر عن ابي عمر زاذان ١٢ × فلان ابن فلان

السماء فترسل بين السماء والارض فتصير الى القبر فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا معوق ثم يقال فما كنت تقول في الاسلام ماهذا الرجل فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من قبل الله فآمنا وصدقنا * وذكر تمام الحديث قال الحافظ ابو نعيم هذا حديث متفق على عدالة ناقله اتفق الامامان محمد بن اسمعيل البخاري ومسلم بن الحجاج على ابن ابي ذئب ومحمد بن عمرو بن عطاء وسعيد ابن يسار وهم من شرطهما ورواه المتقدمون الكبار عن ابن ابي ذئب مثل ابن ابي فديك وعبد الرحيم بن ابراهيم انتهى ورواه عن ابن ابي ذئب غير واحد وقد احتج ابو عبد الله بن منده على اعادة الروح الى البدن بان قال ثنا محمد بن الحسين بن الحسن ثنا محمد بن يزيد النيسابوري ثنا حماد بن قيراط ثنا محمد بن الفضل عن يزيد بن عبد الرحمن الصائغ البلخي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قاعد تلا هذه الاية ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم الاية ثم قال والذى نفس محمد بيده مامن نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها من الجنة او النار ثم قال فاذا كان عند ذلك صف له سماطان من الملائكة ينتظمان مابين الخافقين كان وجوههم الشمس فينظر اليهم مايرى غيرهم وان كنتم ترون انهم ينظرون (١) اليكم مع كل منهم اكفان وحنوط فان كان مومنا بشروه بالجنة وقالوا اخرجي ايتها النفس الطيبة الى رضوان الله وجنته فقد اعد الله لك من الكرامة

(١) هكذا في المنقول عنه والظاهر انه ينظر اليكم ١٢

ماهو

ما هو خير لك من الدنيا وما فيها فلا يزالون يبشرونه ويحفون به فلهم الطف وارأف من الوالدة بولدها ثم يسلون روحه من تحت كل ظفر ومفصل ويموت الاول فالاول ويهون عليه وان كنتم ترونه شديدا حتى تبلغ ذقنه قال فلهي اشد كراهية للخروج من الجسد من الولد حين يخرج من الرحم فيبتدرونها كل ملك منهم ايهم يقبضها فيتولى قبضها ملك الموت ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون فيتلقاها باكفان بيض ثم يحتضنها اليه فلهو اشد لزوما من المرأة اذا ولد ثم يفوح منها ريح اطيب من المسك فيستنشقون ريحها ويتباشرون بها ويقولون مرحبا بالروح الطيبة والروح الطيب اللهم صل عليه روحا وعلى جسد خرجت منه قال فيصعدون بها ولله عز وجل خلق في الهواء لا يعلم عدتهم الا هو فيفوح لهم منها ريح اطيب من المسك فيصلون عليها ويتباشرون بها ويفتح لهم ابواب السماء فيصلي عليها كل ملك في كل سماء تمر بهم حتى ينتهي بها بين يدي الملك الجبار فيقول الجبار جل جلاله مرحبا بالنفس الطيبة وبجسد خرجت منه واذا قال الرب عز وجل لشيء مرحبا رحب له كل شيء ويذهب عنه كل ضيق ثم يقول لهذه النفس الطيبة ادخلوها الجنة واروها مقعدها من الجنة واعرضوا عليها ما اعددت لها من الكرامة والنعيم ثم اذهبوا بها الى الارض فاني قضيت اني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة

﴿ فصل في ان هل عذاب القبر على النفس والبدن او على النفس دون البدن او على البدن دون النفس وهل يشارك البدن النفس في النعيم والعذاب ام لا ﴾

اخرجي فوالذي نفس محمد بيده لهي اشد كراهية للخروج منها حين كانت تخروج من الجسد وتقول اين تذهبون بي الى ذلك الجسد الذى كنت فيه قال فيقولون انا مامورون بهذا فلا بد لك منه فيهبطون به على قدر فراغهم من غسله واكفانه فيدخلون ذلك الروح بين جسده واكفانه فدل هذا الحديث ان الروح تعاد بين الجسد والاكفان وهذا اعود غير التعلق الذى كان لها في الدنيا بالبدن وهو نوع آخر وغير تعلقها به حال النوم وغير تعلقها به وهي في مقرها بل هو عود خاص للمسائلة قال شيخ الاسلام الاحاديث الصحيحة المتواترة تدل على عود الروح الى البدن وقت السوال وسوال البدن بلا روح قول قاله طائفة من الناس وانكره الجمهور وقابلهم اخرون فقالوا السوال للروح بلا بدن وهذا قاله ابن مرة وابن حزم وكلاهما غلط والاحاديث الصحيحة ترده ولوكان ذلك على الروح فقط لم يكن للقبر بالروح اختصاص ❊

﴿ فصل ﴾

وهذا يتضح بجواب المسئلة وهي قول السائل هل عذاب القبر على النفس والبدن او على النفس دون البدن او على البدن دون النفس وهل يشارك البدن النفس في النعيم والعذاب ام لا وقد سئل شيخ الاسلام عن هذه المسئلة ونحن نذكر لفظ جوابه فقال بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق اهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتنعم وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب

عليهما في هذه الحال مجتمعين كما تكون الروح منفردة عن البدن وهل يكون
العذاب والنعيم للبدن بدون الروح هذا فيه قولان مشهوران لاهل
الحديث والسنة واهل الكلام وفي المسئلة اقوال شاذة ليست من اقوال
اهل السنة والحديث قول من يقول ان النعيم والعذاب لا يكون الا على
الروح وان البدن لا ينعم ولا يعذب وهذا القوله الفلاسفة المنكرون
لمعاد الابدان وهؤلاء كفار باجماع المسلمين ويقوله كثير من اهل
الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الابدان لكن يقولون لا يكون
ذلك في البرزخ وانما يكون عند القيام من القبور لكن هؤلاء ينكرون
عذاب البدن في البرزخ فقط ويقولون ان الارواح هي المنعمة او المعذبة
في البرزخ فاذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معا وهذا القول
قاله طوائف من المسلمين من اهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار
ابن حزم وابن مسرة فهذا القول ليس من الاقوال الثلاثة الشاذة بل
هو مضاف الى قول من يقول بعذاب القبر ويقر بالقيامة ويثبت
معاد الابدان والارواح ولكن هؤلاء لهم في عذاب القبر ثلاثة اقوال
* احدها * انه على الروح فقط * الثاني * انه عليها وعلى البدن
بواسطتها * الثالث * انه على البدن فقط وقد يضم الى ذلك
القول الثاني وهو قول من يثبت عذاب القبر ويجعل
الروح هي الحياة ويجعل الفساد قول منكر عذاب الابدان
مطلقا وقول من ينكر عذاب الروح مطلقا فاذا جعلت الاقوال الشاذة

ثلاثة * فالقول الثاني * الشاذ * قول من يقول ان الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب وانما الروح هي الحياة وهذا يقوله طوائف من اهل الكلام من المعتزلة والأشعرية كالقاضي ابي بكر وغيره وينكرون ان الروح تبقى بعد فراق البدن وهذا قول باطل وقد خالف اصحابه ابو المعالي الجويني وغيره بل قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الامة ان الروح تبقى بعد فراق البدن وانها منعمة او معذبة والفلاسفة الالهيون يقرون بذلك لكن ينكرون معاد الابدان وهؤلاء يقرون بمعاد الابدان لكن ينكرون معاد الارواح ونعيمها وعذابها بدون الابدان وكلا القولين خطأ وضلال لكن قول الفلاسفة ابعد عن اقوال اهل الاسلام وان كان قد يوافقهم عليه من يعتقد انه متمسك بدين الاسلام بل من يظن انه من اهل المعرفة والتصوف والتحقيق والكلام * والقول الثالث الشاذ * قول من يقول ان البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب بل لا يكون ذلك حتى تقوم الساعة الكبرى كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة ونحوهم ممن ينكر عذاب القبر ونعيمه بناء على ان الروح لا تبقى بعد فراق البدن وان البدن لا ينعم ولا يعذب فجميع هؤلاء الطوائف ضلال في امر البرزخ لكنهم خير من الفلاسفة فانهم مقرون بالقيامة الكبرى *

فصل في ان مذهب السلف ان الميت اذا مات يكون في نعيم او عذاب مع الروح والبدن

* فصل *

فاذا عرفت هذه الاقوال الباطلة فلتعلم ان مذهب سلف الامة وائمتها ان الميت اذا مات يكون في نعيم او عذاب وان ذلك يحصل لروحه

وبدنه وان الروح تبقي بعد مفارقة البدن منعمة او معذبة وانها تتصل بالبدن احيانا ويحصل له معها النعيم او العذاب ثم اذا كان يوم القيامة الكبرى اعيدت الارواح الى الاجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين ومعاد الابدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى *

فصل

فصل في ذكر احاديث عذاب القبر ومسائلة منكر ونكير

ونحن نثبت ما ذكرناه فاما احاديث عذاب القبر ومسائلة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان لا يستبرئ من البول واما الاخر فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بجريدة رطبة فشقها نصفين فقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا * وفي صحيح مسلم عن زيد بن ثابت قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلته ونحن معه اذ حادت به فكادت تلقيه فاذا اقبر ستة او خمسة او اربعة فقال من يعرف اصحاب هذه القبور فقال رجل انا قال فمتي مات هؤلاء قال ماتوا في الاشراك فقال ان هذه الامة تبتلى في قبورها فلولا ان لا تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر الذي اسمع منه ثم اقبل علينا بوجهه فقال تعوذوا بالله من عذاب النار قالوا نعوذ بالله من عذاب النار قال تعوذوا بالله من عذاب القبر قالوا نعوذ بالله من عذاب القبر قال تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها

و مابطن قالوا نعوذ بالله من الفتن ماظهر منها وما بطن قال تعوذوا بالله من فتنة الدجال قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال * وفي صحيح مسلم وجميع السنن عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا فرغ احدكم من التشهد الاخير فليتعوذ بالله من اربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال * وفي صحيح مسلم ايضا وغيره عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القران اللهم اني اعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المحيا والممات واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال * وفي الصحيحين عن ابي ايوب قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس فسمع صوتا فقال يهود تعذب في قبورها * وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت دخلت علي عجوز من عجائز يهود المدينة فقالت ان اهل القبور يعذبون في قبورهم قالت فكذبتها ولم انعم ان اصدقها قالت فخرجت ودخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان عجوزا من عجائز يهود اهل المدينة دخلت فزعمت ان اهل القبور يعذبون في قبورهم قال صدقت انهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم كلها قالت فما رأيته بعد في صلوة الا يتعوذ من عذاب القبر * وفي صحيح ابن حبان عن ام مبشر قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول تعوذوا بالله من عذاب القبر فقلت يا رسول الله وللقبر عذاب قال انهم

ليعذبون في قبورهم عذابا تسمعه البهائم * قال بعض اهل العلم ولهذا
السبب يذهب الناس بدوابهم اذا امغلت الى قبور اليهود والنصارى
والمنافقين كالاسماعيلية والنصيرية والقرامطة من بني عبيد
وغيرهم الذين بارض مصر والشام فان اصحاب الخيل يقصدون
قبورهم لذلك كما يقصدون قبور اليهود والنصارى قال فاذا سمعت
الخيل عذاب القبر احدث لها ذلك فزعا وحرارة تذهب بالمغل وقد قال
عبد الحق الاشبيلي حدثني الفقيه ابو الحكم بن برخان وكان من اهل
العلم والعمل انهم دفنوا ميتا بقريتهم في شرف اشبيلية فلما فرغوا من دفنه
قعدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريبا منهم فاذا بالدابة قد اقبلت
مسرعة الى القبر فجعلت اذنها عليه كانها تسمع ثم ولت فارة ثم عادت الى
القبر فجعلت اذنها عليه كانها تسمع ثم ولت فارة فعلت ذلك مرة بعد اخرى
قال ابو الحكم فذكرت عذاب القبر وقول النبي صلى الله عليه وسلم
انهم ليعذبون عذابا تسمعه البهائم ذكر لنا هذه الحكاية ونحن نسمع
عليه كتاب مسلم لما انتهى القارى الى قول النبي صلى الله عليه وسلم
انهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم * وهذا السماع واقع على اصوات
المعذبين قال هناد بن السري في كتاب الزهد ثنا وكيع عن الاعمش
عن شقيق عن عائشة رضى الله عنها قالت دخلت علي يهودية فذكرت
عذاب القبر فكذبتها فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علي فذكرت ذلك له
فقال والذى نفسي بيده انهم ليعذبون في قبورهم حتى تسمع البهائم

اه.وابتهم* قلت واحاديث المسئلة فى القبر كثيرة كما في الصحيحين والسنن عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل في قبره فيشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قول الله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفى الاخرة وفي لفظ نزلت في عذاب القبر يقال له من ربك فيقول الله ربي ومحمد نبيي فذلك قول الله يثبت الله الذين امنو بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة وهذا الحديث قدرواه اهل السنن والمسانيد مطولا كما تقدم وقد صرح فى هذا الحديث باعادة الروح الى البدن وباختلاف اضلاعه وهذا ابين في ان العذاب على الروح والبدن مجتمعين وقد روي مثل حديث البراء في قبض الروح والمسئلة والنعيم والعذاب ابو هريرة وحديثه في المسند وصحيح ابي حاتم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت اذا وضع فى قبره انه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه فان كان مومنا كانت الصلاة عند رأسه والصيام عن يمينه والزكاة عن شماله وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان عند رجليه فيوتي من قبل رأسه فتقول الصلاة ماقبلي مدخل ثم يوتى من يمينه فيقول الصيام ماقبلي مدخل ثم يوتى عن يساره فتقول الزكاة ماقبلي مدخل ثم يوتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان ماقبلي مدخل فيقال له اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس

وقد اخذت للغروب فيقال له هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه
وماذا تشهد به عليه فيقول دعوني حتى اصلي فيقولون انك ستصلي اخبرنا
عن ما نسئلك عنه ارأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه
و ما تشهد عليه فيقول محمد اشهد انه رسول الله جاء بالحق من عند الله
فيقال له على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث ان شاء الله
ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال له هذا مقعدك و ما اعد الله لك فيها
فيزداد غبطة وسرورا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا وينور له
فيه و يعاد الجسد لما بدي منه وتجعل نسمته في النسيم الطيب وهي
طير معلق في شجر الجنة قال فذلك قول الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة * و ذكر في الكافر ضد ذلك
الى ان قال ثم يضيق عليه في قبره الى ان تختلف فيه اضلاعه فتلك
المعيشة الضنك التي قال الله تعالى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة
اعمى * وفي الصحيحين من حديث قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الميت اذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه انه ليسمع خفق
نعالهم اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل
محمد فاما المومن فيقول اشهد انه عبد الله و رسوله قال فيقول انظر
الى مقعدك من النار قد ابدلك الله به مقعدا من الجنة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة وذكر لنا انه يفسح له في قبره
سبعون ذراعا ويملا عليه خضرا الى يوم يبعثون ثم رجع الى حديث

انس قال فاما الكافر والمنافق فيقولان له ماكنت تقول في هذا الرجل فيقول لا ادري كنت اقول مايقول الناس فيقولان لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطراق من حديد بين اذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من عليها غير الثقلين ٭ وفي صحيح ابي حاتم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبر احدكم او الانسان اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما المنكر وللاخر النكير فيقولان له ماكنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم فهو قائل ماكان يقول فان كان مومنا قال هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقولان له ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور له فيه ويقال له نم فيقول ارجع الى اهلي ومالي فاخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال لا ادري كنت اسمع الناس يقولون شيئا فكنت اقوله فيقولان له كنا نعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها اضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وهذا صريح في ان البدن يعذب ٭ وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا حضر المومن اتته الملائكة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجي ايتها الروح الطيبة راضية مرضيا عنك الى روح وريحان ورب غير غضبان فتخرج

كاطيب ريح المسك حتى انه ليناوله بعضهم بعضا حتى ياتوا به باب السماء
فيقولون ما اطيب هذه الريح التي جاءتكم من الارض فياتون به ارواح
المومنين فلهم اشد فرحا به من احدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه
ماذا فعل فلان قال فيقولون دعوه يستريح فانه كان في غم الدنيا
فاذا قال اتاكم فيقولون انه ذهب به الى امه الهاوية وان الكافر اذا
احتضر اتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجي مسخوطا
عليك الى عذاب الله فتخرج كانتن ريح جيفة حتى ياتوا به باب
الارض فيقولون ما انتن هذه الروح ٭ حتى ياتوا به ارواح
الكفار ٭ رواه النسائي والبزار ومسلم مختصرا واخرجه ابو حاتم في صحيحه
وقال ان المومن اذا احضره الموت حضرته ملائكة الرحمة فاذا قبض جعلت
روحه في حريرة بيضاء فينطلق بها الى باب السماء فيقولون ما وجدنا
ريحا اطيب من هذه فيقال ما فعل فلان ما فعلت فلانة فيقال دعوه
يستريح فانه كان في غم الدنيا واما الكافر اذا قبضت نفسه ذهب بها
الي الارض فتقول خزنة الارض ما وجدنا ريحا انتن من هذه فيبلغ
بها الى الارض السفلى ٭ وروى النسائي في سننه من حديث عبد الله
ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال هذا الذى تحرك
له العرش وفتحت له ابواب السماء وشهد له سبعون الفا من الملائكة
لقد ضم ضمه ثم فرج عنه قال النسائي يعني سعد بن معاذ ٭ وروى من
حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للقبر

٭ هذه الريح — هكذا في سنن النسائى ١٢

ضغطة لو نجا منها احد لنجا منها سعد بن معاذ رواه من حديث شعبة وقال هناد بن السري ثنا محمد بن فضل عن ابيه عن ابن ابي مليكة قال ما اجير من ضغطة القبر احد ولا سعد بن معاذ الذي منديل من مناديله خير من الدنيا وما فيها * قال وثنا عبدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع قال لقد بلغني انه شهد جنازة سعد بن معاذ سبعون الف ملك لم ينزلوا الى الارض قط ولقد بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد ضم صاحبكم في القبر ضمة * وقال علي بن معبد ثنا عبيد الله عن زيد بن ابي انيسة عن جابر عن نافع قال اتينا صفية بنت ابي عبيد امرأة عبد الله بن عمر وهي فزعة فقلنا ماشانك فقالت جئت من عند بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم قال فحدثتني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان كنت لارى لو ان احدا اعفي من عذاب القبر لعفي منه سعد بن معاذ لقد ضم فيه ضمة * وثنا مروان بن معاوية عن العلاء بن المسيب عن معاوية العبسي عن زاذان بن (١) عمر وقال لما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته جلس عند القبر فتربد وجهه ثم سرى عنه فقال له اصحابه رأينا وجهك آنفا ثم سرى عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت ابنتي وضعفها وعذاب القبر فدعوت الله ففرج عنها وايم الله لقد ضمت ضمة سمعها من بين الخافقين * وثنا شعيب عن ابن دينار عن ابراهيم الغنوي عن رجل قال كنت عند عائشة رضي الله عنها فمرت جنازة صبي صغير فبكت فقلت لها ما يبكيك يا ام المومنين

(١) هكذا في الاصل ولعله عن زاذان عن ابن عمر ١٢

فقالت

فقالت هذا الصبي بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر * ومعلوم ان هذا كله للجسد بواسطة الروح *

﴿ فصل ﴾

وهذا كما انه مقتضى السنة الصحيحة فهو متفق عليه بين اهل السنة قال المروزي قال ابو عبد الله عذاب القبر حق لا ينكره الا ضال مضل وقال حنبل قلت لابي عبد الله في عذاب القبر فقال هذه احاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها كلها جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم اسناد جيد اقررنا به اذا لم نقر بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعناه ورددناه رددنا على الله امره قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه قلت له وعذاب القبر حق قال حق يعذبون في القبور قال وسمعت اباعبد الله يقول نؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير وان العبد يسأل في قبره فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة في القبر وقال احمد بن القاسم قلت يا اباعبد الله تقر بمنكر ونكير وما يروى في عذاب القبر فقال سبحان الله نعم نقر بذلك ونقوله قلت هذه اللفظة تقول منكر ونكير هكذا وتقول ملكين قال منكر ونكير * قلت يقولون ليس في حديث منكر ونكير قال هو هكذا يعني انهما منكر ونكير * واما اقوال اهل البدع والضلال فقال ابو الهذيل والمريسي من خرج عن سمة الايمان فانه يعذب بين النفختين والمسئلة في القبر انما تقع في ذلك الوقت واثبت الجبائي وابنه والبلخي عذاب

القبر ولكنهم نفوه عن المومنين واثبتوه لاصحاب التخليد من الكفار والفساق على اصولهم وقال كثير من المعتزلة لايجوز تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير وانما المنكر مايبدو من تلجلجه اذا سئل والنكير تقريع الملكين له وقال الصالحي وصالح قبة عذاب القبر يجرى على المومن من غير رد الارواح الى الاجساد والميت يجوز ان يألم ويحس ويعلم بلا روح وهذا قول جماعة من الكرامية وقال بعض المعتزلة ان الله سبحانه يعذب الموتى في قبورهم ويحدث فيهم الآلام وهم لايشعرون فاذا حشروا وجدوا تلك الآلام واحسوا بها قالوا وسبيل المعذبين من الموتى كسبيل السكران والمغشى عليه لو ضربوا لم يجدوا الآلام فاذا عاد اليهم العقل احسوا بألم الضرب وانكر جماعة منهم عذاب القبر راسا مثل ضرار بن عمرو ويحيي بن كامل وهو قول المريسي فهذه اقوال اهل الحيرة والضلالة *

فصل في ان عذاب القبر ينال من هو مستحق له قبر او لم يقبر

فصل

ومماينبغي ان يعلم ان عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر او لم يقبر فلو اكلته السباع او احرق حتى صار رمادا او نسف في الهواء او صلب او غرق في البحر وصل الى روحه وبدنه من العذاب مايصل الى القبور وفي صحيح البخاري عن سمرة بن جندب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى صلاة اقبل علينا بوجهه فقال من راى منكم الليلة رؤيا قال فان

رأى احد رؤيا فقصها فيقول ماشاء الله فسألنا يوما فقال هل رأى احد منكم رؤيا قلنا لا قال لكني رأيت الليلة رجلين اتياني فاخذا بيدي واخرجاني الى الارض المقدسة فاذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقه الاخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله قلت ماهذا قالا انطلق فانطلقنا حتى اتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بصخرة او فهر فيشدخ بها رأسه فاذا ضربه تدهده الحجر فانطلق اليه لياخذه فلا يرجع الى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد اليه فضربه قلت ماهذا قالا انطلق فانطلقنا الى نقب مثل التنور اعلاه ضيق واسفله واسع يوقد تحته نار فاذا فيه رجال ونساء عراة فياتيهم اللهب من تحتهم فاذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجوا فاذا اخمدت رجعوا فقلت ماهذا قالا انطلق فانطلقنا حتى اتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة فاقبل الرجل الذي في النهر فاذا اراد ان يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمي في فيه بحجر فرجع كما كان فقلت ماهذا قالا انطلق فانطلقنا حتى اتينا الى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي اصلها شيخ وصبيان واذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بي الشجرة وادخلاني دارا لم ار قط احسن منها فيها شيوخ وشبان ثم صعدا بي فادخلاني دارا هي احسن وافضل قلت طوفتماني الليلة فاخبراني عما

رأيت قالا نعم الذى رأيته يشق شدقه كذاب يحدث بالكذبة فتحمل
عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به الى يوم القيامة والذى رأيته يشدخ رأسه
فرجل علمه الله القران فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار يفعل به الى
يوم القيامة واما الذى رأيت في النقب فهم الزناة والذى رأيته
في النهر فاكل الربا واما الشيخ الذى فى اصل الشجرة فابراهيم
والصبيان حوله فاولاد الناس والذى يوقد النار فمالك خازن
النار والدار الاولى دار عامة المومنين واما هذه الدار فدار
الشهداء وانا جبرئيل وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت
رأسي فاذا اقصر مثل السحابة قالا ذلك منزلك قلت دعاني ادخل
منزلي قالا انه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملته اتيت منزلك *
وهذا نص في عذاب البرزخ فان رؤيا الانبياء وحي مطابق لما في نفس
الامر وقد ذكر الطحاوى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
امر بعبد من عباد الله ان يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله
ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه
افاق فقال على ما جلدتموني قالوا انك صليت صلوة بغير طهور ومررت
على مظلوم فلم تنصره * وذكر البيهقي حديث الربيع بن انس عن ابي العالية
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاية سبحان الذى
اسرى بعبده ليلا * الا انه قال اتي بفرس فحمل عليه قال كل خطوة منتهى
اقصى بصره فسار وسار معه جبرئيل فاتى على قوم يزرعون

في يوم و يحصدون في يوم كلما حصد واعاد كما كان فقال يا جبرئيل من هؤلاء قال هؤلاء المهاجرون في سبيل الله يضاعف لهم الحسنة بسبعمائة وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم اتي على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شيء من ذلك قال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلوة قال ثم اتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام على الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها قال ما هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات اموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ثم اتى على قوم بين ايديهم لحم من قدر نضيج ولحم اخر خبيث فجعلوا ياكلون من الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال يا جبريل من هؤلاء قال هذا الرجل يقوم وعنده امراة حلالا طيبا فتاتي المراة الخبيثة فتبيت معه حتى تصبح ثم اتى على خشبة على الطريق لا يمر بها شيء الا قصعته يقول الله تعالى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ثم مر على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يريد ان يزيد عليها قال يا جبريل ما هذا قال هذا رجل من امتك عليه امانة لا يستطيع ادائها وهو يزيد عليها ثم اتى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شيء قال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء خطباء الفتنة ثم اتى على جحر صغير يخرج منه نور عظيم فجعل النور يريد ان يدخل من حيث خرج ولا يستطيع قال ما هذا يا جبريل قال

هذا الرجل يتكلم بالكلمة فيندم عليها فيريد ان يردها فلا يستطيع * وذكر الحديث وذكر البيهقي ايضا في حديث الاسراء من رواية ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فصعدت انا وجبريل فاستفتح جبريل فاذا بآدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته تعرض عليه ارواح ذريته المومنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ثم تعرض عليه ارواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين ثم مضيت هنيئة فاذا انا باخونة عليها لحم مشرح ليس يقربها احد واذا باخونة اخرى عليها لحم قد اروح ونتن وعندها ناس ياكلون منها قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء يتركون الحلال وياتون الحرام قال ثم مضيت هنيئة فاذا انا باقوام بطونهم امثال البيوت كلما نهض احدهم خر يقول اللهم لا تقم الساعة قال وهم على سابلة ال فرعون قال فتجيء السابلة فتطأهم فيصيحون قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال ثم مضيت هنيئة فاذا انا بقوم مشافرهم كمشافر الابل فتفتح افواههم فيلقمون الجمر ثم يخرج من اسافلهم فسمعتهم يصيحون قلت من هؤلاء قال الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ثم مضيت هنيئة فاذا انا بنساء معلقات بثديهن فسمعتهن يصحن قلت من هؤلاء قال هؤلاء الزواني ثم مضيت هنيئة فاذا انا بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقال كل كما كنت تأكل من لحم اخيك قلت من هؤلاء قال الهمازون من امتك * وذكر الحديث بطوله

وفي سنن ابي داود من حديث انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم * وقال ابو داود الطيالسي في مسنده حدثنا شعبة عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى على قبرين فقال انهما ليعذبان في غير كبير اما احدهما فكان ياكل لحوم الناس واما الاخر فكان صاحب نميمة ثم دعا بجريدة فشقها نصفين فوضع نصفها على هذا القبر ونصفها على هذا القبر وقال عسى ان يخفف عنهما ما دامتا رطبتين * وقد اختلف الناس في هذين هل كانا كافرين او مومنين فقيل كانا كافرين وقوله وما يعذبان في كبير يعني بالاضافة الى الكفر والشرك قالوا ويدل عليه ان العذاب لم يرتفع عنهما وانما خفف وايضا فانه خفف مدة رطوبة الجريدة فقط وايضا فانهما لو كانا مومنين لشفع فيهما ودعا لهما النبي صلى الله عليه وسلم فرفع عنهما بشفاعته وايضا ففي بعض طرق الحديث انهما كانا كافرين وهذا التعذيب زيادة على تعذيبهما بكفرهما وخطاياهما وهو دليل على ان الكافر يعذب بكفره وذنوبه جميعا وهذا اختيار ابي الحكم بن برخان وقيل كانا مسلمين لنفيه صلى الله عليه وسلم التعذيب بسبب غير السببين المذكورين ولقوله وما يعذبان في كبير والكفر والشرك اكبر الكبائر على الاطلاق ولا يلزم ان يشفع النبي صلى الله عليه وسلم لكل مسلم يعذب في قبره على جريمة من

لجرائم فقد اخبر عن صاحب الشملة الذى قتل في الجهاد ان الشملة تشتعل عليه نارا في قبره وكان مسلما مجاهدا ولا يعلم ثبوت هذه اللفظة وهي قوله وكانا كافرين ولعلها لو صحت وكلا فهي من قول بعض الرواة والله اعلم وهذا اختيار ابي عبد الله القرطبى *

* فصل * * * * * واما المسئلة السابعة وهى قول السائل ماجوابنا للملاحدة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر وسعته وضيقه وكونه حفرة من حفر النار او روضة من رياض الجنة وكون الميت لا يجلس ولا يقعد فيه *

قالوا فانا نكشف القبر فلا نجد فيه ملائكة عميا صما يضربون الموتى بمطارق من حديد ولا نجد هناك حيات ولا ثعابين ولا نيرانا تأجج ولو كشفنا حاله في حالة من الاحوال لوجدناه لم يتغير ولو وضعنا على عينيه الزيبق وعلى صدره الخردل لوجدناه على حاله وكيف يفسح مد بصره او يضيق عليه ونحن نجده بحاله ونجد مساحته على حد ما حفرناها لم يزد ولم ينقص وكيف يسع ذلك اللحد الضيق له وللملائكة وللصورة التي تونسه او توحشه قال اخوانهم من اهل البدع والضلال وكل حديث يخالف مقتضى العقول والحس يقطع بتخطية قائله قالوا ونحن نرى المصلوب على خشبة مدة طويلة لا يسئل ولا يجيب ولا يتحرك ولا يتوقد جسمه نارا ومن افترسته السباع ونهشته الطيور وتفرقت اجزاؤه في اجواف السباع وحواصل الطيور وبطون الحيتان ومدارج

* المسئلة السابعة في جواب الملاحدة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر ونعيمه وما يتعلق بهما *

الرياح كيف تسئل اجزاؤه مع تفرقها وكيف يتصور مسئلة الملكين لمن هذا وصفه وكيف يصير القبر على هذا روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار وكيف يضيق عليه حتى تلتئم أضلاعه ونحن نذكر امور يعلم بها الجواب *

* الامر الاول * ان يعلم ان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يخبر وابما تحيله العقول وتقطع باستحالته بل اخبارهم قسمان احدهما ما تشهد به العقول والفطن والثاني ما لا تدركه العقول بمجردها كالغيوب التى اخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الاخر وتفاصيل الثواب والعقاب ولا يكون خبرهم مما لا في العقول اصلا وكل خبر يظن ان العقل يحيله فلا يخلو من احد امرين اما ان يكون الخبر كذبا عليهم او يكون ذلك العقل فاسدا وهو شبهة خيالية يظن صاحبها انها معقول صريح قال تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد * وقال تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى * وقال تعالى الذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه * والنفوس لا تفرح بالمحال وقال تعالى يا ايها الناس قدجاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمومنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا * والمحال لا يشفى ولا يحصل به هدى ولا رحمة ولا يفرح به فهذا امر من لم يستقر فى قلبه

* ذكر الامور التى يعلم بها الجواب * الامر الاول *

خير ولم يثبت له على الاسلام قدم وكان احسن احواله الحيرة والشك ☼

﴿ فصل ﴾

﴿الامر الثاني﴾ ان يفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان وقد حصل باهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه الا الله بل سوء الفهم عن الله ورسوله اصل كل بدعة وضلالة نشأت في الاسلام بل هو اصل كل خطأ في الاصول والفروع ولا سيما ان اضيف اليه سوء القصد فيتفق سوء الفهم في بعض الاشياء من المتبوع مع حسن قصده وسوء القصد من التابع فيا محنة الدين واهله والله المستعان وهل اوقع القدرية والمرجية والخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة وسائر طوائف اهل البدع الا سوء الفهم عن الله ورسوله حتى صار الدين بايدي اكثر الناس هو موجب هذه الافهام والذى فهمه الصحابة ومن تبعهم عن الله ورسوله فمهجور لا يلتفت اليه ولا يرفع هؤلاء به رأسا ولكثرة امثلة هذه القاعدة تركناها فانا لو ذكرناها لزادت على عشرة الوف حتى انك لتمر على الكتاب من اوله الى اخره فلا تجد صاحبه فهم عن الله ورسوله مراده كما ينبغي في موضع واحد وهذا انما يعرفه من عرف ما عند الناس وعرضه على ما جاء به الرسول واما من عكس الامر بعرض ما جاء به الرسول على ما اعتقده وانتحله وقلد فيه من

احسن به الظن فليس يجدي الكلام معه شيئا فدعه وما اختاره لنفسه وول ه ماتولى واحمد الذى عفاك مما ابتلاه به*

فصل

الامر الثالث ان الله سبحانه جعل الدور ثلاثا دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار وجعل لكل دار احكاما تختص بها وركب هذا الانسان من بدن ونفس وجعل احكام دار الدنيا على الابدان والارواح تبعا لها ولهذا جعل احكامه الشرعية مرتبة على مايظهر من حركات اللسان والجوارح وان اضمرت النفوس خلافه وجعل احكام البرزخ على الارواح والابدان تبعا لها فكما تبعت الارواح الابدان فى احكام الدنيا فتألمت بالمها والتذت براحتها وكانت هى التى باشرت اسباب النعيم والعذاب تبعت الابدان الارواح في نعيمها وعذابها والارواح حينئذ هي التى تباشر العذاب والنعيم فالابدان هنا ظاهرة والارواح خفية والابدان كالقبور لها والارواح هناك ظاهرة والابدان خفية فى قبورها تجرى احكام البرزخ على الارواح فتسرى الى ابدانها نعيما او عذابا كما تجرى احكام الدنيا على الابدان فتسرى الى ارواحها نعيما او عذابا فاحط بهذا الموضع علما واعرفه كما ينبغى يزيل عنك كل اشكال يورد عليك من داخل وخارج وقد ارانا الله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك انموذجا فى الدنيا من حال النائم فان ماينعم به او يعذب فى نومه يجرى على روحه اصلا

والبدن تبع له وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تاثيرا مشاهدا فيرى النائم في نومه انه ضرب فيصبح واثر الضرب في جسمه ويرى انه قد اكل او شرب فيستيقظ وهو يجد اثر الطعام والشراب في فيه ويذهب عنه الجوع والظمأ واعجب من ذلك انك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كانه يقظان وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك وذلك ان الحكم لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه ولو دخلت فيه لاستيقظ واحس فاذا كانت الروح تتألم وتنعم ويصل ذلك الى بدنها بطريق الاستتباع فهكذا في البرزخ بل اعظم فان تجرد الروح هناك اكمل واقوى وهي متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع فاذا كان يوم حشر الاجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الارواح والاجساد ظاهرا باديا اصلا ومتى اعطيت هذا الموضع حقه تبين لك ان ما اخبر به الرسول من عذاب القبر ونعيمه وضيقه وسعته وضمه وكونه حفرة من حفر النار او روضة من رياض الجنة مطابق للعقل وانه حق لامرية فيه وان من اشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه اتى كما قيل *

* وكم من عائب قولا صحيحا * وافته من الفهم السقيم *

واعجب من ذلك انك تجد النائمين في فراش واحد وهذا روحه في النعيم ويستيقظ واثر النعيم على بدنه وهذا روحه في العذاب

و يستيقظ و اثر العذاب على بدنه و ليس عند احدهما خبر بما عند الاخر فامر البرزخ اعجب من ذلك *

﴿ فصل ﴾

﴿ الامر الرابع ﴾ ان الله سبحانه جعل امر الاخرة وما كان متصلا بها غيبا و حجبها عن ادراك المكلفين في هذه الدار و ذلك من كمال حكمته و ليتميز المومنون بالغيب من غيرهم فاول ذلك ان الملائكة تنزل على المحتضر و تجلس قريبا منه و يشاهدهم عيانا و يتحدثون عنده و معهم الاكفان والحنوط امامن الجنة واما من النار و يومنون على دعاء الحاضرين بالخير و الشر و قد يسلمون على المحتضر و يرد عليهم تارة بلفظه و تارة باشارته و تارة بقلبه حيث لا يتمكن من نطق و لا اشارة و قد سمع بعض المحتضرين يقول اهلا و سهلا و مرحبا بهذه الوجوه واخبرني شيخنا عن بعض المحتضرين فلا ادري اشاهده او اخبر عنه انه سمع و هو يقول عليك السلام ههنا فاجلس وعليك السلام ههنا فاجلس و قصة خير النساج مشهورة حيث قال عند الموت اصبر عافاك الله فان ما امرت به لا يفوت و ما امرت به يفوت ثم استدعى بماء فتوضأ و صلى ثم قال امض لما امرت به و مات * و ذكر ابن ابي الدنيا ان عمر ابن عبد العزيز لما كان في يومه الذى مات فيه قال اجلسوني فاجلسوه فقال انا الذي امرتني فقصرت و نهيتني فعصيت ثلاث مرات و لكن لا اله الا الله ثم رفع رأسه فاحد النظر فقالوا انك لتنظر نظرا

﴿ الامر الرابع ﴾

شديدا ياامير المومنين فقال انى لارى حضرة ماهم بانس ولا جن ثم قبض *
وقال مسلمة بن عبد الملك لما احتضر عمر بن عبد العزيز كنا عنده في قبة
فاومى الينا ان اخرجوا فخرجنا فقعدنا حول القبة وبقى عنده وصيف
فسمعناه يقرأ هذه الاية تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين * ماانتم بانس ولا جان ثم خرج
الوصيف فاومى الينا ان ادخلوا فدخلنا فاذا هو قد قبض * وقال فضالة
ابن دينار حضرت محمد بن واسع وقد سجى للموت فجعل يقول مرحبا
بملائكة ربي ولا حول ولا قوة الا بالله وشممت رائحة طيب لم اشم قط
اطيب منها ثم شخص ببصره فمات * والآثار في ذلك اكثر من ان تحصر
وابلغ ويكفى من ذلك كله قول الله عز وجل فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم
حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون * اى اقرب
اليه بملائكتنا ورسلنا ولكنكم لا ترونهم فهذا اول الامر وهو غير مرئي
لنا ولا مشاهد وهو فى هذه الدار ثم يمد الملك يده الى الروح فيقبضها
ويخاطبها والحاضرون لا يرونه ولا يسمعونه ثم تخرج فيخرج
لها نور مثل شعاع الشمس ورائحة اطيب من رائحة المسك والحاضرون
لا يرون ذلك ولا يشمونه ثم تصعد بين سماطين من الملائكة والحاضرون
لا يرونهم ثم تاتى الروح فتشاهد غسل البدن وتكفينه وحمله وتقول
قدموني قدموني اوالى اين تذهبون بي ولا يسمع الناس ذلك فاذا وضع
في لحده وسوي عليه التراب لم يحجب التراب الملائكة عن الوصول اليه

بل لو نقر له حجر فاودع فيه وختم عليه بالرصاص لم يمنع وصول الملائكة اليه فان هذه الاجسام الكثيفة لا تمنع خرق الارواح لها بل الجن لا يمنعها ذلك بل قد جعل الله سبحانه الحجارة والتراب للملائكة بمنزلة الهواء للطير واتساع القبر وانفساحه للروح بالذات والبدن تبعا فيكون البدن في لحد اضيق من ذراع وقد فسح له مد بصره تبعا لروحه واما عصرة القبر حتى تختلف بعض اجزاء الموتى فلا يرده حس ولا عقل ولا فطرة ولو قدر ان احدا نبش عن ميت فوجد اضلاعه كما هي لم تختلف لم يمنع ان تكون قد عادت الى حالها بعد العصرة فليس مع الزنادقة والملاحدة الا مجرد تكذيب الرسول ولقد اخبر بعض الصادقين انه حفر ثلاثة اقبر فلما فرغ منها اضطجع ليستريح فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على احد الاقبر فقال احدهما لصاحبه اكتب فرسخا في فرسخ ثم وقفا على الثاني فقال اكتب ميلا في ميل ثم وقفا على الثالث فقال اكتب فترا في فتر ثم انتبه فجيء برجل غريب لا يؤبه له فدفن في القبر الاول ثم جيء برجل اخر فدفن في القبر الثاني ثم جيء بامرأة مترفة من وجوه البلد حولها ناس كثير فدفنت في القبر الضيق الذي سمعه يقول فترا في فتر * والفتر ما بين الابهام والسبابة *

فصل

الامر الخامس ان النار التي في القبر والخضرة ليست من نار الدنيا ولا من زرع الدنيا فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرها وانما هي من

الامر الخامس

نار الاخرة وخضرها وهي اشد من نار الدنيا فلا يحس به اهل الدنيا
فان الله سبحانه يحمى عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه وتحته
حتى يكون اعظم حرا من جمر الدنيا ولو مسها اهل الدنيا لم يحسوا بذلك
بل اعجب من هذا ان الرجلين يدفنان احدهما الى جنب الاخر وهذا في
حفرة من حفر النار لا يصل حرها الى جاره وذلك في روضة من رياض الجنة
لا يصل روحها ونعيمها الى جاره وقدرة الرب تعالى اوسع واعجب من ذلك
وقد ارانا الله من آيات قدرته في هذه الدار ما هو اعجب من ذلك بكثير
ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علما الا من وفقه الله وعصمه
فيفرش للكافر لوحان من نار فيشتعل عليه قبره بهما كما يشتعل التنور
فاذا شاء الله سبحانه ان يطلع على ذلك بعض عبيده اطلعه وغيبه عن
غيره اذ لو اطلع العباد كلهم لزالت كلمة التكليف والايمان بالغيب
ولما تدافن الناس كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لولا ان
لا تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر ما اسمع ٭ ولما كانت هذه
الحكمة منفية في حق البهائم سمعت ذلك وادركته كما حادت
برسول الله صلى الله عليه وسلم بغلته وكادت تلقيه لما مر بمن يعذب
في قبره وحدثني صاحبنا ابو عبد الله محمد بن الرزيز الحراني انه خرج
من داره بعد العصر بآمد الى بستان قال فلما كان قبل غروب الشمس
توسطت القبور فاذا بقبر منها وهو جمرة نار مثل كوز الزجاج والميت
في وسطه فجعلت امسح عيني واقول انائم انا ام يقظان ثم التفت الى سور

المدينة وقلت والله ماانا بنائم ثم ذهبت الى اهلي وانا مدهوش فاتوني بطعام فلم استطع ان اكل ثم دخلت البلد فسألت عن صاحب القبر فاذا به مكاس قد توفي ذلك اليوم * فرؤية هذه النار في القبر كرؤية الملائكة والجن تقع احيانا لمن شاء الله ان يريه ذلك وقد ذكر ابن ابي الدنيا في (كتاب القبور) عن الشعبي انه ذكر رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمعة حتى يغيب في الارض ثم يخرج فيفعل به ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ابوجهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة * وذكر من حديث حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله عن ابيه قال بينا اسير بين مكة والمدينة على راحلة وانا محقب اداوة اذ مررت بمقبرة فاذا رجل خارج من قبره يلتهب نارا وفي عنقه سلسلة يجرها فقال يا عبد الله انضح يا عبد الله انضح فوالله ما ادري اعرفني باسمي ام كما تدعو الناس قال فخرج آخر فقال يا عبد الله لا تنضح يا عبد الله لا تنضح ثم اجتذب السلسلة فاعاده في قبره * قال ابن ابي الدنيا وحدثني ابي ثنا موسى بن داود ثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن ابيه قال بينما راكب يسير بين مكة والمدينة اذ مر بمقبرة فاذا برجل قد خرج من قبر يلتهب نارا مصفدا في الحديد فقال يا عبد الله انضح يا عبد الله انضح قال وخرج اخر يتلوه فقال يا عبد الله لا تنضح يا عبد الله لا تنضح قال وغشي على الراكب وعدلت به راحلته الى العرج قال واصبح قد ابيض شعره فاخبر عثمان بذلك فنهى ان يسافر الرجل

وحده وذكر من حديث سفيان ثنا داود بن شابور عن ابي قزعة قال مررنا في بعض المياه التي بيننا وبين البصرة فسمعنا نهيق حمار فقلنا لهم ما هذا النهيق قالوا هذا رجل كان عندنا كانت امه تكلمه بالشئ فيقول لها انهقي نهيقك فلما مات سمع هذا النهيق من قبره كل ليلة * وذكر ايضا عن عمرو بن دينار قال كان رجل من اهل المدينة وكانت له اخت في ناحية المدينة فاشتكت وكان ياتيها يعودها ثم ماتت فدفنها فلما رجع ذكر انه نسي شيئا في القبر كان معه فاستعان برجل من اصحابه قال فنبشنا القبر ووجدت ذلك المتاع فقال للرجل تنح حتى انظر على اي حال اختي فرفع بعض ما على اللحد فاذا القبر مشتعل نارا فرده وسوى القبر فرجع الى امه فقال ماكان حال اختي فقال ما تسئل عنها وقد هلكت فقال لتخبريني قالت كانت تؤخر الصلوة ولا تصلي فيما اظن بوضوء وتاتي ابواب الجيران فتلقم اذنها ابوابهم وتخرج حديثهم * وذكر عن حصين الاسدي قال سمعت مرثد ابن حوشب قال كنت جالسا عند يوسف بن عمر والى جنبه رجل كان شقة وجهه صفحة من حديد فقال له يوسف حدث مرثدا بما رايت فقال كنت شابا قد اتيت هذه الفواحش فلما وقع الطاعون قلت اخرج الى ثغر من هذه الثغور ثم رأيت ان احفر القبور فاني لليلة بين المغرب والعشاء قد حفرت قبرا وانا متكئ على تراب قبر اخر اذ جئ بجنازة رجل حتى دفن في ذلك وسووا عليه فاقبل طائران

ابيضان من المغرب مثل البعيرين حتى سقط احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ثم اثاراه ثم تدلى احدهما فى القبر والاخر على شفيره فجثت حتى جلست على شفير القبر وكنت رجلا لا اجوف شيء قال فسمعته يقول الست الزائر اصهارك في ثوبين ممصرين تسحبها كبرا تمشي الخيلاء فقال انا اضعف من ذلك قال فضربه ضربة امتلأ القبر حتي فاض ماء ودهنا ثم عاد فاعاد اليه القول حتى ضربه ثلاث ضربات كل ذلك يقول ذلك ويذكر ان القبر يفيض ماء ودهنا قال ثم رفع رأسه فنظر الي فقال انظر اين هو جالس بلسه الله قال ثم ضرب جانب وجهي فسقطت فمكثت ليلتي حتى اصبحت قال ثم اخذت انظر الى القبر فاذا هو على حاله * فهذا الماء والدهن في رأي العين لهذا الرائي وهو نار تاجج للميت كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال انه ياتي معه بماء ونار فالنار ماء بارد والماء نار تاجج وذكر ابن ابي الدنيا ان رجلا سأل ابا اسحق الفزارى عن النباش هل له توبة فقال نعم ان صحت نيته وعلم الله منه الصدق فقال له الرجل كنت انبش القبور وكنت اجد قوما وجوههم لغير القبلة فلم يكن عند الفزاري في ذلك شيء فكتب الى الاوزاعي يخبره بذلك فكتب اليه الاوزاعي تقبل توبته اذا صحت نيته وعلم الله الصدق من قلبه واما قوله انه كان يجد قوما وجوههم لغير القبلة فاولائك قوم ماتوا على غير السنة * وقال ابن ابي الدنيا حدثني عبد المومن بن عبد الله بن عيسى القيسي انه قيل

لنباش قد تاب ما اعجب ما رأيت قال نبشت رجلا قال فاذا هو مسمر بالمسامير في سائر جسده و مسمار كبير في رأسه وآخر في رجليه قال وقيل لنباش آخر ما اعجب ما رأيت قال رأيت جمجمة انسان مصبوب فيها رصاصا * قال وقيل لنباش اخر ما كان سبب توبتك قال عامة من كنت انبش كنت اراه محول الوجه عن القبلة * قلت وحدثني صاحبنا ابو عبد الله محمد بن مساب السلامي وكان من خيار عباد الله وكان يتحرى الصدق قال جاء رجل الى سوق الحدادين ببغداد فباع مسامير صغار المسمار براسين فاخذها الحداد وجعل يحمي عليها فلا تلين معه حتى عجز عن ضربها فطلب البائع فوجده فقال من اين لك هذه المسامير فقال لقيتها فلم يزل به حتى اخبره انه وجد قبرا مفتوحا وفيه عظام ميت منظومة بهذه المسامير قال فعالجتها على ان اخرجها فلم اقدر فاخذت حجرا فكسرت عظامه وجمعتها قال وانا رأيت تلك المسامير قلت له فكيف صفتها قال المسمار صغير براسين * قال ابن ابي الدنيا وحدثني ابي عن ابي الحريس عن امه قالت لما حفر ابو جعفر خندق الكوفة حول الناس موتاهم فرأينا شابا ممن حول عاضا على يده * وذكر عن سماك بن حرب قال مر ابو الدرداء بين القبور فقال ما اسكن ظواهرك وفي داخلك الدواهي * وقال ثابت البناني بينا انا امشي في المقابر واذا صوت خلفي وهو يقول يا ثابت لا يغرنك سكونها فكم من مغموم فيها فالتفت فلم ار احدا * ومر الحسن على مقبرة فقال

يالهم من عسكر ما اسكنهم و كم فيهم من مكروب و ذ كر ابن ابي الد نيا ان عمر بن عبد العزيز قا ل لمسلمة بن عبد الملك يامسلمة من د فن اباك فا ل مولاي فلان قا ل فمن د فن الوليد قا ل مولاي فلان قال فانا احد ثك ما حدثني به انه لما د فن اباك و الوليد فوضعهما في قبورهما و ذهب ليحل العقد عنهما وجد وجوههما قد حولت في اقفيتهما فانظر يا مسلمة اذا انا مت فالتمس وجهي فانظر هل نزل بي ما نزل بالقوم او هل عوفيت من ذلك قال مسلمة فلما مات عمر و ضعته في قبره فلمست وجهه فاذا هو مكانه * وذكر ابن ابي الد نيا عن بعض السلف قال ماتت ابنة لى فانزلتها القبر فذهبت اصلح اللبنة فاذا هي قد حولت عن القبلة فاغتممت لذلك غما شديدا فاريتها في النوم فقالت ياابت غممت لما رأيت فان عامة من حولى محولين عن القبلة قال كانها تريد الذين ما توا مصرين على الكبائر * وقال عمرو بن ميمون سمعت عمر بن عبد العزيز يقول كنت في من د لى الوليد بن عبد الملك في قبره فنظرت الى ركبتيه قد جمعتا فى عنقه فقال ابنه عاش ابي ورب الكعبة فقلت عوجل ابوك ورب الكعبة فاتعظ بها عمر بعده * وقال عمر بن عبد العزيز ليزيد بن المهلب لما استعمله على العراق يايزيد اتق الله فانى حين وضعت الوليد في لحده فاذا هو يركض فى اكفانه * وقال يزيد بن هارون اخبرنا هشام ابن حسان عن واصل مولى ابن عيينة عن عمرو بن زهدم عن عبد الحميد ابن محمود قال كنت جالسا عند ابن عباس فاتاه قوم فقالوا انا خرجنا

جماجاو معنا صاحب لنااذ اتيناذ االصفاح مات فهيأ ناه ثم انطلقنا لحفرنا
له و لحد ناله فلما فرغنا من لحده اذ انحن باسود قد ملاالحد فحفر ناله
اخر فاذابه قد ملأ لحده فحفرنا اخر فاذا به فقال ابن عباس ذاك
الغل الذى يغل به انطلقوا فادفنوه فى بعضها فوالذي نفسى بيده
لوحفرتم الارض كلها لوجدتموه فيه فانطلقنا فوضعناه في بعضها فلما
رجعنا اتينا اهله بمتيع له معنا فقلنا لامرأته ماكان يعمل زوجك
قالت كان يبيع الطعام فياخذ منه كل يوم قوت اهله ثم يقرض القصل
مثله فيلقيه * وقال ابن ابى الدنيا حدثنى محمد بن الحسين قال حدثنى
ابواسحق صاحب الشاط قال دعيت الى ميت لاغسله فلما كشفت الثوب
عن وجهه اذا بحية قد تطوقت على حلقه فذكر من غلظها قال فخرجت
فلم اغسله فذكروا انه كان يسب الصحابة رضى الله عنهم * وذكر ابن
ابى الدنيا عن سعيد بن خالد بن يزيد الانصارى عن رجل من اهل البصرة
كان يحفر القبور قال حفرت قبراذات يوم ووضعت رأسى قريبا منه
فاتتنى امرأتان في منامى فقالت احداهما ياعبد الله نشدتك بالله الا
صرفت عنا هذه المراة ولم تجاورنا بها فاستيقظت فزعا فاذا بجنازة
امرأة قد جئ بها فقلت القبر وراءكم فصرفتهم عن ذلك القبر فلما
كان بالليل اذا انا بالمرأتين فى منامى تقول احداهما جزاك الله عنا
خيرا فلقد صرفت عنا شراطويلا قلت ما لصاحبتك لاتكلمنى كما تكلمينى
انت قالت ان هذه ماتت عن غير وصية وحق لمن مات عن غير وصية

ان

ان لا يتكلم الى يوم القيامة * وهذه الاخبار واضعافها واضعاف اضعافها
مما لا يتسع لها الكتاب مما اراه الله سبحانه لبعض عباده من عذاب
القبر ونعيمه عيانا وامارؤية المنام فلوذكرناها لجاءت عدة اسفار ومن
اراد الوقوف عليها فعليه (بكتاب المنامات) لابن ابي الدنيا
(وكتاب البستان) للقيرواني وغيرهما من الكتب المتضمنة لذلك وليس
عند الملاحدة والزنادقة الا التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه *

فصل

(الامر السابع) ان الله سبحانه وتعالى يحدث في هذه الدار ماهو اعجب
من ذلك فهذا جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ويتمثل
له رجلا فيكلمه بكلام يسمعه ومن الى جانب النبي صلى الله عليه وسلم
لايراه ولا يسمعه وكذلك غيره من الانبياء واحيانا ياتيه الوحي في
مثل صلصلة الجرس ولا يسمعه غيره من الحاضرين وهؤلاء الجن
يتحدثون ويتكلمون بالاصوات المرتفعة بيننا ونحن لانسمعهم وقد
كانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط وتضرب رقابهم وتصيح بهم
والمسلمون معهم لايرونهم ولا يسمعون كلامهم والله سبحانه قد حجب
بني ادم عن كثير مما يحدثه في الارض وهو بينهم وقد كان جبريل
يقرئ النبي صلى الله عليه وسلم ويدارسه القران والحاضرون لا يسمعونه
وكيف يستنكر من يعرف الله سبحانه ويقر بقدرته ان يحدث حوادث
يصرف عنها ابصار بعض خلقه حكمة منه ورحمة بهم لانهم لا يطيقون

الامر السابع

رؤيتها وسماعها والعبد اضعف بصرا وسمعا من ان يثبت لمشاهدة عذاب القبر وكثيرا ممن اشهده الله ذلك صعق وغشي عليه ولم ينتفع بالعيش زمنا وبعضهم كشف قناع قلبه فمات فكيف ينكر فى الحكمة الالهية اسبال غطاء يحول بين المكلفين وبين مشاهدة ذلك حتى اذا كشف الغطاء رأوه وشاهدوه عيانا ثم ان العبد قادر على ان يزيل الزيبق والخردل عن عين الميت وصدره ثم يرده بسرعة فكيف يعجز عنه الملك وكيف لا يقدر عليه من هو على كل شيء قدير وكيف تعجز قدرته عن ابقائه في عينيه وعلى صدره لا يسقط عنه وهل قياس امر البرزخ على ما يشاهده الناس في الدنيا الا محض الجهل والضلال وتكذيب اصدق الصادقين وتعجيز رب العالمين وذلك غاية الجهل والظلم واذا كان احد منا يمكنه توسعة القبر عشرة اذرع ومائة ذراع واكثر طولا وعرضا وعمقا ويستر توسيعه عن الناس ويطلع عليه من يشاء فكيف يعجز رب العالمين ان يوسعه ما يشاء على من يشاء ويستر ذلك عن اعين بني آدم فيراه بنو آدم ضيقا وهو اوسع شيء واطيبه ريحا واعظمه اضاءة ونورا وهم لا يرون ذلك وسر المسئلة ان هذه التوسعة والضيق والاضاءة والخضرة والنار ليس من جنس المعهود في هذا العالم والله سبحانه انما اشهد بني آدم في هذه الدار ما كان فيها ومنها فاما ما كان من امر الآخرة فقد اسبل عليه الغطاء ليكون الاقرار به والايمان سببا لسعادتهم فاذا كشف عنهم الغطاء صار عيانا مشاهدا فلو كان الميت بين الناس موضوعا لم يمتنع ان يأتيه

الملكان و يسأ لانه من غير ان يشعر الحاضرون بذلك و يجيبهما من غير ان يسمعوا كلامه و يضربانه من غير ان يشاهد الحاضرون ضربه و هذا الواحد منا ينام الى جنب صاحبه فيعذب في النوم و يضرب و يألم وليس عند المستيقظ خبر من ذلك البتة وقد سرى اثر الضرب والالم الى جسده و من اعظم الجهل استبعاد شق الملك الارض و الحجر و قد جعلهما الله سبحانه له كالهواء للطير و لا يلزم من حجبها للاجسام الكثيفة ان تتولج فيها حجبها للارواح اللطيفة وهل هذا الا من افسد القياس و بهذا و امثاله كذبت الرسل صلوات الله و سلامه عليهم *

فصل

الامر الثامن انه غير ممتنع ان ترد الروح الى المصلوب والغريق والمحرق و نحن لا نشعر بها لان ذلك الرد نوع اخر غير المعهود فهذا المغمى عليه و المسكوت و المبهوت احياء و ارواحهم معهم و لا نشعر بحياتهم ومن تفرقت اجزاؤه لا يمتنع على من هو على كل شئ قدير ان يجعل للروح اتصالا بتلك الاجزاء على تباعد ما بينها و قربه و يكون في تلك الاجزاء شعور بنوع من الالم و اللذة و اذا كان الله سبحانه و تعالى قد جعل فى الجمادات شعورا و ادراكا تسبح ربها به و تسقط الحجارة من خشيته و تسجد له الجبال و الشجر و تسبحه الحصى و المياه و النبات قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم * و لو كان التسبيح هو مجرد دلالتها على صانعها لم يقل ولكن لا تفقهون تسبيحهم فان كل

الامر الثامن

عاقل يفقه دلالتها على صانعها وقال تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى و الاشراق * والدلالة على الصانع لا تختص بهذين الوقتين وكذلك قوله تعالى يا جبال اوبي معه * والدلالة لا تختص معيته و حد كذب على الله من قال التاويب رجع الصدى فان هذا يكون لكل مصوت وقال تعالى الم تران الله يسجد له من في السموات و من في الارض و الشمس و القمر و النجوم و الجبال و الشجر و الدواب و كثير من الناس * والدلالة على الصانع لا تختص بكثير من الناس وقال تعالى الم ترا ن الله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته و تسبيحه * فهذه صلوة و تسبيح حقيقة يعلمها الله وان جحدها الجاهلون المكذبون و قد اخبر تعالى عن الحجارة ان بعضها يزول من مكانه و يسقط من خشيته و قد اخبر عن الارض والسماء انهما ياذنان له و قولها ذلك اى يستمعان كلامه وانه خاطبهما فسمعا خطابه و احسنا جوابه فقال لهما ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقد كان الصحابة يسمعون تسبيح الطعام و هو يوكل و سمعوا حنين الجذع اليابس في المسجد فاذا كانت هذه الاجسام فيها الاحساس والشعور فالاجسام التى كانت فيها الروح و الحياة اولى بذلك وقد اشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار اعادة حياة كاملة الى بدن قد فارقته الروح فتكلم ومشى واكل و شرب و تزوج و ولد له كالذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم *

اوكالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم * وكقتيل بنى اسرائيل او كالذين قالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاماتهم الله ثم بعثهم من بعد موتهم وكاصحاب الكهف وكقصة ابراهيم في الطيور الاربعة فاذا اعاد الحياة التامة الى هذه الاجساد بعد ما بردت بالموت فكيف يمتنع على قدرته الباهرة ان يعيد اليها بعد موتها حياة ما غير مستقرة تقتضى بها امامرها فيها او يستنطقها بها او يعذبها او ينعمها باعمالها وهل انكار ذلك الامر د تكذيب وعناد وجحود وبالله التوفيق *

فصل

الامر التاسع

الامر التاسع انه ينبغى ان يعلم ان عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه وهو ما بين الدنيا والاخرة وقال تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون * وهذا البرزخ يشرف اهله فيه على الدنيا والاخرة وسمى عذاب القبر ونعيمه وانه روضة او حفرة نار باعتبار غالب الخلق فالمصلوب والحرق والغرق واكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذى تقتضيه اعماله وان تنوعت اسباب النعيم والعذاب كيفياتها فقد ظن بعض الاوائل انه اذا حرق جسده بالنار وصار رمادا وذرى بعضه في البحر وبعضه في البر في يوم شديد الريح انه ينجو من ذلك فاوصى بنيه ان يفعلوا به ذلك فامر الله

البحر فجمع مافيه وامر البر فجمع مافيه ثم قال قم فاذا هو قائم بين يدى الله فسأله ماحملك على مافعلت فقال خشيتك يارب وانت اعلم فما تلافاه ان رحمه فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الاجزاء التى صارت في هذه الحال حتي لو علق الميت على روس الاشجار فى مهاب الرياح لاصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه ولو دفن الرجل الصالح في اتون من النار لاصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه فيجعل الله النار على هذا بردا وسلاما والهواء على ذلك نارا وسموما فعناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها يصرفها كيف يشاء ولا يستعصى عليه منها شئ اراده بل هى طوع مشيته مذللة منقادة لقدرته ومن انكر هذا فقد جحد رب العالمين وكفر به وانكر ربوبيته *

﴿ فصل ﴾

﴿الامر العاشر﴾ ان الموت معاد وبعث اول فان الله سبحانه وتعالى جعل لابن آدم معادين وبعثين يجزى فيهما الذين اساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى فالبعث الاول مفارقة الروح للبدن ومصيرها الى دار الجزاء الاول والبعث الثانى يوم يرد الله الارواح الى اجسادها ويبعثها من قبورها الى الجنة او النار وهو الحشر الثاني ولهذا في الحديث الصحيح وتومن بالبعث الاخر فان البعث الاول لا ينكره احد وان انكر كثير من الناس الجزاء فيه والنعيم والعذاب وقد

﴿ الامر العاشر ﴾

ذكر الله سبحانه و تعالى هاتين القيامتين و هما الصغري والكبرى في سورة المومنين وسورة الواقعة وسورة القيامة وسورة المطففين وسورة الفجر وغيرها من السور وقد اقتضى عدله وحكمته ان جعلها داري جزاء المحسنين والمسيء ولكن توفية الجزاء انما يكون يوم المعاد الثاني في دار القرار كما قال تعالى كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة* وقد اقتضى عدله واوجبت اسماؤه الحسنى وكماله المقدس تنعيم ابدان اوليائه وارواحهم وتعذيب ابدان اعدائه وارواحهم فلابد ان يذيق بدن المطيع له وروحه من النعيم واللذة مايليق به ويذيق بدن الفاجر العاصي له وروحه من الالم والعقوبة مايستحقه هذا موجب عدله وحكمته وكماله المقدس ولما كانت هذه الدار دار تكليف وامتحان لادار جزاء لم يظهر فيها ذلك واما البرزخ فاول دار الجزاء فظهر فيها من ذلك مايليق بتلك الدار وتقتضي الحكمة اظهاره فاذا كان يوم القيامة الكبرى وفى اهل الطاعة واهل المعصية مايستحقونه من نعيم الابدان والارواح وعذابهما فعذاب البرزخ ونعيمه اول عذاب الاخرة ونعيمها وهو مشتق منه وواصل الى اهل البرزخ هناك كما دل عليه القران والسنة الصحيحة الصريحة في غير موضع دلالة صريحة كقوله صلى الله عليه وسلم فيفتح له باب الى الجنة فياتيه من روحها ونعيمها وفي الفاجر فيفتح له باب الى النار فياتيه من حرها وسمومها* ومعلوم قطعا ان البدن ياخذ حظه من هذا الباب

كما تاخذ الروح حظها فاذا كان يوم القيامة دخل من ذلك الباب الى مقعده الذي هو داخله وهذان البابان يصل منهما الى العبد في هذه الدار اثر خفي محجوب بالشواغل والغواشي الحسية والعوارض ولكن يحس به كثير من الناس وان لم يعرف سببه ولا يحسن التعبير عنه فوجود الشيء غير الاحساس به والتعبير عنه فاذا مات كان وصول ذلك الاثر اليه من ذينك البابين اكمل فاذا بعث كمل وصول ذلك الاثر اليه فحكمة الرب تعالى منتظمة لذلك اكمل انتظام في الدور الثلاث *

* فصل * * * * واما المسئلة الثامنة وهي قول السائل ما الحكمة في كون عذاب القبر لم يذكر في القران مع شدة الحاجة الى معرفته والايمان به ليحذر ويتقى *

فالجواب من وجهين * مجمل * ومفصل * اما المجمل فهو ان الله سبحانه وتعالى انزل الله على رسوله وحيين واوجب على عباده الايمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة * وقال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة * وقال تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة * والكتاب هو القران والحكمة هي السنة باتفاق السلف وما اخبر به الرسول عن الله فهو في وجوب تصديقه والايمان به كما اخبر به الرب تعالى على لسان رسوله هذا اصل متفق عليه بين اهل الاسلام لا ينكره الا من ليس

* المسئلة الثامنة في ان ما الحكمة في عدم ذكر عذاب القبر في القران مع شدة الحاجة اليه *

منهم

منهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اني اوتيت الكتاب ومثله معه * واما الجواب المفصل * فهو ان نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القران في غير موضع * فمنها * قوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون * وهذا خطاب لهم عند الموت وقد اخبرت الملائكة وهم الصادقون انهم حينئذ يجزون عذاب الهون ولو تأخر عنهم ذلك الى انقضاء الدنيا لما صح ان يقال لهم اليوم تجزون * ومنها * قوله تعالى فوقاه الله سيأت مامكروا وحاق بال فرعون سوء العذاب * النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب * فذكر عذاب الدارين ذكرا صريحا لا يحتمل غيره * ومنها * قوله تعالى فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون * وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون * وهذا يحتمل ان يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا وان يراد به عذابهم في البرزخ وهو اظهر لان كثيرا منهم مات ولم يعذب فى الدنيا وقد يقال وهو اظهر ان من مات منهم عذب فى البرزخ ومن بقى منهم عذب في الدنيا بالقتل وغيره فهو وعيد بعذابهم فى الدنيا وفي البرزخ * ومنها * قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون * وقد احتج بهذه الاية جماعة منهم عبد الله بن عباس على عذاب القبر وفي الاحتجاج

بهاشئ لان هذا عذاب في الدنيا يستدعى به رجوعهم عن الكفر ولم يكن
هذا مما يخفى على حبر الامة و ترجمان القران لكن من فقهه فى القران
و دقة فهمه فيه فهم منها عذاب القبر فانه سبحانه اخبر ان له فيهم عذابين
ادنى و اكبر فاخبر انه يذيقهم بعض الادنى ليرجعوا فدل على انه بقى
لهم من الادنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا ولهذا قال من العذاب
الادنى ولم يقل و لنذيقنهم العذاب الادنى فتامله وهذا نظير قول
النبي صلى الله عليه و سلم فيفتح له طاقة الى النار فيأتيه من
حرها و سمومها * ولم يقل فيأتيه حرها و سمومها فان الذى وصل
اليه بعض ذلك وبقى له اكثره والذي ذاقه اعداء الله فى الدنيا
بعض العذاب الادنى و بقي لهم ما هو اعظم منه * ومنها * قوله تعالى
فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون و نحن اقرب اليه منكم
و لكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين
فاما ان كان من المقربين فروح و ريحان و جنة نعيم واما ان كان
من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين و اما ان كان من
المكذبين الضالين فنزل من حميم و تصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين
فسبح باسم ربك العظيم * فذكر ههنا احكام الارواح عند الموت و ذكر
في اول السورة احكامها يوم المعاد الاكبر و قدم ذلك على هذا تقديم
الغاية للغاية اذ هى اهم و اولى بالذكر وجعلهم عند الموت ثلاثة اقسام
كما جعلهم فى الاخرة ثلاثة اقسام * و منها * قوله تعالى يا ايتها النفس

المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي *
وقد اختلف السلف متى يقال لها ذلك فقالت طائفة يقال لها عند الموت
وظاهر اللفظ مع هولاء فانه خطاب للنفس التي قد تجردت عن البدن
وخرجت منه وقد فسر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في حديث
البراء وغيره فيقال لها اخرجي راضية مرضيا عنك * وسيأتي تمام تقرير
هذا في المسئلة التي يذكر فيها مستقر الارواح في البرزخ ان شاء الله تعالى
وقوله تعالى فادخلي في عبادي * مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم
الرفيق الاعلى * وانت اذا تأملت احاديث عذاب القبر ونعيمه وجدتها
تفصيلا وتفسيرا لما دل عليه القران وبالله التوفيق *

فصل * * * واما المسئلة التاسعة وهي قول السائل
ما الاسباب التي تعذب بها اصحاب القبور

المسئلة التاسعة في الاسباب التي تعذب بها اصحاب القبور

فجوابها من وجهين * مجمل ومفصل * اما المجمل * فانهم يعذبون على جهلهم
بالله واضاعتهم لامره وارتكابهم لمعاصيه فلا يعذب الله روحا عرفته واحبته
وامتثلت امره واجتنبت نهيه ولا بدنا كانت فيه ابدا فان عذاب القبر
وعذاب الاخرة اثر غضب الله وسخطه على عبده فمن اغضب الله واسخطه
في هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر
غضب الله وسخطه عليه فمستقل ومستكثر ومصدق ومكذب * واما
الجواب المفصل * فقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجلين الذين
راهما يعذبان في قبورهما يمشي احدهما بالنميمة بين الناس ويترك الاخر

الاستبراء من البول فهذا ترك الطهارة الواجبة وذلك ارتكب السبب
الموقع للعداوة بين الناس بلسانه وان كان صادقا وفي هذا تنبيه على
ان الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان اعظم عذابا كما ان
في ترك الاستبراء من البول تنبيها على ان من ترك الصلوة التى
الاستبراء من البول بعض واجباتها وشروطها فهو اشد عذابا وفي
حديث شعبة اما احدهما فكان ياكل لحوم الناس * فهذا مغتاب وذلك
نمام وقد تقدم حديث ابن مسعود في الذى ضرب سوطا امتلأ القبر
عليه به نارا لكونه صلى صلوة واحدة بغير طهور ومر على مظلوم
فلم ينصره وقد تقدم حديث سمرة في صحيح البخاري في تعذيب من
يكذب الكذبة فتبلغ الافاق وتعذيب من يقرأ القران ثم ينام عنه
بالليل ولا يعمل به بالنهار وتعذيب الزناة والزواني وتعذيب اكل
الربا كما شاهدهم النبي صلى الله عليه وسلم في البرزخ وتقدم حديث
ابي هريرة الذى فيه رضخ رؤس اقوام بالصخر لتثاقل روسهم عن
الصلوة والذين يسرحون بين الضريع والزقوم لتركهم زكوة
اموالهم والذين ياكلون اللحم المنتن الخبيث لزناهم والذين تقرض
شفاههم بمقاريض من حديد لقيامهم في الفتن بالكلام والخطب وتقدم
حديث ابي سعيد وعقوبة ارباب تلك الجرائم فمنهم من بطونهم امثال
البيوت وهم على سابلة ال فرعون وهم اكلة الربا ومنهم من تفتح
افواههم فيلقمون الجمر حتى تخرج من اسافلهم وهم اكلة اموال اليتامى

ومنهم

ومنهم المعلقات بثديهن وهن الزواني ومنهم من تقطع جنوبهم ويطعمون لحومهم وهم المغتابون ومنهم من لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم وهم الذين يغمزون اعراض الناس وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن صاحب الشملة التي غلها من المغنم انها تشتعل عليه نارا في قبره هذا وله فيها حق فكيف بمن ظلم غيره مالا حق له فيه فعذاب القبر من معاصي القلب والعين والاذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله فالنمام والكذاب والمغتاب وشاهد الزور وقاذف المحصن والموضع في الفتنة والداعي الى البدعة والقائل على الله ورسوله مالا علم له به والمجازف في كلامه واكل الربا واكل اموال اليتامى واكل السحت من الرشوة والبرطيل ونحوهما واكل مال اخيه المسلم بغير حق او مال المعاهد وشارب المسكر واكل لقمة الشجرة الملعونة والزاني واللوطي والسارق والخائن والغادر والمخادع والماكر واخذ الربا ومعطيه وكاتبه وشاهداه والمحلل والمحلل له والمحتال على اسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه ومؤذي المسلمين ومتبع عوراتهم والحاكم بغير ما انزل الله والمفتي بخلاف ماشرعه الله والمعين على الاثم والعدوان وقاتل النفس التي حرم الله والملحد في حرم الله والمعطل لحقائق اسماء الله وصفاته الملحد فيها والمقدم رايه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنائحة والمستمع اليها ونواحي جهنم وهم المغنيون الغناء الذي

حرمه الله ورسوله والمستمع اليهم والذين يبنون المساجد على القبور
ويوقدون عليها القناديل والسرج والمطففون في استيفاء مالهم اذا
اخذوه وهضم ما عليهم اذا بذلوه والجبارون والمتكبرون والمراؤن
والهمازون واللمازون والطاعنون على السلف والذين ياتون الكهنة
والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم واعوان الظلمة الذين
قد باعوا اخرتهم بدنيا غيرهم والذى اذا خوفته بالله وذكرته به
لم يرعو ولم ينزجر فاذا اخوفته بمخلوق مثله خاف وارعوى وكف
عن ما هو فيه والذى يهدى بكلام الله ورسوله فلا يهتدي ولا يرفع
به رأسا فاذا ابلغه عن من يحسن به الظن ممن يصيب ويخطى عض عليه
بالنواجذ ولم يخالفه والذى يقرأ عليه القران فلا يؤثر فيه وربما
استثقل به فاذا اسمع قران الشيطان ورقية الزنا ومادة النفاق طاب
سره وتواجد وهاج من قلبه دواعي الطرب وود ان المغنى لا يسكت
والذى يحلف بالله ويكذب فاذا احلف بالبندق او برأس شيخه او
قريبه او سراويل الفتوة او حياة من يحبه ويعظمه من المخلوقين
لم يكذب ولو هدد وعوقب والذى يفتخر بالمعصية ويتكثر بها بين اخوانه
واضرابه وهو المجاهر والذي لا تأمنه على مالك وحرمتك والفاحش
اللسان البذى الذى تركه الخلق اتقاء شره وفحشه والذى يؤخر
الصلوة الى اخر وقتها وينقرها ولا يذكر الله فيها الا قليلا ولا يؤدى
زكوة ماله طيبة بها نفسه ولا يحج مع قدرته على الحج ولا يؤدى

ماعليه من الحقوق مع قدرته عليها ولا يتورع من لحظة ولا لفظة ولا اكلة ولا خطوة ولا يبالى بما حصل المال من حلال او حرام ولا يصل رحمه ولا يرحم المسكين ولا الارملة ولا اليتيم ولا الحيوان البهيم بل يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ويرائي للعالمين ويمنع الماعون ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه وبذنوبهم عن ذنبه فكل هؤلاء وامثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها وصغيرها وكبيرها ولما كان اكثر الناس كذلك كان اكثر اصحاب القبور معذبين والفائز منهم قليل فظواهر القبور تراب * وبواطنها حسرات وعذاب * ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات * وفي باطنها الدواهي والبليات * تغلي بالحسرات كما تغلي القدور بما فيها ويحق لها وقد حيل بينها وبين شهواتها وامانيها * تالله لقد وعظت فما تركت لواعظ مقالا * ونادت يا عمار الدنيا لقد عمرتم دارا موشكة بكم زوالا * وخربتم دارا انتم مسرعون اليها انتقالا عمرتم بيوتا لغيركم منافعها وسكناها * وخربتم بيوتا ليس لكم مساكن سواها * هذه دار الاستباق ومستودع الاعمال وبيدر الزرع وهذه محل للعبر رياض من رياض الجنة او حفرة من حفر النار *

* فصل * * * * واما المسئلة العاشرة وهي قوله ماهي الاسباب المنجية من عذاب القبر *

فجوابها ايضا من وجهين * مجمل ومفصل * اما المجمل * فهو تجنب

* المسئلة العاشرة في الاسباب المنجية من عذاب القبر *

تلك الاسباب التى تقتضى عذاب القبر ومن انفعها ان يجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ماخسره وربحه في يومه ثم يجدد له توبة نصوحا بينه وبين الله فينام على تلك التوبة ويعزم على ان لا يعاود الذنب اذا استيقظ ويفعل هذا كل ليلة فان مات من ليلته مات على توبة وان استيقظ استيقظ مستقبلا للعمل مسرورا بتاخير اجله حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فاته وليس للعبد انفع من هذه النومة ولا سيما اذا اعقب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند النوم حتى يغلبه النوم فمن اراد الله به خيرا وفقه لذلك ولا قوة الا بالله

* واما الجواب المفصل * فنذكر احاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ينجي من عذاب القبر فمنها ما رواه مسلم في صحيحه عن سلمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات اجرى عليه عمله الذى كان يعمله واجرى عليه رزقه وامن الفتان * وفي جامع الترمذي من حديث فضالة بن عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا الذي مات مرابطا في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وفي سنن النسائي عن رشدين بن سعد عن رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال يا رسول الله ما بال المومنين يفتنون فى قبورهم الا

الشهيد قال كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة وعن المقدام بن معديكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في اول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويا من من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من اقاربه رواه ابن ماجة والترمذي وهذا لفظه وقال هذا حديث حسن صحيح وعن ابن عباس قال ضرب رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ضربت خبائي على قبر وانا لا احسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر قال الترمذي هذا حديث حسن غريب * وروينا في مسند عبد بن حميد عن ابراهيم بن الحكم عن ابيه عن عكرمة عن ابن عباس انه قال لرجل الا اتحفك بحديث تفرح به قال الرجل بلى قال اقرأ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير احفظها وعلمها اهلك وولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل او تخاصم يوم القيامة عند ربها لقاريها وتطلب له الى ربها ان ينجيه من عذاب النار اذا كانت في جوفه وينجي الله بها صاحبها من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لوددت انها في قلب كل انسان من امتي * قال ابو عمر بن عبد البر وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان سورة ثلاثين آية شفعت في صاحبها حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك * وفي سنن ابن ماجة من حديث ابي هريرة يرفعه من مات مبطونا مات شهيدا ووقي فتنة القبر وغدي وريح عليه برزق من الجنة * وفي سنن النسائي عن جامع ابن شداد قال سمعت عبد الله بن يشكر يقول كنت جالسا مع سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة فذكروا ان رجلا مات ببطنه فاذا هما يشتهيان ان يكونا شهدا جنازته فقال احدهما للاخر الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتله بطنه لم يعذب في قبره * وقال ابو داود الطيالسي في مسنده حدثنا شعبة حدثني احمد بن جامع بن شداد قال حدثني ابي فذكره وزاد فقال الاخر بلى * وفي الترمذي من حديث ربيعة بن سيف عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يموت يوم الجمعة او ليلة الجمعة الا وقاه الله فتنة القبر قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وليس اسناده بمتصل ربيعة بن سيف انما يروى عن ابي عبد الرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمرو ولا يعرف لربيعة بن سيف سماع من عبد الله بن عمرو انتهى وقد روى الترمذي الحكيم من حديث ربيعة بن سيف هذا عن عياض بن عقبة الفهري عن عبد الله بن عمرو وقد رواه ابو نعيم الحافظ عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا ولفظه من مات ليلة الجمعة او يوم الجمعة اجير من

عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء * تفرد به عمر بن موسى
الوجيهي وهو مدنى ضعيف وقوله صلى الله عليه وسلم كفى ببارقة
السيوف على رأسه فتنة * معناه والله اعلم قد امتحن نفاقه من ايمانه ببارقة
السيف على رأسه فلم يفر فلو كان منافقا لما صبر لبارقة السيف على رأسه
فدل على ان ايمانه هو الذى حمله على بذل نفسه لله وتسليمها له
وهاج من قلبه حمية الغضب لله ورسوله واظهار دينه واعزاز كلمته
فهذا قد اظهر صدق ما في ضميره حيث برز للقتل فاستغنى بذلك
عن الامتحان في قبره قال ابو عبد الله القرطبي اذا كان الشهيد
لا يفتن فالصديق اجل خطرا واعظم اجرا ان لا يفتن لانه مقدم ذكره
فى التنزيل على الشهداء وقد صح في المرابط الذى هو دون الشهيد انه
لا يفتن فكيف بمن هو اعلى رتبة منه ومن الشهيد والاحاديث الصحيحة
ترد هذا القول وتبين ان الصديق يسئل فى قبره كما يسئل غيره وهذا
عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأس الصديقين وقد قال للنبى صلى الله
عليه وسلم لما اخبره عن سوال الملك فى قبره فقال وانا على مثل حالتي
هذه فقال نعم وذكر الحديث وقد اختلف في الانبياء هل يسئلون في
قبورهم على قولين وهما وجهان في مذهب احمد وغيره ولا يلزم من
هذه الخاصية التى اختص بها الشهيد ان يشاركه الصديق فى حكمها
وان كان اعلى منه فخواص الشهداء قد تنتفى عن من هو افضل منهم وان
كان اعلى منهم درجة واما حديث ابن ماجة من مات مريضا مات

شهيد او وقى فتنة القبر فمن افراد ابن ماجة وفي افراده غرائب
و منكرات و مثل هذا الحديث مما يتوقف فيه ولا يشهد به على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان صح فهو مقيد بالحديث الاخر
وهو الذى يقتله بطنه فان صح عنه انه قال المبطون شهيد فيحمل هذا
المطلق على ذلك المقيد والله اعلم وقد جاء فيما ينجى من عذاب القبر
حديث فيه الشفاء رواه ابو موسى المديني وبين علته فى كتابه في
الترغيب والترهيب وجعله شرحاله رواه من حديث ابى الفرج بن فضالة
ثنا هلال ابو جبلة عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال
خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في صفة بالمدينة فقام
علينا فقال اني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من امتى اتاه ملك
الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه ورأيت
رجلا من امتى قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فطير الشياطين
عنه ورأيت رجلا من امتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته
صلاته فاستنقذته من ايديهم ورأيت رجلا من امتى يلهث عطشا كلما
دنا من حوض منع وطرد فجاءه صيام شهر رمضان فاسقاه وارواه
ورأيت رجلا من امتى ورأيت النبيين جلوسا حلقا حلقا كلما دنا الى حلقة
طرد ومنع فجاءه غسله من الجنابة فاخذ بيده فاقعده الى جنبي ورأيت
رجلا من امتى من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن
يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة وهو متحير فيه فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه

من الظلمة و ادخلاه في النور و رأيت رجلا من امتي يتقي وهج النار وشررها فجاءته صدقته فصارت سترا بينه وبين النار وظللا على رأسه ورأيت رجلا من امتي يكلم المومنين ولا يكلمونه فجاءته صلته لرحمه فقالت يامعشر المومنين انه كان وصولا لرحمه فكلموه فكلمه المومنون وصافحوه وصافحهم ورأيت رجلا من امتي قد احتوشته الزبانية فجاءه امره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من ايديهم و ادخله في ملا ئكة الرحمة ورأيت رجلا من امتي جاثيا على ركبتيه و بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فاخذه بيده فادخله على الله عزوجل ورأيت رجلا من امتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عزوجل فاخذ صحيفته فوضعها في يمينه ورأيت رجلا من امتي خف ميزانه فجاءه افراطه فثقلوا ميزانه ورأيت رجلا من امتي قائما على شفير جهنم فجاءه رجاؤه من الله عزوجل فاستنقذه من ذلك و مضى ورايت رجلا من امتي قد هوى في النار فجاءته دمعته التي قد بكى من خشية الله عزوجل فاستنقذته من ذلك ورأيت رجلا من امتي قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله عزوجل فسكن رعدته و مضى ورأيت رجلا من امتي يزحف على الصراط يحبو احيانا ويتعلق احيانا فجاءته صلاته علي فاقامته على قدميه و انقذته ورأيت رجلا من امتي انتهى الى ابواب الجنة فغلقت الابواب دونه فجاءته شهادة ان لا اله الا الله ففتحت له الابواب وادخلته الجنة * قال الحافظ ابوموسى

هذا حديث حسن جدا رواه عن سعيد بن المسيب عمر بن د ر
و علي بن زيد بن جدعان ونحو هذا الحديث مما قيل فيه ان رؤيا
الانبياء وحي فهي على ظاهرها لا كنحو ماروي عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال رأيت كان سيفي انقطع فاولته كذا وكذا او رأيت بقرا تنحر
ورأيت كانا في دار عقبة بن رافع * وقد روى في رؤياه الطويلة من
حديث سمرة في الصحيح ومن حديث علي وابي امامة وروايات هؤلاء
الثلاثة قريب بعضها من بعض مشتملة على ذكر عقوبات جماعة من
المعذبين في البرزخ فاما في هذه الرواية فذكر العقوبة واتبعها بنجي
صاحبها من العمل وراوى هذا الحديث عن ابن المسيب هلال
ابو جبلة مدني لا يعرف بغير هذا الحديث ذكره ابن ابي حاتم عن ابيه
هكذا ذكره الحاكم ابو احمد والحاكم ابو عبد الله ابو جبل بلا هاء وحكياه
عن مسلم ورواه عنه الفرج بن فضالة وهو وسط في الرواية ليس
بالقوى ولا المتروك ورواه عنه بشر بن الوليد الفقيه المعروف بابي
الخطيب كان حسن المذهب جميل الطريقة وسمعت شيخ
الاسلام يعظم امر هذا الحديث وقال اصول السنة تشهد له وهو
من احسن الاحاديث *

﴿ فصل ﴾ *** ﴿ واما المسئلة الحادية عشر وهي ان السوال في القبر هل
هو عام في حق المسلمين والمنافقين والكفار او يختص بالمسلم والمنافق ﴾
فقال ابو عمر بن عبد البر في (كتاب التمهيد) و الاثار الدالة

تدل على ان الفتنة فى القبر لا تكون الا لمؤمن او منافق من كان منسوبا الى اهل القبلة ودين الاسلام بظاهر الشهادة واما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسئل عن ربه ودينه ونبيه وانما يسئل عن هذا اهل الاسلام فيثبت الله الذين آمنوا ويرتاب المبطلون والقرآن والسنة تدل على خلاف هذا القول وان السوال للكافر والمسلم قال الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفى الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء * وقد ثبت في الصحيح انها نزلت فى عذاب القبر حين يسئل من ربك وما دينك ومن نبيك وفي الصحيحين عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم وذكر الحديث زاد البخاري واما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد يصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين * هكذا فى البخاري واما المنافق والكافر بالواو وقد تقدم في حديث ابي سعيد الخدرى الذي رواه ابن ماجة والامام احمد كنا في جنازة مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان هذه الامة تبتلى فى قبورها فاذا الانسان دفن وتولى عنه اصحابه جاءه ملك وفي يده مطراق فاقعده فقال ما تقول في هذا الرجل فان كان مؤمنا قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان

محمد اعبده ورسوله فيقول له صدقت فيفتح له باب الى النار فيقول هذا منزلك لو كفرت بربك واما الكافر والمنافق فيقول له ماتقول فى هذا الرجل فيقول لاادرى فيقال لادريت ولااهتديت ثم يفتح له باب الى الجنة فيقول له هذا منزلك لوآمنت بربك فاما اذا كفرت فان الله ابدلك به هذا ثم يفتح له باب الى النار ثم يقمعه الملك بالمطراق قمعة يسمعه خلق الله الا الثقلين فقال بعض الصحابة يارسول الله ما احد يقوم على راسه ملك الا هيل عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء * وفي حديث البراء ابن عازب الطويل واما الكافر اذا كان في قبل من الاخرة وانقطاع من الدنيا نزل عليه ملائكة من السماء معهم مسوح وذكر الحديث الى ان قال ثم تعاد روحه فى جسده فى قبره وذكر الحديث وفى لفظ فاذا كان كافرا جاءه ملك الموت فجلس عند راسه فذكر الحديث الى قوله ماهذه الروح الخبيثة فيقولون فلان باسوء اسمائه فاذا انتهى به الى سماء الدنيا اغلقت دونه قال فيرمى به من السماء ثم قرأ قوله تعالى ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوى به الريح في مكان سحيق قال فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فيجلسانه وينتهرانه فيقولان من ربك فيقول هاه لاادري فيقولان لادريت فيقولان ماهذا النبي الذى بعث فيكم فيقول سمعت الناس

يقولون ذلك لا ادري فيقولان له لا دريت وذلك قوله تعالى
ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء وذكر الحديث واسم الفاجر
في عرف القران والسنة يتناول الكافر قطعا كقوله تعالى ان الابرار لفي
نعيم وان الفجار لفي جحيم * وقوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين * وفي
لفظ اخر في حديث البراء وان الكافر اذا كان في قبل من الاخرة وانقطاع
من الدنيا نزل اليه ملائكة شداد غضاب معهم ثياب من نار وسرابيل
من قطران فيحتوشونه فتنزع روحه كما ينزع السفود الكثير الشعب
من الصوف المبتل فاذا خرجت لعنه كل ملك بين السما والارض وكل
ملك في السماء وذكر الحديث الى ان قال انه ليسمع خفق نعالهم اذا
ولوا مدبرين فيقال ياهذا من ربك ومادينك ومن نبيك فيقول
لاادري فيقال لادريت وذكر الحديث رواه حماد بن سلمة عن يونس
ابن حباب عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء وفي حديث عيسى
ابن المسيب عن عدي بن ثابت عن البراء خرجنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار وذكر الحديث الى ان قال
وان الكافر اذا كان في دبر من الدنيا وقبل من الاخرة وحضره الموت
نزلت عليه ملائكة معهم كفن من نار وحنوط من نار فذكر الحديث
الى ان قال فترد روحه الى مضجعه فياتيه منكر ونكير يثيران الارض
بانيابهما ويفحصان الارض باشعارهما اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما
كالبرق الخاطف فيجلسانه ثم يقولان ياهذا من ربك فيقول لاادري

فينادى من جانب القبر لا دريت فيضربانه بمرزبة من حديد لو اجتمع عليها من بين الخافقين لم تقل و يضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه وذكر الحديث ورواه الامام احمد فى مسنده عن ابي النضر هاشم ابن القاسم حدثنا عيسى بن المسيب فذكره و فى حديث محمد بن سلمة عن خصيف عن مجاهد عن البراء قال كنا فى جنازة رجل من الانصار ومعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث الى ان قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا وضع الكافر اتاه منكر ونكير فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول لا ادرى فيقولان له لا دريت الحديث وقد تقدم و بالجملة فعامة من روى حديث البراء بن عازب قال فيه واما الكافر بالجزم و بعضهم قال واما الفاجر و بعضهم قال واما المنافق والمرتاب وهذه اللفظة من شك بعض الرواة هكذا في الحديث لا ادرى اىّ ذلك قال واما من ذكر الكافر والفاجر فلم يشك و رواية من لم يشك مع كثرتهم اولى من رواية من شك مع انفراده على انه لا تناقض بين الروايتين فان المنافق يسئل كما يسئل الكافر و المؤمن فيثبت الله اهل الايمان و يضل الله الظالمين و هم الكفار و المنافقون و قد جمع ابو سعيد الخدرى في حديثه الذى رواه ابو عامر العقدي ثنا عباد بن راشد عن داود بن ابي هند عن ابى نضرة عن ابى سعيد قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم جنازة فذكر الحديث وقال وان كان كافرا اومنافقا يقول له ما تقول في هذا الرجل فيقول لا ادرى و هذا صريح في ان السول للكافر و المنافق و قول

ابي عمر رحمه الله واما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسئل عن ربه ودينه ونبيه فيقال له ليس كذلك بل هو من جملة المسئولين واولى بالسوال من غيره وقد اخبر الله في كتابه انه يسئل الكافر يوم القيامة قال تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين * وقال تعالى فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون * وقال تعالى فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين * فاذا اسئلوا يوم القيامة فكيف لا يسئلون في قبورهم فليس لما ذكره ابو عمر رحمه الله وجه *

* فصل * * * * واما المسئلة الثانية عشر وهي ان سوال منكر ونكير هل هو مختص بهذه الامة او يكون لها ولغيرها *

المسئلة الثانية عشر في ان سوال منكر ونكير هل هو مختص بهذه الامة او يكون لها ولغيرها

فهذا موضع قد تكلم فيه الناس فقال ابو عبد الله الترمذي انما سوال الميت في هذه الامة خاصة لان الامم قبلنا كانت الرسل تاتيهم بالرسالة فاذا ابوا كفت الرسل واعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالرحمة اماما للخلق كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين * امسك عنهم العذاب واعطي السيف حتى يدخل في دين الاسلام من دخل لمهابة السيف ثم يرسخ الايمان في قلبه فامهلوا فمن ههنا ظهر امر النفاق وكانوا يسرون الكفر ويعلنون الايمان فكانوا بين المسلمين في ستر فلما ماتوا قيض الله لهم فتاني القبر ليستخرج سرهم بالسوال وليميز الله الخبيث من الطيب فيثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء * خالفه في ذلك آخرون

منهم عبد الحق الاشبيلي و القرطبي و قالوا السوال لهذه الامة و لغيرها
و توقف في ذلك اخرون منهم ابو عمر بن عبد البر فقال وفي حديث
زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذه الامة تبتلى
في قبورها * ومنهم من يرويه تسئل * وعلى هذا اللفظ يحتمل ان تكون
هذه الامة خصت بذلك فهذا امر لا يقطع عليه و قد احتج من خصه بهذه
الامة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذه الامة تبتلى في قبورها و بقوله
اوحي الي انكم تفتنون في قبوركم * و هذا ظاهر في الاختصاص بهذه
الامة قالوا و يدل عليه قول الملكين له ما كنت تقول في هذا الرجل
الذي بعث فيكم فيقول المؤمن اشهد انه عبد الله و رسوله * فهذا خاص
بالنبي صلى الله عليه وسلم وقوله في الحديث الاخر انكم بي تمتحنون
و عني تسئلون و قال اخرون لا يدل هذا على اختصاص السوال
بهذه الامة دون سائر الامم فان قوله ان هذه الامة اما ان يراد به
امة الناس كما قال تعالى وما من دابة في الارض و لا طائر يطير بجناحيه
الا امم امثالكم * وكل جنس من اجناس الحيوان يسمى امة وفي الحديث
لو لا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها * وفيه ايضا حديث النبي
صلى الله عليه وسلم الذي قرصته نملة فامر بقرية النمل فاحرقت فاوحى الله
اليه من اجل ان قرصتك نملة واحدة احرقت امة من الامم تسبح الله
وان كان المراد به امته صلى الله عليه وسلم الذي بعث فيهم لم يكن فيه
ما ينفي سوال غيرهم من الامم بل قد يكون ذكرهم اخبارا بانهم مسئولون

في قبورهم وان ذلك لا يختص بمن قبلهم لفضل هذه الامة وشرفها
على سائر الامم وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اوحي الي انكم تفتنون
في قبوركم وكذلك اخباره عن قول الملكين ماهذا الرجل الذى بعث
فيكم هو اخبار لامته بما تمتحن به في قبورها والظاهر والله اعلم ان كل
نبي مع امته كذلك وانهم معذبون فى قبورهم بعد السوال لهم
واقامة الحجة عليهم كما يعذبون فى الآخرة بعد السوال واقامة
الحجة والله سبحانه وتعالى اعلم *

﴿ فصل ﴾ * * * ﴿ واما المسئلة الثالثة عشر وهي ان الاطفال
هل يمتحنون في قبورهم ﴾

﴿ المسئلة الثالثة عشر ان الاطفال هل يمتحنون في قبورهم ﴾

اختلف الناس في ذلك على قولين هما وجهان لاصحاب احمد وحجة
من قال انهم يسألون انه يشرع الصلوة عليهم والدعاء لهم وسوال الله
ان يقيهم عذاب القبر وفتنة القبر كما ذكر مالك فى موطائه عن
ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم صلى على جنازة صبي فسمع من دعائه
اللهم قه عذاب القبر * واحتجوا بما رواه علي بن معبد عن عائشة
رضى الله عنها انه مر عليها بجنازة صبي صغير فبكت فقيل لها ما يبكيك
ياام المومنين فقالت هذا الصبي بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر * واحتجوا
بما رواه هناد بن السرى ثنا ابو معاوية عن يحيي بن سعيد عن سعيد بن
المسيب عن ابي هريرة قال ان كان ليصلي على المنفوس ماان عمل خطيئة
قط فيقول اللهم اجره من عذاب القبر * قالوا والله سبحانه يكمل لهم

عقولهم ليعرفوا بذلك منزلتهم ويلهمون الجواب عما يسئلون عنه قالوا
وقد دل على ذلك الاحاديث الكثيرة التي فيها انهم يمتحنون في الاخرة
وحكاه الاشعرى عن اهل السنة والحديث فاذا امتحنوا في الاخرة
لم يمتنع امتحانهم في القبور * قال الاخرون السوال انما يكون لمن عقل
الرسول والمرسل فيسئل هل امن بالرسول واطاعه ام لا فيقال له
ماكنت تقول في هذا الرجل الذى بعث فيكم فاما الطفل الذى لا تمييز له
بوجه ما فكيف يقال له ما كنت تقول في هذا الرجل الذى بعث
فيكم ولو رد اليه عقله في القبر فانه لا يسئل عما لم يتمكن من معرفته والعلم
به ولا فائدة في هذا السوال وهذا بخلاف امتحانهم في الاخرة فان الله
سبحانه يرسل اليهم رسولا ويأمرهم بطاعة امره وعقولهم معهم فمن
اطاعه منهم نجا ومن عصاه ادخله النار فذلك امتحان بامر يأمرهم به يفعلونه
ذلك الوقت لا انه سوال عن امر مضى لهم في الدنيا من طاعة او عصيان
كسوال الملكين في القبر واما حديث ابي هريرة فليس المراد بعذاب
القبر فيه عقوبة الطفل على ترك طاعة او فعل معصية قطعا فان الله لا يعذب
احدا بلا ذنب عمله بل عذاب القبر قد يراد به الالم الذى يحصل
للميت بسبب غيره وان لم يكن عقوبة على عمل عمله ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم ان الميت ليعذب ببكاء اهله عليه اي يتألم بذلك ويتوجع
منه لا انه يعاقب بذنب الحي ولا تزر وازرة وزر اخرى وهذا كقول
النبي صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب * فالعذاب اعم من

العقوبة

العقوبة ولا ريب ان فى القبر من الالام والهموم والحسرات ما قد يسرى اثره الى الطفل فيتألم به فيشرع للمصلى عليه ان يسأل الله تعالى له ان يقيه ذلك العذاب والله اعلم *

فصل *** واما المسئلة الرابعة عشر وهي قوله هل عذاب القبر دائم او منقطع

فجوابها انه نوعان * نوع دائم * سوى ماورد في بعض الاحاديث انه يخفف عنهم ما بين النفختين فاذا قاموا من قبورهم قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا * ويدل على دوامه قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا * ويدل عليه ما تقدم فى حديث سمرة الذي رواه البخاري في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فهو يفعل به ذلك الى يوم القيامة وفي حديث ابن عباس في قصة الجريدتين لعله يخفف عنهما مالم ييبسا * فجعل التخفيف مقيدا بمدة رطوبتهما فقط وفى حديث الربيع ابن انس عن ابى العالية عن ابى هريرة ثم اتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت لا يفتر عنهم من ذلك شئ * وقد تقدم وفي الصحيح في قصة الذى لبس بردين وجعل يمشي يتبختر فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة * وفي حديث البراء بن عازب فى قصة الكافر ثم يفتح له باب الى النار فينظر الى مقعده فيها حتى تقوم الساعة رواه الامام احمد وفى بعض طرقه ثم يخرق له خرقا الى النار فيأتيه من غمها ودخانها الى يوم القيامة * النوع الثاني * الى مدة ثم ينقطع

المسئلة الرابعة عشر وهى هل عذاب القبر دائم او منقطع

وهو عذاب بعض العصاة الذين خففت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه كما يعذب في النار مدة ثم يزول عنه العذاب وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء او صدقة او استغفار او ثواب حج او قراءة تصل اليه من بعض اقاربه او غيرهم وهذا كما يشفع الشافع فى المعذب فى الدنيا فيخلص من العذاب بشفاعته لكن هذه شفاعة قد تكون بذلك باذن المشفوع عنده والله سبحانه وتعالى لا يتقدم احد بالشفاعة بين يديه الامن بعد اذنه فهو الذى يأذن للشافع ان يشفع اذا اراد ان يرحم المشفوع له ولا تغتر بغير هذا فانه شرك وباطل يتعالى الله عنه من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه * ولا يشفعون الا لمن ارتضى * مامن شفيع الا من بعد اذنه * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له * قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض * وقد ذكر ابن ابي الدنيا حدثني محمد بن موسى الصائغ ثنا عبد الله بن نافع قال مات رجل من اهل المدينة فراه رجل كانه من اهل النار فاغتم لذلك ثم انه بعد سابعة او ثامنة راه كانه من اهل الجنة فقال الم تكن قلت انك من اهل النار قال قد كان ذلك الا انه دفن معنا رجل من الصالحين فشفع في اربعين من جيرانه فكنت انا منهم * قال ابن ابي الدنيا وحدثنا احمد بن يحيى قال حدثني بعض اصحابنا قال مات اخي فرأيته في النوم فقلت ماكان حالك حين وضعت فى قبرك قال اتاني آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعالى لرأيت انه سيضربني به * وقال عمرو بن جرير اذا دعا العبد لاخيه الميت اتاه بها ملك الى قبره

فقال ياصاحب القبر الغريب هدية من اخ عليك شفيق * وقال بشار بن غالب رأيت رابعة في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشار ابن غالب هدا اياك تاتينا على اطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذلك قالت هكذا دعاء المومنين الاحياء اذا دعوا للموتى استجيب لهم جعل ذلك الدعاء على اطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم اتى بها الذى دعي له من الموتى فقيل هذه هدية فلان اليك * قال ابن ابي الدنيا وحدثني ابو عبد بن بحير قال حدثني بعض اصحابنا قال رأيت اخالى في النوم بعد موته فقلت ايصل اليكم دعاء الاحياء قال اي والله يترفرف مثل النور ثم نلبسه * وسياتى ان شاء الله تعالى تمام هذه في جواب السوال عن انتفاع الاموات بما تهديه اليهم الاحياء *

* فصل * * * * * واما المسئلة الخامسة عشر وهي اين مستقر الارواح ما بين الموت الى يوم القيامة هل هي فى السماء ام في الارض وهل هي في الجنة والنار ام لا وهل تودع في اجساد غير اجسادها التي كانت فيها فتنعم وتعذب فيها ام تكون مجردة *

فهذه مسئلة عظيمة تكلم فيها الناس واختلفوا فيها وهى انما تتلقى من السمع فقط واختلف في ذلك * فقال قائلون ارواح المومنين عند الله في الجنة شهداء كانوا ام غير شهداء اذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم وهذا مذهب ابي هريرة وعبد الله بن عمر * وقالت طائفة هم بفناء الجنة على بابها ياتيهم من روحها ونعيمها ورزقها

* المسئلة الخامسة عشر في ان اين مستقر الارواح ما بين الموت الى يوم القيامة وهل تودع في اجساد غير اجسادها التي كانت فيها فتنعم وتعذب ام تكون مجردة *

* قالت طائفة الارواح على افنية قبورها * وقال مالك بلغني ان الروح مرسلة تذهب حيث شاءت * وقال الامام احمد في رواية ابنه عبدالله ارواح الكفار في النار وارواح المومنين في الجنة * وقال ابوعبدالله ابن مندة وقال طائفة من الصحابة والتابعين ارواح المؤمنين عندالله عز وجل ولم يزيدوا على ذلك قال وروي عن جماعة من الصحابة والتابعين ان ارواح المؤمنين بالجابية وارواح الكفار ببرهوت بير بحضرموت وقال صفوان بن عمرو سألت عامر بن عبدالله ابا اليمان هل لانفس المومنين مجتمع فقال ان الارض التي يقول الله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال هي الارض التي يجتمع اليها ارواح المؤمنين حتى يكون البعث وقالوا هي الارض التي يورثها الله المؤمنين في الدنيا * وقال كعب ارواح المومنين في عليين في السماء السابعة وارواح الكفار في سجين في الارض السابعة تحت خد ابليس * وقالت طائفة ارواح المؤمنين ببير زمزم وارواح الكفار ببير برهوت * وقال سلمان الفارسي ارواح المومنين في برزخ من الارض تذهب حيث شاءت وارواح الكفار في سجين وفي لفظ عنه نسمة المؤمن تذهب في الارض حيث شاءت * وقالت طائفة ارواح المؤمنين عن يمين آدم وارواح الكفار عن شماله * وقالت طائفة اخرى منهم ابن حزم مستقرها حيث كانت قبل خلق اجسادها قال والذي نقول به في مستقر الارواح هو ماقاله الله عز وجل ونبيه

صلى الله عليه وسلم لا تتعداه فهو البرهان الواضح وهو ان الله عز وجل
قال واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على
انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن
هذا غافلين * وقال تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم * فصح ان الله تعالى خلق الارواح جملة وكذلك اخبر
صلى الله عليه وسلم ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما
تناكر منها اختلف * واخذ الله عهدها وشهادتها له بالربوبية وهي مخلوقة
مصورة عاقلة قبل ان يامر الملائكة بالسجود لآدم وقبل ان يدخلها
في الاجساد والاجساد يومئذ تراب وماء ثم اقرها حيث شاء وهو
البرزخ الذي ترجع اليه عند الموت ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد
الجملة فينفخها في الاجساد المتولدة من المني الى ان قال فصح ان
الارواح اجساد كاملة لاعراضها من التعارف والتناكر وانها عارفة
مميزة فيبلوهم الله في الدنيا كما يشاء ثم يتوفاها فترجع الى البرزخ
الذي راها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به عند سماء
الدنيا ارواح اهل السعادة عن يمين آدم وارواح اهل الشقاوة عن
يساره وذلك عند منقطع العناصر ويعجل ارواح الانبياء والشهداء
الى الجنة قال وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن اسحق بن راهويه
انه ذكر هذا الذي قلنا بعينه قال وعلى هذا اجمع اهل العلم قال ابن حزم
وهو قول جميع اهل الاسلام قال وهذا هو قول الله تعالى فاصحاب

الميمنـة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحـاب المشئمة والسابقون السابقون اولائك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الاخرين * وقوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الى اخرها فلا تزال الارواح هنالك حتى يتم عدد الارواح كلها بنفخها فى الاجساد ثم برجوعها الى البرزخ فتقوم الساعة ويعيد الله عزوجل الارواح الى اجسادها ثانية وهي الحياة الثانية ويحاسب الخلق فريق في الجنة وفريق في السعير مخلدين ابدا انتهى * وقال ابو عمر بن عبد البر ارواح الشهداء في الجنة وارواح عامة المؤمنين على افنية قبورهم ونحن نذكر كلامه وما احتج به ونبين مافيه * وقال ابن المبارك عن ابن جريج فيما قرئ عليه عن مجاهد ليس هي في الجنة ولكن ياكلون من ثمارها ويجدون ريحها * وذكر معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد انه سأل ابن شهاب عن ارواح المؤمنين فقال بلغني ان ارواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش تغدو وتروح الى رياض الجنة تاتي ربها في كل يوم تسلم عليه * وقال ابو عمر بن عبد البر في شرح حديث ابن عمر ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال له هذا مقعدك حتي يبعثك الله الي يوم القيامة * قال وقد استدل به من ذهب الى ان الارواح على افنية القبور وهو اصح ماذهب اليه في ذلك والله اعلم

اعلم لان الاحاديث بذلك احسن مجيئا واثبت نقلا من غيرها قال
والمعني عندي انها قد تكون على افنية قبورها الا على انها تلزم ولا تفارق
افنية القبور كما قال مالك رحمه الله انه بلغنا ان الارواح تسرح حيث
شاءت*قال وعن مجاهد انه قال الارواح على افنية القبور سبعة ايام
من يوم دفن الميت لا تفارق ذلك والله اعلم*وقالت فرقة مستقرها
العدم المحض وهذا قول من يقول ان النفس عرض من اعراض البدن
كحياته وادراكه فتعدم بموت البدن كما تعدم سائر الاعراض المشروطة
بحياته وهذا قول مخالف لنصوص القرآن والسنة واجماع الصحابة
والتابعين كما سنذكر ذلك ان شاء الله والمقصود ان عند هذه الفرقة
المبطلة ان مستقر الارواح بعد الموت العدم المحض وقالت فرقة مستقرها
بعد الموت ارواح اخر تناسب اخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها
في حال حياتها فتصير كل روح الى بدن حيوان يشاكل تلك الارواح
فتصير النفس السبعية الى ابدان السباع والكلبية الى ابدان الكلاب
والبهيمية الى ابدان البهائم والدنية والسفلية الى ابدان الحشرات وهذا
قول المتناسخة منكري المعاد وهو قول خارج عن اقوال اهل الاسلام
كلهم فهذا ما تلخص لي من جمع اقوال الناس في مصير ارواحهم بعد
الموت ولا تظفر به مجموعا في كتاب واحد غير هذا البتة ونحن
نذكر ماخذ هذه الاقوال وما لكل قول وما عليه وما هو الصواب
من ذلك الذي دل عليه الكتاب والسنة على طريقتنا التي من الله بها وهو

مرجو الاعانة والتوفيق *

﴿ فصل ﴾

فاما من قال هي في الجنة فاحتج بقوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم * قال وهذا ذكره سبحانه عقيب ذكر خروجها من البدن بالموت وقسم الارواح الى ثلاثة اقسام * مقربين * واخبر انها في جنة النعيم واصحاب يمين وحكم لها بالسلام وهو يتضمن سلامتها من العذاب * ومكذبة ضالة * واخبر ان لها نزلا من حميم وتصلية جحيم قالوا وهذا بعد مفارقتها للبدن قطعا وقد ذكر سبحانه حالها يوم القيامة في اول السورة فذكر حالها بعد الموت وبعد البعث واحتجوا بقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي * وقد قال غير واحد من الصحابة والتابعين ان هذا يقال لها عند خروجها من الدنيا يبشرها الملك بذلك ولا ينافي ذلك قول من قال ان هذا يقال لها في الاخرة فانه يقال لها عند الموت وعند البعث وهذه من البشرى التي قال تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون * وهذا التنزل يكون عند الموت ويكون في القبر ويكون عند البعث واول بشارة الاخرة عند الموت وقد تقدم في حديث البراء بن عازب ان الملك يقول لها عند قبضها ابشري بروح وريحان وهذا من ريحان الجنة واحتجوا بما رواه مالك في الموطا عن ابن شهاب عن عبد الرحمن

ابن كعب بن مالك انه اخبره ان اباه كعب بن مالك كان يحدث ان
رسول الله صلى الله عليه و سلم قال انما نسمة المومن طائر تعلق في شجر
الجنة حتى يرجعه الله الى حياة يوم يبعثه * قال ابو عمرو في رواية مالك
هذه بيان سماع الزهري لهذا الحديث من عبد الرحمن بن كعب بن مالك
وكذلك رواه يونس عن الزهري قال سمعت عبد الرحمن بن كعب
ابن مالك يحدث عن ابيـه وكذلك رواه الاوزاعي عن الزهري
حدثني عبد الرحمن بن كعب وقد اعل محمد بن يحيي الذهلي هذا الحديث
بان شعيب بن ابي حمزة و محمد بن اخي الزهري و صالح بن كيسان رووه
عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن جده
كعب فيكون منقطعا وقال صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن
عبد الرحمن انه بلغه ان كعب بن مالك كان يحدث قال الذهلي وهذا
المحفوظ عندنا و هو الذي يشبهه حديث صالح وشعيب و ابن اخي
الزهري وخالفه في هذا غيره من الحفاظ فحكم المالك والاوزاعي قال
ابو عمر فاتفق مالك و يونس بن يزيد والاوزاعي و الحارث بن فضيل
على رواية هذا الحديث عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك
عن ابيه و صححه الترمذي وغيره . قال ابو عمر و لا وجه عندي لما قاله
محمد بن يحيي من ذلك و لا دليل عليه و اتفاق مالك و يونس بن يزيد
والاوزاعي و محمد بن اسحق اولى بالصواب والنفس الى قولهم وروايتهم
اسكن وهم من الحفظ والاتقان بحيث لا يقاس بهم من خالفهم في هذا

الحديث انتهى وقد قال محمد الذهلى سمعت علي بن المديني يقول ولد كعب خمسة عبد الله وعبيد الله ومعبد وعبد الرحمن ومحمد وقال الذهلى فسمع الزهري من عبد الله بن كعب وكان قائد ابيه حين عمي وسمع من عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب وروي عن بشير ابن عبد الرحمن بن كعب ولا اراه سمع منه انتهى فالحديث ان كان لعبد الرحمن عن ابيه كعب كما قال مالك ومن معه فظاهر وان كان لعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن جده كما قال شعيب ومن معه فنهايته ان يكون مرسلا من هذه الطريق وموصولا من الاخرى والذين وصلوه ليسوا بدون الذين ارسلوه قدرا ولا عددا فالحديث من صحاح الاحاديث وانما لم يخرجه صاحبا الصحيح لهذه العلة والله اعلم قال ابو عمرو اما قوله نسمة المومن فالنسمة ههنا الروح يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث نفسه حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه * وقيل النسمة الروح والنفس والبدن واصل هذه اللفظة اعني النسمة الانسان بعينه وانما قيل للروح نسمة والله اعلم لان حيوة الانسان بروحه واذا فارقه عدم او صار كالمعدوم والدليل على ان النسمة الانسان قوله صلى الله عليه وسلم من اعتق نسمة مومنة وقول علي رضي الله عنه والذي فلق الحبة وبرأ النسمة * وقال الشاعر

* باعظم منك تقى في الحساب * اذا النسمات نفض الغبارا *

يعني اذا بعث الناس من قبورهم يوم القيامة * وقال الخليل بن احمد

النسمة الانسان قال والنسمة الروح والنسيم هبوب الريح وقوله تعلق في شجر الجنة تروى بفتح اللام وهو الاكثر وتروى بضم اللام والمعنى واحد وهو الاكل والرعي يقول تاكل من ثمار الجنة وتسرح بين اشجارها والعلوقة والعلاقة والعلوق الاكل والرعي تقول العرب ماذاق اليوم علوقا اي طعاما * قال الربيع بن زياد يصف الخيل *

ومجنبات ما يذقن علوقة * يمصعن بالمهرات والامهار

وقال الاعشى *

وفلاة كانها ظهر ترس * ليس فيها الا الرجيع علاق

* قلت * ومنه قول عائشة والنساء اذ ذاك خفاف لم يغشهن اللحم انما ياكلن العلقة من الطعام * واصل اللفظة من التعلق وهو ما يعلق القلب والنفس من الغذاء قال واختلف العلماء في معنى هذا الحديث فقال قائلون منهم ارواح المؤمنين عند الله فى الجنة شهداء كانوا ام غير شهداء اذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم قال واحتجوا بان هذا الحديث لم يخص فيه شهيدا من غير شهيد واحتجوا ايضا بما روى عن ابي هريرة ان ارواح الابرار في عليين وارواح الفجار في سجين وعن عبد الله بن عمر ومثل ذلك قال ابو عمر وهذا قول يعارضه من السنة ما لا مدفع فى صحة نقله وهو قوله اذا مات احدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه

يوم القيامة * وقال آخرون انما معنى هذا الحديث في الشهداء دون غيرهم لان القرآن والسنة انما يدلان على ذلك اما القرآن فقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله الاية واما الاثار فذكر حديث ابي سعيد الخدري من طريق بقي بن مخلد مرفوعا الشهداء يغدون ويروحون ثم يكون ماواهم الى قناديل معلقة بالعرش فيقول لهم الرب تبارك وتعالى هل تعلمون كرامة افضل من كرامة اكرمتكموها فيقولون لا غير انا وددنا انك اعدت ارواحنا في اجسادنا حتى نقاتل مرة اخرى فنقتل في سبيلك * رواه عن هناد عن اسمعيل بن المختار عن عطية عنه * ثم ساق حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم يعني يوم احد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب مدللة في ظل العرش فلما وجدوا اطيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا انا احياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ولا يزهدوا في الجهاد قال فقال الله عز وجل انا ابلغهم عنكم فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون * والحديث في مسند احمد وسنن ابي داود ثم ذكر حديث الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الاية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا

بل

بل احياء عند ربهم يرزقون فقال اما انا قد سئلنا عن ذلك فقال ارواحهم
في جوف طير خضر تسرح في الجنة في ايها شاءت ثم تأوي الى تلك
القناديل فاطلع اليهم ربك اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا قالوا اي
شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث
مرات فلما رأوا انهم لم يتركوا من ان يسئلوا قالوا يارب نريد ان ترد
ارواحنا في اجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة اخرى فلما راى ان
ليس لهم حاجة تركوا * والحديث في صحيح مسلم * قلت * وفي صحيح
البخاري عن انس ان ام الربيع بنت البراء وهي ام حارثة بن سراقة
اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يانبي الله الا تحدثني عن حارثة
وكان قتل يوم بدر اصابه سهم غرب فان كان في الجنة صبرت
وان كان في غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء قال ياام حارثة انها جنان
وان ابنك اصاب الفردوس الاعلى * ثم ساق من طريق بقي بن مخلد ثنا يحيى
ابن عبد الحميد ثنا ابن عيينة عن عبيد الله بن ابي يزيد سمع ابن عباس يقول
ارواح الشهداء تجول في اجواف طير خضر تعلق في ثمر الجنة * ثم ذكر عن معمر
عن قتادة قال بلغنا ان ارواح الشهداء في صور طير بيض تاكل من ثمار الجنة *
ومن طريق ابي عاصم النبيل عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله
ابن عمرو ارواح الشهداء في طير كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر
الجنة * قال ابو عمر وهذه الاثار كلها تدل على انهم الشهداء دون غيرهم
وفي بعضها في صور طير وفي بعضها في اجواف طير وفي بعضها كطير

خضر قال والذى يشبه عندى والله اعلم ان يكون القول قول من قال
كطير او صور طير لمطابقته لحديثنا المذكور يريد حديث كعب بن مالك
وقوله فيه نسمة المؤمن كطائر ولم يقل في جوف طائر قال وروى
عيسى بن يونس حديث ابن مسعود عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن
مسروق عن عبد الله كطير خضر * قلت * والذى في صحيح مسلم في اجواف
طير خضر * قال ابو عمر فعلى هذا التاويل كانه صلى الله عليه وسلم قال
انما نسمة المؤمن من الشهداء طائر يعلق في شجر الجنة * قلت * لا تنافي بين
قوله صلى الله عليه وسلم نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة * وبين قوله
ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من اهل
الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار * وهذا الخطاب
يتناول الميت على فراشه والشهيد كما ان قوله نسمة المؤمن طائر يعلق
في شجر الجنة * يتناول الشهيد وغيره ومع كونه يعرض عليه مقعده
بالغداة والعشى ترد روحه انهار الجنة وتاكل من ثمارها واما المقعد الخاص
به والبيت الذي اعد له فانه انما يدخله يوم القيامة ويدل عليه ان منازل
الشهداء ودورهم وقصورهم التى اعد الله لهم ليست هى تلك القناديل
التى تاوى اليها ارواحهم في البرزخ قطعا فهم يرون منازلهم ومقاعدهم
من الجنة ويكون مستقرهم في تلك القناديل المعلقة بالعرش فان
الدخول التام الكامل انما يكون يوم القيامة ودخول الارواح الجنة
في البرزخ امر دون ذلك ونظير هذا اهل الشقاء تعرض ارواحهم

على النار غدوا و عشيا فاذا كان يوم القيامة دخلوا منازلهم
ومقاعدهم التى كانوا يعرضون عليها فى البرزخ فتنعم الارواح بالجنة
فى البرزخ شئ وتنعمها مع الابدان بها يوم القيامة شئ اخر فغذاء
الروح من الجنة فى البرزخ دون غذائها مع بدنها يوم البعث
ولهذا قال تعلق فى شجر الجنة اي تاكل العلقة وتمام الاكل
والشرب واللبس والتمتع فانما يكون اذا ردت الى اجسادها
يوم القيامة فظهر انه لا يعارض هذا القول من السنن شئ وانما
تعاضده السنة وتوافقه واما قول من قال ان حديث كعب فى
الشهداء دون غيرهم فتخصيص ليس فى اللفظ ما يدل عليه وهو حمل
اللفظة العام على اقل مسمياته فان الشهداء بالنسبة الى عموم المؤمنين
قليل جدا والنبى صلى الله عليه وسلم علق هذا الجزاء بوصف الايمان
فهو المقتضى له ولم يعلقه بوصف الشهادة الا ترى ان الحكم الذي اختص
بالشهداء علق بوصف الشهادة كقوله فى حديث المقدام بن معديكرب
للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في اول دفقة من دمه و يرى مقعده
من الجنة و يحلى حلة الايمان و يزوج من الحور العين و يجار من
عذاب القبر و يامن من الفزع الاكبر و يوضع على رأسه تاج الوقار
الياقوتة منه خير من الدنيا ومافيها و يزوج اثنتين وسبعين من الحور العين
و يشفع في سبعين انسانا من اقاربه * فلما كان هذا يختص بالشهيد قال ان
للشهيد و لم يقل ان للمؤمن وكذلك قوله فى حديث قيس الحزامى يعطى

الشهيد ست خصال وكذلك سائر الاحاديث والنصوص التي علق فيها الجزاء بالشهادة واما ما علق فيه الجزاء بالايمان فانه يتناول كل مؤمن شهيداكان او غير شهيد واما النصوص والآثار التي ذكر في رزق الشهداء وكون ارواحهم في الجنة فكلها حق وهي لا تدل على انتفاء دخول ارواح المؤمنين الجنة ولا سيما الصديقين الذين هم افضل من الشهداء بلا نزاع بين الناس فيقال لهؤلاء ما تقولون في ارواح الصديقين هل هي في الجنة ام لا فان قالوا انها في الجنة ولا يسوغ لهم غير هذا القول فثبت ان هذه النصوص لا تدل على اختصاص ارواح الشهداء بذلك وان قالوا ليست في الجنة لزمهم من ذلك ان تكون ارواح سادات الصحابة كابي بكر الصديق وابي بن كعب وعبد الله بن مسعود وابي الدرداء وحذيفة بن اليمان واشباههم ليست في الجنة وارواح شهداء زماننا في الجنة وهذا معلوم البطلان ضرورة * فان قيل * فاذا كان هذا حكما لا يختص بالشهداء فما الموجب لتخصيصهم بالذكر في هذه النصوص (١) على التنبيه على فضل الشهادة وعلو درجتها وان هذا مضمون لاهلها ولا بد وان لهم منه اوفر نصيب فنصيبهم من هذا النعيم في البرزخ اكمل من نصيب غيرهم من الاموات على فرشهم وان كان الميت على فراشه اعلى درجة منهم فله نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه ويدل على هذا ان الله سبحانه جعل ارواح الشهداء في اجواف طير خضر فانهم لما بذلوا انفسهم لله حتى اتلفها اعداؤه

(١) هكذا في الاصل

فيه اعاضهم منها في البرزخ ابدا انا خير امنها تكون فيها الى يوم القيامة ويكون نعيمها بواسطة تلك الابدان اكمل من نعيم الارواح المجردة عنها ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير او كطير ونسمة الشهيد في جوف طير وتامل لفظ الحديثين فانه قال نسمة المومن طير فهذا يعم الشهيد وغيره ثم خص الشهيد بان قال هي في جوف طير ومعلوم انها اذا كانت في جوف طير صدق عليها انها طير فصلوات الله وسلامه على من يصدق كلامه بعضه بعضا ويدل على انه حق من عند الله وهذا الجمع احسن من جمع ابي عمرو وترجيحه رواية من روى ارواحهم كطير خضر * بل الروايتان حق وصواب فهي كطير خضر وفي اجواف طير خضر *

﴿ فصل ﴾

﴿ فصل في بيان قول مجاهد ان الارواح ليست في الجنة ولكن ياكلون من ثمارها ويجدون ريحها ﴾

واما قول مجاهد ليس هي في الجنة ولكن ياكلون من ثمارها ويجدون ريحها فقد يحتج لهذا القول بما رواه الامام احمد في مسنده من حديث ابن اسحق عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية * وهذا لا ينافي كونهم في الجنة فان ذلك النهر من الجنة ورزقهم يخرج عليهم من الجنة فهم في الجنة وان لم يصيروا الى مقاعدهم منها فمجاهد نفى الدخول الكامل من كل وجه والتعبير يقصر عن الاحاطة بتمييز هذا من هذا واكمل العبارة وادلها على المراد عبارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم

عبارة واصحابه وكلما علوت رأيت الشفاء والهدى والنور وكلما نزلت رأيت الحيرة والدعاوى والقول بلا علم قال ابو عبد الله بن مندة وروى موسى بن عبدة عن عبد الله بن يزيد عن ام كبشة بنت المعرور قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عن هذه الارواح فوصفها صفة ابكى اهل البيت فقال ان ارواح المؤمنين في حواصل طير خضر ترعى في الجنة وتاكل من ثمارها وتشرب من مائها وتأوى الى قناديل من ذهب تحت العرش يقولون ربنا الحق بنا اخواننا وآتنا ما وعدتنا وان ارواح الكفار في حواصل طير سود تاكل من النار وتشرب من النار تأوي الى جحر في النار يقولون ربنا لا تلحق بنا اخواننا ولا تؤتنا ما وعدتنا * وقال الطبراني ثنا ابو زرعة الدمشقي ثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن ضمرة بن حبيب قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ارواح المومنين فقال في طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت قالوا يا رسول الله وارواح الكفار قال محبوسة في سجين * رواه ابو الشيخ عن هشام بن يونس عن عبد الله بن صالح ورواه ابو المغيرة عن ابي بكر بن ابي مريم عن ضمرة بن حبيب وذكر ابو عبد الله بن مندة من حديث غنجار عن الثوري عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارواح المؤمنين في طير خضر كالزرازير تاكل من ثمر الجنة ورواه غير موقوفا

وذكر يزيد الرقاشي عن انس وابو عبد الله الشامي عن تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا عرج ملك الموت بروح المومن الى السماء استقبله جبرئيل في سبعين الفا من الملائكة كل منهم ياتيه ببشارة من السماء سوى بشارة صاحبه فاذا انتهى به الى العرش خر ساجدا فيقول الله عز وجل لملك الموت انطلق بروح عبدي فضعه في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب رواه بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن يزيد وابي عبد الله *

فصل

وأما قول من قال الارواح على افنية قبورها فان اراد ان هذا امر لازم لها لا تفارق افنية القبور ابدا فهذا خطأ ترده نصوص الكتاب والسنة من وجوه كثيرة قد ذكرنا بعضها وسنذكر منها ما لم نذكره ان شاء الله وان اراد انها تكون على افنية القبور وقتا ولها اشراف على قبورها وهي في مقرها فهذا حق ولكن لا يقال مستقرها افنية القبور وقد ذهب الى هذا المذهب جماعة منهم ابو عمر بن عبد البر قال في كتابه في شرح حديث ابن عمر ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي * وقد استدل به من ذهب الى ان الارواح على افنية القبور وهو اصح ما ذهب اليه في ذلك من طريق الاثر الا ترى ان الاحاديث الدالة على ذلك ثابتة متواترة وكذلك احاديث السلام على القبور * قلت * يريد الاحاديث المتواترة مثل حديث ابن عمر هذا ومثل

فصل في بيان قول من قال ان الارواح على افنية قبورها

حديث البراء بن عازب الذى تقدم وفيه هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة * ومثل حديث انس ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم * وفيه انه يرى مقعده من الجنة والنار وانه يفسح للمومن فى قبره سبعين ذراعا ويضيق على الكافر * ومثل حديث جابر ان هذه الامة تبتلى فى قبورها فاذا ادخل المومن قبره وتولى عنه اصحابه اتاه ملك الحديث انه يرى مقعده من الجنة فيقول دعونى ابشر اهلى فيقال له اسكن فهذا مقعدك ابدا * ومثل سائر احاديث عذاب القبر ونعيمه التي تقدمت ومثل احاديث السلام على اهل القبور وخطابهم ومعرفتهم بزيارة الاحياء لهم وقد تقدم ذكر ذلك كله وهذا القول ترده السنة الصحيحة والاثار التى لامدفع لها وقد تقدم ذكرها وكل ماذكره من الادلة فهو يتناول الارواح التى هى في الجنة بالنص وفي الرفيق الاعلى وقد بينا ان عرض مقعد الميت عليه من الجنة او النار لا يدل على ان الروح فى القبر ولا على فنائه دائما من جميع الوجوه بل لها اشراف واتصال بالقبر وفنائه وذلك القدر منها يعرض عليه مقعده فان للروح شانا آخر تكون في الرفيق الاعلى في اعلى عليين ولها اتصال بالبدن بحيث اذا سلم المسلم على الميت رد الله عليه روحه فيرد عليه السلام وهي في الملأ الاعلى وانما يغلط اكثر الناس في هذا الموضع حيث يعتقد ان الروح من جنس مايعهد من الاجسام التى اذا شغلت مكانا لم يمكن ان تكون في غيره وهذا غلط محض بل الروح تكون

فوق السموات في اعلى عليين وترد الى القبر فترد السلام وتعلم بالمسلم وهي في مكانها هناك وروح رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرفيق الاعلى دائما ويردها الله سبحانه الى القبر فترد السلام على من سلم عليه وتسمع كلامه وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى قائما يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة او السابعة فاما ان تكون سريعة الحركة والانتقال كلمح البصر واما ان يكون المتصل منها بالقبر وفنائه بمنزلة شعاع الشمس وجرمها في السماء وقد ثبت ان روح النائم تصعد حتى تخترق السبع الطباق وتسجد لله بين يدي العرش ثم ترد الى جسده في ايسر زمان وكذلك روح الميت تصعد بها الملائكة حتى تجاوز السموات السبع وتقفها بين يدي الله فتسجد له ويقضي فيها قضاءه ويريه الملك ما اعد الله لها في الجنة ثم تهبط فتشهد غسله وحمله ودفنه وقد تقدم في حديث البراء بن عازب ان النفس يصعد بها حتى توقف بين يدي الله فيقول تعالى اكتبوا كتاب عبدي في عليين ثم اعيدوه الى الارض فيعاد الى القبر وذلك في مقدار تجهيزه وتكفينه فقد صرح به في حديث ابن عباس حيث قال فيهبطون على قدر فراغه من غسله واكفانه فيدخلون ذلك الروح بين جسده واكفانه * وقد ذكر ابو عبد الله بن منده من حديث عيسى بن عبد الرحمن ثنا ابن شهاب ثنا عامر بن سعد عن اسمعيل بن طلحة بن عبيد الله عن ابيه قال اردت مالي بالغابة فادركني الليل فاويت الى قبر عبد الله بن عمرو بن حرام

فسمعت قراءة من القبر ما سمعت احسن منها فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذلك عبد الله الم تعلم ان الله قبض ارواحهم فجعلها فى قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنة فاذا كان الليل ردت اليهم ارواحهم فلا يزال كذلك حتى اذا طلع الفجر ردت ارواحهم الى مكانهم الذى كانت به * ففي هذا الحديث بيان سرعة انتقال ارواحهم من العرش الى الثرى ثم انتقالها من الثرى الى مكانها ولهذا قال مالك وغيره من الائمة ان الروح مرسلة تذهب حيث شاءت ومايراه الناس من ارواح الموتى ومجيئهم اليهم من المكان البعيد امر يعلمه عامة الناس ولا يشكون فيه والله اعلم واما السلام على اهل القبور وخطابهم فلا يدل على ان ارواحهم ليست في الجنة وانها على افنية القبور فهذا سيد ولد آدم الذى روحه فى اعلى عليين مع الرفيق الاعلى صلى الله عليه وسلم يسلم عليه عند قبره ويرد سلام المسلم عليه وقد وافق ابو عمر رحمه الله على ان ارواح الشهداء في الجنة ويسلم عليهم عند قبورهم كما يسلم على غيرهم كما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نسلم عليهم وكما كان الصحابة يسلمون على شهداء احد وقد ثبت ان ارواحهم في الجنة تسرح حيث شاءت كما تقدم ولا يضيق عطنك عن كون الروح فى الملأ الاعلى تسرح فى الجنة حيث شاءت وتسمع سلام المسلم عليها عند قبرها وتدنو حتي ترد عليه السلام وللروح شان آخر غير شان البدن وهذا جبريل صلوات الله وسلامه

عليه رآه النبي صلى الله عليه وسلم وله ست مائة جناح منها جناحان
قد سد بهما ما بين المشرق والمغرب وكان من النبي صلى الله عليه وسلم
حتى يضع ركبتيه بين ركبتيه ويديه على فخذيه وما اظنك يتسع
بطانك انه كان حينئذ فى الملأ الاعلى فوق السموات حيث هو مستقره
وقد دنا من النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدنو فان التصديق بهذا
له قلوب خلقت له واهلت لمعرفته ومن لم يتسع بطانه لهذا فهو
اضيق ان يتسع للايمان بالنزول الالهي الى سماء الدنيا كل ليلة وهو
فوق سمواته على عرشه لا يكون فوقه شئ البتة بل هو العالي على كل
شئ وعلوه من لوازم ذاته وكذلك دنوه عشية عرفة من اهل الموقف
وكذلك مجيئه يوم القيامة لمحاسبة خلقه واشراق الارض بنوره
وكذلك مجيئه الى الارض حين دحاها وسواها ومدها وبسطها
وهيأها لما يراد منها وكذلك مجيئه اليها قبل يوم القيامة حين يقبض من
عليها ولا يبقى بها احد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فاصبح ربك
يطوف في الارض وقد خلت عليه البلاد هذا وهو فوق سمواته على عرشه *

فصل

ومما ينبغى ان يعلم ان ما ذكرناه من شان الروح يختلف بحسب حال
الارواح من القوة والضعف والكبر والصغر فللروح العظيمة الكبيرة
من ذلك ما ليس لمن هو دونها وانت ترى احكام الارواح في الدنيا
كيف تتفاوت اعظم تفاوت بحسب تفارق الارواح فى كيفياتها

و قواها و ابطائها و اسراعها و المعاونة لها فللروح المطلقة من اسر البدن وعلائقه و عوائقه من التصرف و القوة و النفاذ و الهمة و سرعة الصعود الى الله و التعلق بالله ماليس للروح المهينة المحبوسة في علائق البدن و عوائقه فاذا كان هذا و هي محبوسة في بدنها فكيف اذا تجردت وفارقته و اجتمعت فيها قواها وكانت في اصل شانها روحا علية زكية كبيرة ذات همة عالية فهذه و لها بعد مفارقة البدن شان آخر و فعل آخر وقد تواترت الرؤيا من اصناف بني آدم على فعل الارواح بعد موتها مالا تقدر على مثله حال اتصالها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد و الاثنين و العدد القليل و نحو ذلك وكم قد رئي النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر و عمر في النوم قد هزمت ارواحهم عساكر الكفر والظلم فاذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وعددهم وضعف المومنين و قلتهم و من العجب ان ارواح المومنين المتحابين المتعارفين تتلاقى و بينها اعظم مسافة و ابعدها فتتسالم و تتعارف فيعرف بعضها بعضا كانه جليسه وعشيره فاذا راه طابق ذلك ما كان عرفته به روحه قبل رويته قال عبد الله بن عمرو ان ارواح المومنين تتلاقى على مسيرة يوم و ما رأى احدهما صاحبه قط * ورفعه بعضهم الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة و مجاهد اذا نام الانسان فان له سببا يجري فيه الروح و اصله في الجسد فيبلغ حيث شاء الله مادام ذاهبا فالانسان نائم فاذا رجع الى البدن انتبه الانسان وكان بمنزلة شعاع الشمس هو ساقط

بالارض

بالارض فاصله متصل بالشمس وقد ذكر ابو عبدالله بن مندة عن بعض اهل العلم انه قال ان الروح يمتد من منخر الانسان ومركبه واصله فى بدنه فلو خرج الروح بالكلية لمات كما ان السراج لو فرق بينه وبين الفتيلة الا ترى ان مركب النار فى الفتيلة وضوءها وشعاعها يملأ البيت فكذلك الروح تمتد من منخر الانسان في منامه حتى تاتي السماء وتجول في البلدان وتلتقى مع ارواح الموتى فاذا اراه الملك المؤكل بارواح العباد ما احب ان يريه وكان المرئي فى اليقظة عاقلا ذكيا صدوقا لا يلتفت فى يقظته الى شئ من الباطل رجع اليه روحه فادى الى قلبه الصدق مما اراه الله عز وجل على حسب خلقه وان كان خفيفا نزقا يحب الباطل والنظر اليه فاذا نام واراه الله امرا من خير او شرر جعت روحه اليه فحيث ماراى شيئا من مخاريق الشيطان او الباطل وقفت روحه عليه كما تقف في يقظته فكذلك لا يؤدى الى قلبه فلا يعقل ماراى لانه خلط الحق بالباطل فلا يمكن معبران يعبر له وقد خلط الحق بالباطل وهذا من احسن الكلام وهو دليل على معرفة قائله وبصيرته بالارواح واحكامها وانت ترى الرجل يسمع العلم والحكمة وماهو انفع شئ له ثم يمر بباطل ولهو من غناء او شبهه اوزور او غيره فيصغى اليه ويفتح له قلبه حتى يتادى اليه فيتخبط عليه ذلك الذى سمعه من العلم والحكمة ويلتبس عليه الحق بالباطل فهكذا شان الارواح عند النوم واما بعد المفارقة فانها تعذب بتلك الاعتقادات والشبه الباطلة التي كانت

حظها حال اتصالها بالبدن و ينضاف الى ذلك عذابها بتلك الارادات
والشهوات التى حيل بينها وبينها و ينضاف الى ذلك عذاب اخر ينشئه الله
لها ولبدنها من الاعمال التى اشتركت معه فيها وهذه هي المعيشة الضنك
في البرزخ و الزاد الذي تزود به اليه والروح الزكية العلوية المحقة
التى لاتحب الباطل ولا تالفه بضد ذلك كله تنعم بتلك الاعتقادات
الصحيحة و العلوم والمعارف التى تلقتها من مشكوة النبوة وتلك الارادات
والهمم الزكية و ينشي الله سبحانه لها من اعمالها نعيما ينعمها به في البرزخ
فتصير لها روضة من رياض الجنة ولذلك حفرة من حفر النار*

فصل

و اما قول من قال ارواح المومنين عند الله تعالى ولم يزد على ذلك فانه تادب
مع لفظ القران حيث يقول الله عز وجل بل احياء عند ربهم يرزقون
وقد احتج ارباب هذا القول بحجج * منها * مارواه محمد بن اسحق الصنعانى
ثنا يحيي بن ابى بكير ثنا محمد بن عبدالرحمن بن ابي ذئب عن محمد بن عمرو
ابن عطاء عن سعيد بن يسار عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
الميت اذا خرجت نفسه يعرج بها الى السماء حتى ينتهى بها الى السماء التى فيها
الله عزوجل واذا كان الرجل السوء يعرج بها الى السماء فانه لا يفتح
لها ابواب السماء فترسل من السماء فتصير الى القبر * وهذا اسناد لاتسأل
عن صحته وهو فى مسند احمد وغيره وقال ابو داود الطيالسى ثنا
حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن ابي وائل عن ابي موسى الاشعرى

فصل في بيان قول من قال ان ارواح المؤمنين عند الله تعالى

قال

قال تخرج روح المؤمن اطيب من ريح المسك فتنطلق بها الملائكة
الذين يتوفونه فتتلقاه الملائكة من دون السماء فيقولون هذا فلان
ابن فلان كان يعمل كيت وكيت لمحاسن عمله فيقولون مرحبا بكم وبه
فيقبضونها منهم فيصعد بها من الباب الذى كان يصعد منه عمله فيشرق
فى السموات ولها برهان كبرهان الشمس حتى ينتهى الى العرش واما
الكافر فاذا اقبض انطلق بروحه فيقولون ما هذا فيقولون هذا فلان
ابن فلان كان يعمل كيت وكيت لمساوي عمله فيقولون لا مرحبا
لا مرحبا ردوه فيرد الى اسفل الارض الى الثرى * وقال المكى بن
ابراهيم عن داود بن يزيد الاودى قال اراه عن عامر الشعبى عن
حذيفة بن اليمان انه قال الارواح موقوفة عند الرحمن عز وجل تنتظر
موعدها حتى ينفخ فيها * وذكر سفيان بن عيينة عن منصور بن صفية عن
امه انه دخل ابن عمر المسجد بعد قتل ابن الزبير وهو مصلوب فاتى اسماء
يعزيها فقال لها عليك بتقوى الله والصبر فان هذه الجثث ليست بشيء وانما
الارواح عند الله فقالت وما يمنعني من الصبر وقد اهدى راس يحيى
ابن زكريا الى بغي من بغايا بني اسرائيل * وذكر جرير عن الاعمش
عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف قال كنا جلوسا الى كعب والربيع
ابن خيثم وخالد بن عرعرة فى اناس فجاء ابن عباس فقال هذا ابن عم
نبيكم قال فاوسع له فجلس فقال يا كعب كل ما في القران قد عرفت غير
اربعة اشياء فاخبرني عنهن ما سجين وما عليون وما سدرة المنتهى

بيان سدرة المنتهى وسجين وعليين

وما قول الله لادريس ورفعناه مكانا عليا قال اما عليون فالسماء
السابعة فيها ارواح المؤمنين واما سجين فالارض السابعة السفلى
وارواح الكفار تحت خد ابليس واما قول الله سبحانه لادريس ورفعناه
مكانا عليا فاوحى الله اليه اني رافع لك كل يوم مثل اعمال بنى ادم
وكلم صديقا له من الملائكة ان يكلم له ملك الموت فيؤخره حتى يزداد
عملا فحمله بين جناحيه فعرج به حتى اذا كان في السماء الرابعة لقيه
ملك الموت فكلمه في حاجته فقال واين هو قال هو ذا بين جناحي
قال فالعجب اني امرت ان اقبض روحه في السماء الرابعة فقبض
روحه واما سدرة المنتهى فانها سدرة على رؤس حملة العرش ينتهى
اليها علم الخلائق ثم ليس لاحد وراءها علم فلذلك سميت سدرة المنتهى *
قال ابن منده ورواه وهب بن جرير عن ابيه ورواه يعقوب القمى عن
شمر ورواه خالد بن عبد الله عن العوام بن حوشب عن القاسم بن
عوف عن الربيع بن خيثم قال كنا جلوسا عند كعب فذكره * وذكر
يعلى بن عبيد عن الاجلح عن الضحاك قال اذا قبض روح العبد المومن
عرج به الى السماء الدنيا فينطلق معه المقربون الى السماء الثانية ثم الثالثة
ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة حتى ينتهى به الى سدرة المنتهى
قلت للضحاك لم سميت سدرة المنتهى قال لانه ينتهى اليها كل شيء من
امر الله عز وجل لا يعدوها فيقول ربي عبدك فلان وهو اعلم به منهم
فيبعث الله اليه بصك مختوم يأمنه من العذاب وذلك قوله تعالى كلا ان

كتاب الابرار لفى عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون * وهذا القول لا ينافي قول من قال هم في الجنة فان الجنة عند سدرة المنتهى والجنة عند الله وكان قائله رأى ان هذه العبارة اسلم واوفق وقد اخبر الله سبحانه ان ارواح الشهداء عنده واخبر النبي صلى الله عليه وسلم انها تسرح في الجنة حيث شاءت *

﴿ فصل ﴾

واما قول من قال ان ارواح المومنين بالجابية وارواح الكفار بحضرموت ببرهوت فقال ابو محمد بن حزم هذا من قول الرافضة وليس كما قال بل قد قاله جماعة من اهل السنة قال ابو عبد الله بن مندة وروي عن جماعة من الصحابة والتابعين ان ارواح المؤمنين بالجابية ثم قال انا محمد ابن محمد بن يونس ثنا احمد بن عاصم ثنا ابو داود سليمان بن داود ثنا همام حدثني قتادة حدثني رجل عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو انه قال ان ارواح المومنين تجتمع بالجابية وان ارواح الكفار تجتمع في سبخة بحضرموت يقال لها برهوت * ثم ساق من طريق حماد بن سلمة عن عبد الجليل بن عطية عن شهر بن حوشب ان كعبا رأى عبد الله بن عمرو وقد تكاب الناس عليه يسئلونه فقال له رجل سله اين ارواح المومنين وارواح الكفار فسأله فقال ارواح المومنين بالجابية وارواح الكفار ببرهوت * قال ابن مندة ورواه ابو داود وغيره عن عبد الجليل ثم ساق من حديث سفيان عن فرات القزاز عن ابي الطفيل عن علي قال خير بير

في الارض زمزم وشر بير في الارض برهوت بير في حضرموت وخير واد في الارض وادى مكة والوادي الذى اهبط فيه آدم بالهند منه طيبكم وشر واد في الارض الاحقاف وهو في حضرموت ترده ارواح الكفار * قال ابن مندة وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن علي قال ابغض بقعة في الارض واد بحضرموت يقال له برهوت فيه ارواح الكفار وفيه بير ماؤها بالنهار اسود كانه قيح تأوى اليه الهوام * ثم ساق من طريق اسمعيل بن اسحق القاضى ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان ثنا ابان بن تغلب قال قال رجل رأيت فيه يعني وادى برهوت فكانما حشرت فيه اصوات الناس وهم يقولون ياد ومه يادومه قال ابان فحد ثنا رجل من اهل الكتاب ان دومه هو الملك الذى على ارواح الكفار وقال سفيان وسألنا الحضرميين فقالوا لا يستطيع احد يبيت فيه بالليل * فهذا جملة ما علمته في هذا القول فان اراد عبد الله بن عمرو بالجابية التمثيل والتشبيه وانها تجمع في مكان فسيح يشبه الجابية لسعته وطيب هوائه فهذا قريب وان اراد نفس الجابية دون سائر الارض فهذ الا يعلم الا بالتوقيف ولعله مما تلقاه عن بعض اهل الكتاب *

* فصل *

* فصل في بيان قول من قال ان الارواح تجتمع في الارض التي قال الله فيها ان الارض يرثها عبادى الصالحون *

واما قول من قال انها تجتمع في الارض التي قال الله فيها ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون * فهذا ان كان قاله

تفسير اللاية فليس هو تفسير الها وقد اختلف الناس في الارض المذكورة هنا فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس هي ارض الجنة وهذا قول اكثر المفسرين وعن ابن عباس قول اخر انها الدنيا التي فتحها الله على امة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول هو الصحيح ونظيره قوله تعالى في سورة النور وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم * وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال زويت لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي مازوي لي منها * وقالت طائفة من المفسرين المراد بذلك ارض بيت المقدس وهي من الارض التي اورثها الله عباده الصالحين وليست الاية مختصة بها *

فصل

واما قول من قال ان ارواح المومنين في عليين في السماء السابعة وارواح الكفار في سجين في الارض السابعة فهذا قول قد قاله جماعة من السلف والخلف ويدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم الرفيق الاعلى * وقد تقدم حديث ابي هريرة ان الميت اذا اخرجت روحه عرج بها الى السماء حتى ينتهي بها الى السماء السابعة التي فيها الله عزوجل * وتقدم قول ابي موسى انها تصعد حتى تنتهي الى العرش * وقول حذيفة انها موقوفة عند الرحمن * وقول عبد الله بن عمران هذه الارواح عند الله * وتقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم ان ارواح الشهداء تأوي الى قناديل تحت

العرش * وتقدم حديث البراء بن عازب انها تصعد من سماء الى سماء ويشيعها من كل سماء مقربوها حتى ينتهى بها الى السماء السابعة * وفي لفظ الى السماء التي فيها الله عز وجل * ولكن هذا لا يدل على استقرارها هناك بل يصعد بها الى هنالك للعرض على ربها فيقضي فيها امره ويكتب كتابه من اهل عليين او من اهل سجين ثم تعود الى القبر للمسئلة ثم ترجع الى مقرها التي اودعت فيه فارواح المومنين في عليين بحسب منازلهم وارواح الكفار في سجين بحسب منازلهم *

فصل في ابطال كون الارواح في بئر زمزم

فصل

واما قول من قال ان ارواح المومنين تجتمع ببير زمزم فلا دليل على هذا القول من كتاب ولا سنة يجب التسليم لها ولا قول صاحب يوثق به وليس بصحيح فان تلك البير لا تسع ارواح المومنين جميعهم وهو مخالف لما ثبتت به السنة الصريحة من ان نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة وبالجملة فهذا من ابطل الاقوال وافسدها وهو افسد من قول من قال انها بالجابية فان ذلك مكان متسع فضاء بخلاف البير الضيقة *

فصل في بيان قول ان ارواح المومنين في برزخ من الارض تذهب حيث شاءت

فصل

واما قول من قال ان ارواح المؤمنين في برزخ من الارض تذهب حيث شاءت فهذا مروى عن سلمان الفارسي والبرزخ هو الحاجز بين شيئين وكان سلمان اراد بها في ارض بين الدنيا والاخرة مرسلة هناك تذهب حيث شاءت وهذا قول قوى فانها قد فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة

بل هي في برزخ بينهما فارواح المؤمنين في برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم وارواح الكفار في برزخ ضيق فيه الغم والعذاب قال تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون * فالبرزخ هنا ما بين الدنيا والاخرة واصله الحاجز بين الشيئين *

فصل

واما قول من قال ان ارواح المؤمنين عن يمين ادم وارواح الكفار عن يساره فلعمر الله لقد قال قولا يؤيده الحديث الصحيح وهو حديث الاسراء فان النبي صلى الله عليه وسلم راهم كذلك ولكن لا يدل ذلك على تعادلهم في اليمين والشمال بل يكون هؤلاء عن يمينه في العلو والسعة وهؤلاء عن يساره في السفل والسجن وقد قال ابو محمد بن حزم ان ذلك البرزخ الذي راها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به عند سماء الدنيا قال وذلك عند منقطع العناصر قال وهذا يدل على انها عنده تحت السماء حيث تنقطع العناصر وهي الماء والتراب والنار والهواء وهو دائما يشنع على من قال قولا لا دليل عليه فاي دليل له على هذا القول من كتاب وسنة وسياتي اشباع الكلام على قوله اذا انتهينا اليه ان شاء الله تعالى فان قيل فاذا كانت ارواح اهل السعادة عن يمين ادم وادم في السماء الدنيا وقد ثبت ان ارواح الشهداء في ظل العرش والعرش فوق السماء السابعة فكيف تكون عن يمينه وكيف يراها النبي صلى الله عليه وسلم هناك في السماء الدنيا * فالجواب * من وجوه * احدها * انه لا يمتنع كونها

عن يمينه في جهة العلو كما كانت ارواح الاشقياء عن يساره في جهة السفل * الثاني * انه غير ممتنع ان تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم في سماء الدنيا وان كان مستقرها فوق ذلك * الثالث * انه لم يخبر انه رأى ارواح السعداء جميعا هنالك بل قال فاذا عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة ومعلوم قطعا ان روح ابراهيم وموسى فوق ذلك في السماء السادسة والسابعة وكذلك الرفيق الاعلى ارواحهم فوق ذلك والارواح السعداء بعضها اعلى من بعض بحسب منازلهم كما ان الارواح الاشقياء بعضها اسفل من بعض بحسب منازلهم والله اعلم *

﴿ فصل ﴾

واما قول ابي محمد بن حزم ان مستقرها حيث كانت قبل خلق اجسادها فهذا ابناء منه على مذهبه الذي اختاره وهو ان الارواح مخلوقة قبل الاجساد وهذا فيه قولان للناس وجمهورهم على ان الارواح خلقت بعد الاجساد والذين قالوا انها خلقت قبل الاجساد ليس معهم على ذلك دليل من كتاب ولا سنة ولا اجماع الا مافهموه من نصوص لا تدل على ذلك او احاديث لا تصح كما احتج به ابو محمد بن حزم من قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا الاية وبقوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا * قال فصح ان الله خلق الارواح جملة وهي الانفس وكذلك اخبر عليه السلام ان

﴿ فصل في بيان قول ابن حزم ان مستقر الارواح حيث كانت قبل خلق اجسادها ﴾

الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف
قال واخذ عز وجل عهدها وشهادتها وهي مخلوقة مصورة عاقلة قبل
ان يامر الملائكة بالسجود لادم وقبل ان يدخلها في الاجساد والاجساد
يومئذ تراب وقال لان الله تعالى خلق ذلك بلفظة ثم التي توجب التعقيب
والمهلة ثم اقرها سبحانه وتعالى حيث شاء وهو البرزخ الذي ترجع اليه
عند الموت وسنذكر ما في هذا الاستدلال عند جواب سوال السائل
عن الارواح هي مخلوقة مع الابدان ام قبلها اذ الغرض هنا الكلام على
مستقر الارواح بعد الموت وقوله انها تستقر في البرزخ الذي كانت
فيه قبل خلق الاجساد مبني على هذا الاعتقاد الذي اعتقده وقوله
ان ارواح السعداء عن يمين آدم وارواح الكفار الاشقياء عن يساره
حق كما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ان ذلك عند منقطع
العناصر لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا يشبه اقوال اهل الاسلام
والاحاديث الصحيحة تدل على ان الارواح فوق العناصر في الجنة عند الله
وادلة القران تدل على ذلك وقد وافق ابو محمد على ان ارواح الشهداء
في الجنة ومعلوم ان الصديقين افضل منهم فكيف تكون روح
ابي بكر الصديق وعبد الله بن مسعود وابي الدرداء وحذيفة بن اليمان
واشباههم عند منقطع العناصر وذلك تحت هذا الفلك الادنى وتحت
السماء الدنيا وتكون ارواح شهداء زماننا وغيرهم فوق العناصر وفوق
السموات واما قوله قد ذكر محمد بن نصر المروزي عن اسحق بن راهويه

انه ذكر هذا الذى قلناه بعينه قال و على هذا اجميع اهل العلم و هو قول جميع اهل الاسلام *قلت* محمد بن نصر المروزى ذكر في كتاب الرد على ابن قتيبة في تفسير قوله تعالى و اذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم و اشهدهم على انفسهم الست بربكم *الاثار التى ذكر السلف من استخراج ذرية ادم من صلبه ثم اخذ الميثاق عليهم وردهم في صلبه وانه اخرجهم مثل الذر وانه سبحانه قسمهم اذ ذاك الى شقى و سعيد و كتب آجالهم وارزاقهم واعمالهم و مايصيبهم من خير و شر ثم قال قال اسحق اجمع اهل العلم انها الارواح قبل الاجساد استنطقهم و اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل هذا نص كلامه وهو كما ترى لايدل على ان مستقر الارواح ما ذكر ابو محمد حيث تنقطع العناصر بوجه من الوجوه بل و لايدل على ان الارواح كائنة قبل خلق الاجساد بل انما يدل على انه سبحانه اخرجها حينئذ فخاطبها ثم ردها الى صلب ادم و هذا القول و ان كان قد قاله جماعة من السلف و الخلف فالقول الصحيح غيره كما ستقف عليه ان شاء الله اذ ليس الغرض في جواب هذه المسئلة الكلام فى الارواح هل هى مخلوقة قبل الاجساد ام لا حتى لو سلم لابى محمد هذا كله لم يكن فيه دليل على ان مستقرها حيث تنقطع العناصر و لا ان ذلك الموضع كان مستقرها او لا *

و اما قول

فصل

واما قول من قال مستقرها العدم المحض فهذا قول من قال انها عرض من اعراض البدن وهو الحياة وهذا قول ابن الباقلاني ومن تبعه وكذلك قال ابو الهذيل العلاف النفس عرض من الاعرض ولم يعينه بانه الحياة كما عينه ابن الباقلاني ثم قال هي عرض كسائر اعراض الجسم وهؤلاء عندهم ان الجسم اذا مات عدمت روحه كما تقدم وسائر اعراضه المشروطة بالحياة ومن يقول منهم ان العرض لا يبقى زمانين كما يقوله اكثر الاشعرية فمن قولهم ان روح الانسان الان هي غير روحه قبل وهو لا ينفك يحدث له روح ثم تغير ثم روح ثم تغير هكذا ابدا فيبدل له الف روح فاكثر في مقدار ساعة من الزمان فاذا مات فلا روح تصعد الى السماء وتعود الى القبر وتقبضها الملائكة ويستفتحون لها ابواب السموات ولا تنعم ولا تعذب وانما ينعم ويعذب الجسد اذا شاء الله تنعيمه وتعذيبه رد اليه الحياة في وقت يريد نعيمه وعذابه والا فلا روح هناك قائمة بنفسها البتة وقال بعض ارباب هذا القول ترد الحياة الى عجب الذنب فهو الذي يعذب وينعم حسب وهذا قول يرده الكتاب والسنة واجماع الصحابة وادلة العقول والفطر والفطرة وهو قول من لم يعرف روحه فضلا عن روح غيره وقد خاطب الله سبحانه النفس بالرجوع والدخول والخروج ودلت النصوص الصحيحة الصريحة على انها تصعد وتنزل وتقبض وتمسك وترسل

وتستفتح لها ابواب السماء وتسجد وتتكلم وانها تخرج تسيل كما تسيل القطرة
و تكفن و تحنط في اكفان الجنة و النار و ان ملك الموت ياخذها بيده
ثم تتناولها الملائكة من يده و يشم لها كاطيب نفحة مسك او انتن جيفة
وتشيع من سماء الى سماء ثم تعاد الى الارض مع الملائكة وانها اذا اخرجت
تبعها البصر بحيث يراها وهي خارجة و دل القران على انها تنتقل من
مكان الى مكان حتى تبلغ الحلقوم في حركتها وجميع ما ذكرنا من الادلة
الدالة على تلاقى الارواح و تعارفها و انها اجناد مجندة الى غير ذلك
تبطل هذا القول و قد شاهد النبى صلى الله عليه وسلم الارواح ليلة
الاسراء عن يمين آدم و شماله و اخبر النبي صلى الله عليه و سلم ان نسمة
المومن طائر يعلق في شجر الجنة * وان ارواح الشهداء فى حواصل طير
خضر * و اخبر تعالى عن ارواح ال فرعون انها تعرض على النار غدوا
وعشيا * و لما اورد ذلك على ابن الباقلانى لج في الجواب وقال يخرج
على هذا الحد و جهين اما بان يوضع عرض من الحياة فى اول جزء من
اجزاء الجسم و اما ان يخلق لتلك الحياة و النعيم و العذاب جسد اخر
و هذا قول فى غاية الفساد من وجوه كثيرة و اي قول افسد من قول
من يجعل روح الانسان عرضا من الاعراض تتبدل كل ساعة الوفا
من المرات فاذا فارقه هذا العرض لم يكن بعد المفارقة روح تنعم ولا تعذب
ولا تصعد ولا تنزل ولا تمسك ولا ترسل فهذا قول مخالف للعقل
و نصوص الكتاب والسنة والفطرة وهو قول من لم يعرف

نفسه وسيأتي ذكر الوجوه الدالة على بطلان هذا القول في موضعه
من هذا الجواب ان شاء الله وهو قول لم يقل به احد من سلف الأمة
ولا من الصحابة والتابعين ولا ائمة الاسلام *

* فصل *

فصل في بيان قول من قال ان للارواح بعد الموت ابدانا اخر غير هذه الابدان

واما قول من قال ان مستقرها بعد الموت ابدان اخر غير هذه الابدان
فهذا القول فيه حق وباطل فاما الحق فما اخبر الصادق المصدوق
صلى الله عليه وسلم عن ارواح الشهداء انها في حواصل طير خضر تاوي
الى قناديل معلقة بالعرش هي لها كالاوكار للطائر وقد صرح بذلك
في قوله جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر واما قوله صلى الله عليه
وسلم نسمة المومن طائر يعلق في شجر الجنة * يحتمل ان يكون هذا الطائر مركبا
للروح كالبدن لها ويكون ذلك لبعض المؤمنين والشهداء ويحتمل ان يكون
الروح في صورة طائر وهذا اختيار ابي محمد بن حزم وابي عمر بن
عبد البر وقد تقدم كلام ابي عمر والكلام عليه واما ابن حزم فانه قال
معنى قوله صلى الله عليه وسلم نسمة المؤمن طائر يعلق * هو على ظاهره لا على
ظن اهل الجهل وانما اخبر صلى الله عليه وسلم ان نسمة المومن طائر يعلق بمعنى
انها تطير في الجنة لا انها تمسخ في صورة الطير قال * فان قيل * ان النسمة
مؤنثة * قلنا * قد صح عن عربي فصيح انه قال اتتك كتابي فاستخففت بها
فقيل له اتؤنث قال اوليس صحيفة وكذلك النسمة تذكر كذلك قال
واما الزيادة التي فيها انها في حواصل طير خضر فانها صفة تلك القناديل

التي تأوي اليها والحديثان ما حديث واحد وهذا الذي قاله في غاية الفساد لفظا ومعنى فان حديث نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة غير حديث ارواح الشهداء في حواصل طير خضر * والذي ذكره يحتمل في الحديث الاول واما الحديث الثاني فلا يحتمله بوجه فانه صلى الله عليه وسلم اخبران ارواحهم في حواصل طير وفي لفظ في اجواف طير خضر وفي لفظ بيض وان تلك الطير تسرح في الجنة فتأكل من ثمارها وتشرب من انهارها ثم تأوي الى قناديل تحت العرش هي لها كالاوكار للطائر وقوله ان حواصل تلك الطير هي صفة القناديل التي تأوي اليها خطأ قطعا بل تلك القناديل مأوى لتلك الطير فههنا ثلاثة امور صرح بها الحديث ارواح وطير هي في اجوافها وقناديل هي مأوى لتلك الطير والقناديل مستقرة تحت العرش لا تسرح والطير تسرح وتذهب وتجيء والارواح في اجوافها * فان قيل * يحتمل ان تجعل نفسها في صورة طير لا انها تركب في بدن طير كما قال تعالى في اي صورة ما شاء ركبك * ويدل عليه قوله في اللفظ الاخر ارواحهم كطير خضر كذلك رواه ابن ابي شيبة حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال ابو عمر والذي يشبه عندي والله اعلم ان يكون القول قول من قال كطير او صورة طير لمطابقته لحديثنا المذكور يعني حديث كعب ابن مالك في نسمة المؤمن * فالجواب * ان هذا الحديث قد روي بهذين اللفظين والذي رواه مسلم في الصحيح من حديث الاعمش عن مسروق

فلم يختلف حديثهما انها في اجواف طير خضر واما حديث ابن عباس فقال عثمان بن ابي شيبة ثنا عبد الله بن ادريس عن محمد بن اسحق عن اسمعيل بن امية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم يعني يوم احد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة و تاكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا اطيب ماكلهم و مشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا احياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ولا يزهدوا في الجهاد فقال الله تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون واما حديث كعب بن مالك فهو في السنن الاربعة و مسند احمد و لفظه للترمذى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ارواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمر الجنة او شجر الجنة قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ولا محذور في هذا و لا يبطل قاعدة من قواعد الشرع ولا يخالف نصا من كتاب و لا سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هذا من تمام اكرام الله للشهداء ان اعاضهم من ابدانهم التي مزقوها لله ابدانا خيرا منها تكون مركبا للارواحهم ليحصل بها كمال تنعمهم فاذا كان يوم القيامة رد ارواحهم الى تلك الابدان التي كانت فيها في الدنيا * فان قيل * فهذا هو القول بالتناسخ وحلول الارواح في ابدان غير ابدانها التي كانت فيها * قيل * هذا المعنى الذى دلت

عليه السنة الصريحة يجب اعتقاده ولا يبطله تسمية المسمى له تناسخا كما ان اثبات ما دل عليه العقل والنقل من صفات الله عز وجل وحقائق اسمائه الحسنى حق لا يبطله تسمية المعطلين لها تركيبا وتجسيما وكذلك ما دل عليه العقل والنقل من اثبات افعاله وكلامه بمشيئته ونزوله كل ليلة الى سماء الدنيا ومجيئه يوم القيامة للفصل بين عباده حق لا يبطله تسمية المعطلين له حلول حوادث وكما ان ما دل عليه العقل والنقل من علو الله على خلقه ومباينته لهم واستوائه على عرشه وعروج الملائكة والروح اليه ونزولها من عنده وصعود الكلم الطيب اليه وعروج رسوله اليه ودنوه منه حتى صار قاب قوسين او ادنى وغير ذلك من الادلة حق لا يبطله تسمية الجهمية له حيزا وجهة وتجسيما * قال الامام احمد لا تزيل عن الله صفة من صفاته لاجل شفاعة المشنعين فان هذا شان اهل البدع يلقبون اهل السنة واقوالهم بالالقاب التي ينفرون منها الجهال ويسمونها حشوا وتركيبا وتجسيما ويسمون عرش الرب تبارك وتعالى حيزا وجهة ليتوصلوا بذلك الى نفي علوه على خلقه واستوائه على عرشه كما تسمى الرافضة موالاة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم ومحبتهم والدعاء لهم نصبا وكما تسمى القدرية المجوسية اثبات القدر جبرا فليس الشان في الالقاب وانما الشان في الحقائق والمقصود ان ما دلت عليه السنة الصريحة من جعل ارواح الشهداء في اجواف طير خضر تناسخا لا يبطل هذا المعنى وانما التناسخ الباطل ما تقوله اعداء الرسل من

الملاحدة وغيرهم الذين ينكرون المعاد ان الارواح تصير بعد مفارقة
الابدان الى اجناس الحيوان والحشرات والطيور التى تناسبها وتشا كلها
فاذا فارقت هذه الابدان انتقلت الى ابدان تلك الحيوانات فتنعم
فيها او تعذب ثم تفارقها وتحل في ابدان آخر تناسب اعمالها واخلاقها
وهكذا ابدا فهذا معادها عندهم ونعيمها وعذابها لا معاد لها عندهم
غير ذلك فهذا هو التناسخ الباطل المخالف لما اتفقت عليه الرسل
والانبياء من اولهم الى آخرهم وهو كفر بالله واليوم الاخر وهذه
الطائفة يقولون ان مستقر الارواح بعد المفارقة ابدان الحيوانات التى
تناسبها وهو ابطل قول واخبثه ويليه قول من قال ان الارواح تعدم
جملة بالموت ولا تبقى هناك روح تنعم ولا تعذب بل النعيم والعذاب
يقع على اجزاء الجسد او على جزء منه اما عجب او غيره فيخلق الله
فيه الالم الذى [illegible] اعادة رد الحياة اليه كما قاله بعض ارباب هذا
القول او بدون رد الحياة كما قاله آخرون منهم فهؤلاء عندهم
لا عذاب في البرزخ الا على الاجساد ومقابلهم من يقول ان الروح
لا تعاد الى الجسد بوجه ولا تتصل به والعذاب والنعيم على الروح
فقط والسنة الصريحة المتواترة ترد قول هؤلاء وهؤلاء وتبين ان
العذاب على الروح والجسد مجتمعين ومنفردين * فان قيل * فقد ذكرتم
اقوال الناس فى مستقر الارواح وماخذهم فما هو الراجح من هذه
الاقوال حتى نعتقده * قيل * الارواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ

اعظم تفاوت * فمنها * ارواح في اعلى عليين في الملأ الاعلى وهي ارواح الانبياء صلوات الله و سلامه عليهم وهم متفاوتون في منازلهم كما راهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء * ومنها * ارواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي ارواح بعض الشهداء لا جميعهم بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه اوغيره كما في المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله مالي ان قتلت في سبيل الله قال الجنة فلما ولى قال الا الدين سارني به جبريل انفا * ومنهم * من يكون محبوسا على باب الجنة كما في الحديث الاخر رأيت صاحبكم محبوسا على باب الجنة * ومنهم * من يكون محبوسا في قبره كحديث صاحب الشملة التي غلها ثم استشهد فقال الناس هنيئا له الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان الشملة التي غلها لتشتعل عليه نارا في قبره * ومنهم * من يكون مقره باب الجنة كما في حديث ابن عباس الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية رواه احمد وهذا بخلاف جعفر بن ابي طالب حيث ابدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء * ومنهم * من يكون محبوسا في الارض لم تعل روحه الى الملأ الاعلى فانها كانت روحا سفلية ارضية فان الانفس الارضية لا تجامع الانفس السماوية كما لا تجامعها في الدنيا والنفس التي لم تكتسب في الدنيا

معرفة ربها ومحبته وذكره والانس به والتقرب اليه بل هي ارضية
سفلية لا تكون بعد المفارقة لبدنها الاهناك كما ان النفس العلوية
التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره والتقرب اليه
والانس به تكون بعد المفارقة مع الارواح العلوية المناسبة لها فالمرء مع
من احب في البرزخ ويوم القيامة والله تعالى يزوج النفوس بعضها
ببعض في البرزخ ويوم المعاد كما تقدم في الحديث ويجعل روحه يعني
المؤمن مع النسيم الطيب اى الارواح الطيبة المشاكلة لروحه فالروح
بعد المفارقة تلحق باشكالها واخوانها واصحاب عملها فتكون معهم هناك
• ومنها • ارواح تكون في تنور الزناة والزواني وارواح في نهر الدم تسبح
فيه وتلقم الحجارة فليس للارواح سعيدها وشقيها مستقر واحد بل
روح في اعلى عليين وروح ارضية سفلية لا تصعد عن الارض وانت
اذا تأملت السنن والآثار في هذا الباب وكان لك بها فضل اعتناء عرفت
حجة ذلك ولا تظن ان بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تعارضا فانها
كلها حق يصدق بعضها بعضا لكن الشان في فهمها ومعرفة النفس واحكامها
وان لها شانا غير شان البدن وانها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل
بفناء القبر وبالبدن فيه وهي اسرع شئ حركة وانتقالا وصعودا
وهبوطا وانها تنقسم الى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية ولها بعد
المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم والم اعظم مما كان لها حال اتصالها
بالبدن بكثير فهنا لك الحبس والالم والعذاب والمرض والحسرة

وهنالك اللذة والراحة والنعيم والاطلاق وما اشبه حالها في هذا البدن بحال البدن في بطن امه وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن الى هذه الدار فلهذه الانفس اربع دور وكل دار اعظم من التي قبلها * الدار الاولى * في بطن الام وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث * الدار الثانية * هي الدار التي نشأت فيها والفتها واكتسبت فيها الخير والشر واسباب السعادة والشقاوة * والدار الثالثة * دار البرزخ وهي اوسع من هذه الدار واعظم بل نسبتها اليها كنسبة هذه الدار الى الاولى * الدار الرابعة * دار القرار وهي الجنة او النار فلا دار بعدها والله ينقلها في هذه الدور طبقا بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل لها اليها ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشان غير شان الدار الاخرى فتبارك الله فاطرها ومنشئها ومميتها ومحييها ومسعدها ومشقيها الذي فاوت بينها في درجات سعادتها وشقاوتها كما فاوت بينها في مراتب علومها واعمالها وقواها واخلاقها فمن عرفها كما ينبغي شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي له الملك كله وله الحمد كله وبيده الخير كله واليه يرجع الامر كله وله القوة كلها والقدرة كلها والعز كله والحكمة كلها والكمال المطلق من جميع الوجوه وعرف بمعرفة نفسه صدق انبيائه ورسله وان الذي جاؤا به هو الحق الذي تشهد به العقول وتقر به الفطر وما خالفه فهو الباطل وبالله التوفيق *

للنفس اربع دور وكل دار منها اعظم من التي قبلها

فصل

المسئلة السادسة عشر هل تنتفع ارواح الموتى من سعي الاحياء ام لا

فصل * * * واما المسئلة السادسة عشر وهي هل تنتفع ارواح الموتى بشئ من سعي الاحياء ام لا

فالجواب انها تنتفع من سعي الاحياء بامرين مجمع عليهما بين اهل السنة من الفقهاء واهل الحديث والتفسير * احدهما * ما تسبب اليه الميت في حياته * والثاني * دعاء المسلمين له واستغفارهم له والصدقة والحج على نزاع ما الذي يصل من ثوابه هل هو ثواب الانفاق او ثواب العمل فعند الجمهور يصل ثواب العمل نفسه وعند بعض الحنفية انما يصل ثواب الانفاق واختلفوا في العبادة البدنية كالصوم والصلوة وقراءة القرآن والذكر فمذهب الامام احمد وجمهور السلف وصولها وهو قول بعض اصحاب ابي حنيفة نص على هذا الامام احمد في رواية محمد بن يحيى الكحال قال قيل لابي عبد الله الرجل يعمل الشئ من الخير من صلوة او صدقة او غير ذلك فيجعل نصفه لابيه او لامه قال ارجوا وقال الميت يصل اليه كل شئ من صدقة او غيرها وقال ايضا اقرأ آية الكرسي ثلاث مرات وقل هو الله احد وقل اللهم ان فضله لاهل المقابر * والمشهور من مذهب الشافعي ومالك ان ذلك لا يصل وذهب بعض اهل البدع من اهل الكلام انه لا يصل الى الميت شئ البتة لا دعاء ولا غيره فالدليل على انتفاعه بما تسبب اليه في حياته ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاث الا من صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد

الدليل على انتفاع الميت بما تسبب اليه في حياته

صالح يدعو له * فاستثناه هذه الثلاث من عمله يدل على انها منه فانه هو الذي تسبب اليها وفي سنن ابن ماجة من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يلحق المومن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره او ولدا صالحا تركه او مصحفا ورثه او مسجدا بناه او بيتا لابن السبيل بناه او نهرا اكراه او صدقة اخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته * وفي صحيح مسلم ايضا من حديث جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شيء * وهذا المعنى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من عدة وجوه صحاح وحسان وفي المسند عن حذيفة قال سأل رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسكوا القوم ثم ان رجلا اعطاه فاعطى القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن خيرا فاستن به كان له اجره ومن اجور من تبعه غير منتقص من اجورهم شيئا ومن سن شرا فاستن به كان عليه وزره ومن اوزار من تبعه غير منتقص من اوزارهم شيئا * وقد دل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل فاذا كان هذا في العذاب والعقاب ففي الفضل والثواب اولى واحرى *

فصل

فصل في الدليل على انتفاع الميت بغير ما تسبب فيه

فصل

والدليل على انتفاعه بغير ما تسبب فيه القرآن والسنة والاجماع وقواعد الشرع اما القرآن فقوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان * فاثنى الله سبحانه عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم فدل على انتفاعهم باستغفار الاحياء وقد يمكن ان يقال انما انتفعوا باستغفارهم لانهم سنوا لهم الايمان بسبقهم اليه فلما اتبعوهم فيه كانوا كالمستنين في حصول له لهم لكن قد دل على انتفاع الميت بالدعاء اجماع الامة على الدعاء له في صلوة الجنازة وفي السنن من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صليتم على الميت فاخلصوا له الدعاء * وفي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفرله وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله واوسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطاء كما نقيت الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر وعذاب النار * وفي السنن عن واثلة بن الاسقع قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل من المسلمين فسمعته يقول اللهم ان فلان ابن فلان في ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار وانت اهل الوفاء والحق فاغفرله وارحمه انك انت الغفور الرحيم * وهذا كثير في

الاحاديث بل هو المقصود بالصلوة على الميت وكذلك الدعاء له بعد الدفن وفي السنن من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال استغفروا لاخيكم واسألوا له التثبيت فانه الان يسئل * وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم كما في صحيح مسلم من حديث بريدة بن الحصيب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر ان يقولوا السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية * وفي صحيح مسلم ان عائشة رضي الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف تقول اذا استغفرت لاهل القبور قال قولي السلام على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستاخرين وانا ان شاء الله للاحقون * وفي صحيحه عنها ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في ليلتها من آخر الليل الى البقيع فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين واتاكم ما توعدون غدا مؤجلون وانا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم للاموات فعلا وتعليما ودعاء الصحابة والتابعين والمسلمين عصرا بعد عصر اكثر من ان يذكر واشهر من ان ينكر وقد جاء ان الله يرفع درجة العبد في الجنة فيقول انى لى هذا فيقال بدعاء ولدك لك *

فصل

فصل في اثبات وصول ثواب الصدقة الى الميت

واما وصول ثواب الصدقة ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها

ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امى افتلتت نفسها ولم توص واظنها لو تكلمت تصدقت افلها اجر ان تصدقت عنها قال نعم * وفى صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه ان سعد بن عبادة توفيت امه وهو غائب عنها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امى توفيت وانا غائب عنها فهل ينفعها ان تصدقت عنها قال نعم قال فاني اشهدك ان حائطي المخراف صدقة عنها * وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابي مات وترك مالا ولم يوص فهل يكفى عنه ان اتصدق عنه قال نعم * وفي السنن ومسند احمد عن سعد بن عبادة انه قال يارسول الله ان ام سعد ماتت فاى الصدقة افضل قال الماء فحفر بيرا وقال هذه لام سعد * وعن عبد الله بن عمرو ان العاص ابن وائل نذر فى الجاهلية ان ينحر مائة بدنة وان هشام بن العاص نحر خمسة وخمسين وان عمروا سال النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اما ابوك فلو اقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك رواه الامام احمد *

فصل

واما وصول ثواب الصوم ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات وعليه صيام صام عنه وليه * وفي الصحيحين ايضا عن ابن عباس قال جاء رجل

الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان امي ماتت وعليها صوم شهرا فاقضيه عنها قال نعم فدين الله احق ان يقضى* وفي رواية جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان امي ماتت وعليها صوم نذرافاصوم عنها قال افرايت لوكان على امك دين فقضيتيه اكان يؤدي ذلك عنها قالت نعم قال فصومي عن امك* وهذا اللفظ للبخاري وحده تعليقا وعن بريدة قال بينا انا جالس عند رسول الله صلى الله عليه اذ اتته امرأة فقالت اني تصدقت على امي بجارية وانها ماتت فقال وجب اجرك وردها عليك الميراث فقالت يا رسول الله انه كان عليها صوم شهرا فاصوم عنها قال صومي عنها قالت انها لم تحج قط افاحج عنها قال حجي عنها رواه مسلم* وفي لفظ صوم شهرين* وعن ابن عباس ان امرأة ركبت البحر فنذرت ان الله نجاها ان تصوم شهرا فنجاها الله فلم تصم حتى ماتت فجاءت بنتها اواختها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرها ان تصوم عنها* رواه اهل السنن والامام احمد وكذلك روي عنه صلى الله عليه وسلم وصول ثواب بدل الصوم وهو الاطعام ففي السنن عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه لكل يوم مسكين ؟ رواه الترمذي وابن ماجة قال الترمذي ولا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه والصحيح عن ابن عمر من قوله موقوفا وفي سنن ابي داود عن ابن عباس قال اذا مرض الرجل في رمضان ولم يصم

؟ فليطعم عنه مكان كل يوم مسكينا ــ هكذا في سنن الترمذي اطعم

اطعم عنه ولم يكن عنه قضاء وان نذر قضى عنه وليه *

فصل

واما وصول ثواب الحج ففي صحيح البخاري عن ابن عباس ان امرأة من جهينة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان امي نذرت ان تحج فلم تحج حتى ماتت افاحج عنها قال حجي عنها ارأيت لو كان على امك دين اكنت قاضيه اقضوا الله فالله احق بالقضاء * وقد تقدم حديث بريدة وفيه ان امي لم تحج قط افاحج عنها قال حجي عنها * وعن ابن عباس قال ان امرأة سنان بن سلمة الجهني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امها ماتت ولم تحج افيجزي ان تحج عنها قال نعم لو كان على امها دين فقضته عنها الم يكن يجزي عنها * رواه النسائي وروى ايضا عن ابن عباس ان امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ابنها مات ولم يحج قال حجي عن ابنك * وروي ايضا عنه قال قال رجل يا نبي الله ان ابي مات ولم يحج افاحج عنه قال ارأيت لو كان على ابيك دين اكنت قاضيه وصينه قال نعم قال فدين الله احق * واجمع المسلمون على ان قضاء الدين يسقطه من ذمته ولو كان من اجنبي اومن غير تركته وقد دل عليه حديث ابي قتادة حيث ضمن الدينارين عن الميت فلما قضاهما قال له النبي صلى الله عليه وسلم الان بردت عليه جلدته * واجمعوا على ان الحي اذا كان له في ذمة الميت حق من الحقوق فاحله منه انه ينفعه ويبرأ منه كما يسقط من ذمة الحي فاذا سقط من ذمة الحي بالنص والاجماع مع امكان ادائه له

بنفسه ولو لم يرض به بل رده فسقوطه من ذمة الميت بالابراء حيث لا يتمكن
من اداثه اولى واحرى واذا انتفع بالابراء والاسقاط فكذلك ينتفع
بالهبة والاهداء ولا فرق بينهما فان ثواب العمل حق المهدي الواهب
فاذا جعله للميت انتقل اليه كما ان ما على الميت من الحقوق من الدين وغيره
هو محض حق الحي فاذا ابرأه وصل الابراء اليه وسقط من ذمته فكلاهما
حق للحي فاي نص او قياس او قاعدة من قواعد الشرع يوجب وصول
احدهما ويمنع وصول الاخر وهذه النصوص متظاهرة على وصول
ثواب الاعمال الى الميت اذا فعلها الحي عنه وهذا محض القياس فان
الثواب حق للعامل فاذا وهبه لاخيه المسلم لم يمنع من ذلك كما لم يمنع
من هبة ماله في حياته وابرائه له منه بعد موته وقد نبه النبي صلى الله عليه
وسلم بوصول ثواب الصوم الذى هو مجرد ترك ونية تقوم بالقلب
لا يطلع عليه الا الله وليس بعمل الجوارح وعلى وصول ثواب القراءة
التي هي عمل باللسان تسمعه الاذن وتراه العين بطريق الاولى ويوضحه
ان الصوم نية محضة وكف النفس عن المفطرات وقد اوصل الله ثوابه
الى الميت فكيف بالقراءة التي هي عمل ونية بل لا تفتقر الى النية فوصول
ثواب الصوم الى الميت فيه تنبيه على وصول سائر الاعمال * والعبادات
قسمان مالية وبدنية وقد نبه الشارع بوصول ثواب الصدقة على
وصول ثواب سائر العبادات المالية ونبه بوصول ثوب الصوم على

وصول

وصول ثواب سائر العبادات البدنية واخبر بوصول ثواب الحج المركب من المالية والبدنية فالانواع الثلاثة ثابتة بالنص والاعتبار وبالله التوفيق * قال المانعون من الوصول قال الله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى * وقال ولا تجزون الا ما كنتم تعملون * وقال لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت * وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية عليه او ولد صالح يدعو له او علم ينتفع به من بعده * فاخبر انه انما ينتفع بما كان تسبب اليه في الحيوة وما لم يكن قد تسبب اليه فهو منقطع عنه وايضا فحديث ابي هريرة المتقدم وهو قوله ان مما يلحق الميت من عمله وحسناته بعد موته علما نشره الحديث يدل على انه انما ينتفع بما كان قد تسبب فيه وكذلك حديث انس يرفعه سبع يجري على العبد اجرهن وهو في قبره بعد موته من علم علما او اكرى نهرا او حفر بيرا او غرس نخلا او بنى مسجدا او ورث مصحفا او ترك ولدا صالحا يستغفر له بعد موته * وهذا يدل على ان ما عدا ذلك لا يحصل له منه ثواب والا لم يكن للحصر معنى * قالوا والاهداء حوالة والحوالة انما تكون بحق لازم والاعمال لا توجب الثواب وانما هو مجرد تفضل الله واحسانه فكيف يحيل العبد على مجرد الفضل الذي لا يجب على الله بل ان شاء آتاه وان لم يشأ لم يؤته وهو نظير حوالة الفقير على من يرجو ان يتصدق عليه ومثل هذا لا يصح اهداؤه وهبته كصلة ترجى من ملك لا يتحقق حصولها * قالوا وايضا فالايثار باسباب الثواب مكروه

و هو الايثار بالقرب فكيف الايثار بنفس الثواب الذى هو غاية فاذا
كره الايثار بالوسيلة فالغاية اولى واحرى وكذلك كره الامام احمد
التاخر عن الصف الاول وايثار الغير به لما فيه من الرغبة عن سبب
الثواب قال احمد في رواية حنبل وقد سئل عن الرجل يتأخر عن
الصف الاول ويقدم اباه فى موضعه قال مايعجبنى هو يقدر ان
يبر اباه بغير هذا * قالوا ايضا لو ساغ الاهداء الى الميت لساغ
نقل الثواب والاهداء الى الحى * وايضا لو ساغ ذلك لساغ لهذا
نصف الثواب وربعه وقيراط منه * وايضا لو ساغ ذلك لساغ اهداؤه
بعد ان يعمله لنفسه وقد قلتم انه لابد ان ينوي حال الفعل اهداءه
الى الميت والا لم يصل اليه فاذا ساغ له نقل الثواب فاي فرق بين
ان ينوى قبل الفعل او بعده * وايضا لو ساغ الاهداء لساغ اهداء
ثواب الواجبات على الحى كما يسوغ اهداء ثواب التطوعات
التى يتطوع بها * قالوا وان التكاليف امتحان وابتلاء لا تقبل البدل
فان المقصود منها عين المكلف العامل المامور المنهي فلا يبدل المكلف
الممتحن بغيره ولا ينوب غيره عنه فى ذلك اذ المقصود طاعته هو نفسه
وعبوديته ولو كان ينتفع باهداء غيره له من غير عمل منه لكان اكرم
الاكرمين اولى بذلك وقد حكم سبحانه انه لا ينتفع الا بسعيه وهذه
سنته تعالى فى خلقه وقضاؤه كما هي سنته في امره وشرعه فان المريض
لا ينوب عنه غيره في شرب الدواء والجائع والظمآن والعارى لا ينوب

عنه غيره في الاكل والشرب واللباس * قالوا ولو نفعه عمل غيره لنفعه توبته عنه قالوا ولهذا لا يقبل الله اسلام احد عن احد ولا صلاته عن صلاته فاذا كان رأس العبادات لا يصح اهداء ثوابه فكيف فروعها * قالوا واما الدعاء فهو سوال ورغبة الى الله ان يتفضل على الميت و يسامحه و يعفو عنه وهذا اهداء ثواب عمل الحي اليه * قال المقتصرون على وصول العبادات التي تدخلها النيابة كالصدقة والحج العبادات نوعان * نوع * لا تدخله النيابة بحال كالاسلام والصلوة و قراءة القرآن و الصيام فهذا النوع يختص ثوابه بفاعله لا يتعداه ولا ينقل عنه كما انه في الحيوة لا يفعله احد عن احد و لا ينوب فيه عن فاعله غيره * و نوع * تدخله النيابة كرد الودائع و اداء الديون و اخراج الصدقة و الحج فهذا يصل ثوابه الى الميت لانه يقبل النيابة و يفعله العبد عن غيره فى حياته فبعد موته بالطريق الاولى والاحرى * قالوا واما حديث من مات وعليه صيام صام عنه وليه * فجوابه من وجوه * احدها * ما قاله مالك في موطائه قال لا يصوم احد عن احد قال و هو امر مجمع عليه عندنا لا خلاف فيه * الثانى * ان ابن عباس هو الذى روى حديث الصوم عن الميت و قد روى عنه النسائي اخبرنا محمد بن عبد الاعلى ثنا يزيد بن زريع ثنا حجاج الاحول ثنا ايوب بن موسى عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس قال لا يصلى احد عن احد * الثالث * انه حديث اختلف في اسناده هكذا قال صاحب المفهم في شرح مسلم * الرابع * انه معارض بنص القرآن كما تقدم من قوله تعالى

و ان ليس للانسان الا ما سعى * الخامس * انه معارض بما رواه النسائي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه و سلم قال لا يصلي احد عن احد ولا يصوم احد عن احد ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مدا من حنطة * السادس * انه معارض بحديث محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات و عليه صوم رمضان يطعم عنه * السابع * انه معارض بالقياس الجلي على الصلوة و الاسلام والتوبة فان احدا لا يفعلها عن احد * قال الشافعي فيما تكلم به على خبر ابن عباس لم يسم ابن عباس ما كان نذر ام سعد فاحتمل ان يكون نذر حج او عمرة او صدقة فامره بقضائه عنها فاما من نذر صلوة او صياما ثم مات فانه يكفر عنه في الصوم ولا يصام عنه ولا يصلى عنه ولا يكفر عنه في الصلوة ثم قال * فان قيل * فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم امر احدا ان يصوم عن احد * قيل نعم * روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم * فان قيل * فلم لا تاخذ به * قيل * حديث الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه و سلم نذرا ولم يسمه مع حفظ الزهري وطول مجالسة عبيد الله لابن عباس فلما جاء غيره عن رجل عن ابن عباس يعني ما في حديث عبيد الله اشبه ان لا يكون محفوظا * فان قيل * فتعرف الرجل الذي جاء بهذا الحديث فغلط عن ابن عباس * قيل * نعم روى اصحاب ابن عباس عن ابن عباس انه قال لابن الزبير ان الزبير حل من متعة الحج فروى هذا عن ابن عباس انها متعة النساء و هذا غلط فاحش

 فهذا

فهذا الجواب عن فعل الصوم واما فعل الحج فانما يصل منه ثواب الانفاق واما افعال المناسك فهي كافعال الصلوة انما تقع عن فاعلها*

قال اصحاب الوصول ليس في شيء مما ذكرتم مايعارض ادلة الكتاب والسنة واتفاق سلف الامة ومقتضى قواعد الشرع ونحن نجيب عن كل ماذكرتموه بالعدل والانصاف* اما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ماسعى* فقد اختلفت طرق الناس في المراد بالآية* فقالت طائفة* المراد بالانسان ههنا الكافر واما المؤمن فله ماسعى وما سعي له بالادلة التي ذكرناها قالوا وغاية مافي هذا التخصيص وهو جائز اذا دل عليه الدليل وهذا الجواب ضعيف جدا ومثل هذا العام لا يراد به الكافر وحده بل هو للمسلم والكافر وهو كالعام الذي قبله وهو قوله تعالى ان لا تزر وازرة وزر اخرى* والسياق كله من اوله الى آخره كالصريح في ارادة العموم لقوله تعالى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى* وهذا يعم الشر والخير قطعا ويتنا ول البر والفاجر والمؤمن والكافر كقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره* ولقوله في الحديث الالهي ياعبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الانفسه وهو كقوله تعالى ياايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه* ولا تغتر بقول كثير من المفسرين في لفظ الانسان في القرآن الانسان ههنا ابو جهل والانسان ههنا عقبة بن ابي معيط والانسان ههنا الوليد بن

المغيرة فالقرآن اجل من ذلك بل الانسان هو الانسان من حيث هو من غير اختصاص بواحد بعينه كقوله تعالى ان الانسان لفي خسر * وان الانسان لربه لكنود * وان الانسان خلق هلوعا * وان الانسان ليطغى ان راه استغنى * وان الانسان لظلوم كفار * وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا * فهذا شان الانسان من حيث ذاته ونفسه وخروجه عن هذه الصفات بفضل ربه وتوفيقه له ومنته عليه لا من ذاته فليس له من ذاته الا هذه الصفات وما به من نعمة فمن الله وحده فهو الذى حبب الى عبده الايمان وزينه في قلبه وكره اليه الكفر والفسوق والعصيان وهو الذى كتب فى قلبه الايمان وهو الذى يثبت انبياءه ورسله واولياءه على دينه وهو الذى يصرف عنهم السوء والفحشاء وكان يرتجز بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

وقد قال تعالى وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله * وقال تعالى وما يذكرون الا ان يشاء الله * وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين * فهو رب جميع العالم ربوبيته شاملة لجميع ما فى العالم من ذوات وافعال واحوال * وقالت طائفة الاية اخبار شرع من قبلنا وقد دل شرعنا على انه له ما سعى وما سعي له وهذا ايضا اضعف من الاول او من جنسه فان الله سبحانه اخبر بذلك اخبار مقرر له محتج به لا اخبار مبطل له ولهذا قال ام لم ينبأ بما فى صحف موسى * فلو كان هذا باطلا في هذه الشريعة لم يخبر به اخبار مقرر له محتج به * وقالت طائفة اللام بمعنى على اى وليس على

الانسان الا ما سعى وهذا ابطل من القولين الاولين فانه قلب موضوع الكلام الى ضد معناه المفهوم منه ولا يسوغ مثل هذا ولا تحتمله اللغة واما نحو ولهم اللعنة فهي على بابها اي نصيبهم وحظهم واما ان العرب تعرف في لغاتها الى درهم بمعنى علي درهم فكلا وقالت طائفة في الكلام حذف تقديره وان ليس للانسان الا ما سعى او سعي له وهذا ايضا من النمط الاول فانه حذف ما لا يدل السياق عليه بوجه وقول على الله وكتابه بلا علم * وقالت طائفة اخرى * الاية منسوخة بقوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم * وهذا منقول عن ابن عباس وهذا ضعيف ايضا ولا يرفع حكم الاية بمجرد قول ابن عباس ولا غيره انها منسوخة والجمع بين الايتين غير متعذر ولا ممتنع فان الابناء تبعوا الاباء في الاخرة كما كانوا تبعا لهم في الدنيا وهذه التبعية هي من كرامة الاباء وثوابهم الذي نالوه بسعيهم واما كون الابناء لحقوا بهم في الدرجة بلا سعي منهم فهذا ليس هو لهم وانما هو للاباء اقر الله اعينهم بالحاق ذريتهم بهم في الجنة وتفضل على الابناء بشيء لم يكن لهم كما تفضل بذلك على الولدان والحور العين والخلق الذين ينشئهم للجنة بغير اعمال والقوم الذين يدخلهم الجنة بلا خير قدموه ولا عمل عملوه فقوله تعالى ان لا تزر وازرة وزر اخرى * وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى ايتان محكمتان يقتضيها عدل الرب تعالى وحكمته وكماله المقدس والعقل والفطرة شاهدان

بها فالاولى تقتضى انه لايعاقب بجرم غيره والثانية تقتضي انه لا يفلح
الا بعمله وسعيه فالاولى تؤمن العبد من اخذه بجريرة غيره كما يفعله
ملوك الدنيا والثانية تقطع طمعه من نجاته بعمل ابائه وسلفه ومشائخه
كما عليه اصحاب الطمع الكاذب فتامل حسن اجتماع هاتين الايتين
ونظيره قوله تعالى من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل
عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
فحكم سبحانه لعباده باربعة احكام هي غاية العدل والحكمة *احدها* ان
هدى العبد بالايمان والعمل الصالح لنفسه لا لغيره *الثانى* ان ضلاله
بفوات ذلك وتخلفه عنه على نفسه لا على غيره *الثالث* ان احدا لا يواخذ
بجريرة غيره *الرابع* انه لا يعذب احدا الا بعد اقامة الحجة عليه برسله
فتامل ما فى ضمن هذه الاحكام الاربعة من حكمته تعالى وعدله وفضله
والرد على اهل الغرور والاطماع الكاذبة وعلى اهل الجهل بالله واسمائه
وصفاته *وقالت طائفة اخرى* المراد بالانسان ههنا الحى دون الميت
وهذا ايضا من النمط الاول في الفساد وهذا كله من سوء التصرف
فى اللفظ العام وصاحب هذا التصرف لا ينفذ تصرفه فى دلالات
الالفاظ وحملها على خلاف موضوعها وما يتبادر الى الذهن منها وهو
تصرف فاسد قطعا يبطله السياق والاعتبار وقواعد الشرع وادلته
وعرفه وسبب هذا التصرف السيء ان صاحبه يعتقد قولا ثم يرد كلما دل
على خلافه باي طريق اتفقت له فالادلة المخالفة لما اعتقده عنده من باب

الصائل لا يبالي باي شيء دفعه وادلة الحق لا تتعارض ولا تتناقض بل يصدق بعضها بعضا* وقالت طائفة اخرى* وهو جواب ابي الوفاء بن عقيل قال الجواب الجيد عندي ان يقال الانسان بسعيه وحسن عشرته اكتسب الاصدقاء واولد الاولاد ونكح الازواج واسدى الخير وتودد الى الناس فترحموا عليه واهدوا له العبادات وكان ذلك اثر سعيه كما قال صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه* ويدل عليه قوله في الحديث الاخر اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع به من بعده وصدقة جارية عليه او ولد صالح يدعو له ومن هنا قال الشافعي اذا بذل له ولده طاقة الحج كان ذلك سببا لوجوب الحج عليه حتى كانه في ماله زاد وراحلة بخلاف بذل الاجنبي وهذا جواب متوسط يحتاج الى تمام فان العبد بايمانه وطاعته لله ورسوله قد سعى في انتفاعه بعمل اخوانه المؤمنين مع عمله كما ينتفع بعملهم في الحيوة مع عمله فان المؤمنين ينتفع بعضهم بعمل بعض في الاعمال التي يشتركون فيها كالصلوة في جماعة فان كل واحد منهم تضاعف صلاته الى سبعة وعشرين ضعفا لمشاركة غيره له في الصلوة فعمل غيره كان سببا لزيادة اجره كما ان عمله سبب لزيادة اجر الاخر بل قد قيل ان الصلوة يضاعف ثوابها بعدد المصلين وكذلك اشتراكهم في الجهاد والحج والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على البر والتقوى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه

بعضاً وشبك بين اصابعه ومعلوم ان هذا بامور الدين اولى منه بامور الدنيا فدخول المسلم مع جملة المسلمين في عقد الاسلام من اعظم الاسباب في وصول نفع كل من المسلمين الى صاحبه فى حياته وبعد مماته ودعوة المسلمين تحيط من ورائهم وقد اخبر الله سبحانه عن حملة العرش ومن حوله انهم يستغفرون للمؤمنين ويدعون لهم واخبر عن دعاء رسله واستغفارهم للمؤمنين كنوح وابراهيم ومحمد صلى الله عليه وعليهم وسلم فالعبد بايمانه قد تسبب الى وصول هذا الدعاء اليه فكانه من سعيه يوضحه ان الله سبحانه جعل الاعادة سببا لانتفاع صاحبه بدعاء اخوانه من المؤمنين وسعيهم فاذا اتى به فقد سعى في السبب الذى يوصل اليه ذلك وقد دل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاص ان اباك لوكان اقر بالتوحيد نفعه ذلك يعنى العتق الذى فعل عنه بعد موته فلو اتى بالسبب لكان قد سعى في عمل يوصل اليه ثواب العتق وهذه طريقة لطيفة حسنة جداً *وقالت طائفة اخرى* القران لم ينف انتفاع الرجل بسعى غيره وانما نفى ملكه لغير سعيه وبين الامرين من الفرق مالا يخفى فاخبر تعالى انه لايملك الاسعيه واما سعي غيره فهو ملك لساعيه فان شاء ان يبذله لغيره وان شاء ان يبقيه لنفسه وهو سبحانه لم يقل لاينتفع الا بما سعى وكان شيخنا يختار هذه الطريقة ويرجحها*

وكذلك

﴿ فصل ﴾

وكذلك قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت * وقوله ولا تجزون الا ما كنتم تعملون * على ان هذه الاية اصرح في الدلالة على ان سياقها انما ينفي عقوبة العبد بعمل غيره واخذه بجريرته فان الله سبحانه قال فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون * فنفى ان يظلم بان يزاد عليه في سيئاته او ينقص من حسناته او يعاقب بعمل غيره ولم ينف ان ينتفع بعمل غيره لا على وجه الجزاء فان انتفاعه بما يهدى اليه ليس جزاء على عمله وانما هو صدقة تصدق الله بها عليه وتفضل بها عليه من غير سعي منه بل وهبه ذلك على يد بعض عباده لا على وجه الجزاء *

﴿ فصل ﴾

واما استدلالكم بقوله صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد * انقطع عمله فاستدلال ساقط فانه صلى الله عليه وسلم لم يقل انقطع انتفاعه وانما اخبر عن انقطاع عمله واما عمل غيره فهو لعامله فان وهبه له فقد وصل اليه ثواب عمل العامل لا ثواب عمله هو فالمنقطع شيء والواصل اليه شيء آخر وكذلك الحديث الاخر وهو قوله ان مما يلحق الميت من حسناته وعمله * فلا ينفي ان يلحقه غير ذلك من عمل غيره وحسناته *

﴿ فصل ﴾

واما قولكم الاهداء حوالة والحوالة انما تكون بحق لازم * فهذه حوالة المخلوق على المخلوق واما حوالة المخلوق على الخالق فامر آخر لا يصح

قياسها على حوالة العبيد بعضهم على بعض وهل هذا الا من ابطل القياس وافسده والذى يبطله اجماع الامة على انتفاعه باداء دينه وماعليه من الحقوق وابراء المستحق لذمته والصدقة والحج عنه بالنص الذى لاسبيل الى رده ودفعه وكذلك الصوم وهذه الاقيسة الفاسدة لاتعارض نصوص الشرع وقواعده *

فصل

واما قولكم الايثار بسبب الثواب مكروه وهو مسئلة الايثار بالقرب فكيف الايثار بنفس الثواب الذى هو الغاية * فقد اجيب عنه باجوبة * احدها * ان حال الحياة حال لا يوثق فيها بسلامة العاقبة لجواز ان يرتد الحي فيكون قد اثر بالقربة غير اهلها وهذا قد امن بالموت * فان قيل * والمهدى اليه ايضا قد لايكون مات على الاسلام باطنا فلا ينتفع بما يهدى اليه وهذا سوال فى غاية البطلان فان الاهداء له من جنس الصلوة عليه والاستغفار له والدعاء له فان كان اهلا والا انتفع به الداعى وحده * الجواب الثاني * ان الايثار بالقرب يدل على قلة الرغبة فيها والتاخر عن فعلها فلو ساغ الايثار بها لافضى الى التقاعد والتكاسل والتاخر بخلاف اهداء ثوابها فان العامل يحرص عليها لاجل ثوابها لينتفع به او ينفع به اخاه المسلم فبينهما فرق ظاهر * الجواب الثالث * ان الله سبحانه يحب المبادرة والمسارعة الى خدمته والتنافس فيها فان ذلك ابلغ فى العبودية فان الملوك تحب المسارعة والمنافسة فى طاعتها

وخد متهافالايثار بذلك مناف لمقصود العبودية فان الله سبحانه امر عبده بهذه القربة اماايجاباواما استحبابافاذا اثر بهاترك ما امره وولاه غيره بخلاف مااذا افعل ماامر به طاعة وقربة ثم ارسل ثوابه الى اخيه المسلم وقد قال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض* وقال فاستبقوا الخيرات* ومعلوم ان الايثار بهاينافى الاستباق اليهاو المسارعة وقد كان الصحابة يسابق بعضهم بعضا بالقرب ولا يؤثر الرجل منهم غيره بها قال عمر والله ماسابقنى ابوبكر الى خيرالاسبقنى اليه حتى قال والله لا اسابقك الى خيرابدا *و قدقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون* يقال نافست فى الشئ منافسة ونفاسا اذا رغبت فيه على وجه المباراة ومن هذا قولهم شئ نفيس اي هو اهل ان يتنافس فيه ويرغب فيه وهذا انفس مالى اى احبه الي وانفسنى فلان فى كذا اى ارغبنى فيه وهذا كله ضد الايثار به والرغبة عنه *

فصل

واماقولكم لوساغ الاهداء الى الميت لساغ الى الحي *فجوابه من وجهين *احدهما *انه قد ذهب الى ذلك بعض الفقهاء من اصحاب احمد وغيرهم قال القاضي وكلام احمد لايقتضى التخصيص بالميت فانه قال يفعل الخير ويجعل نصفه لابيه وامه ولم يفرق واعترض عليه ابوالوفاء بن عقيل وقال هذا فيه بعد وهو تلاعب بالشرع وتصرف فى امانة الله

واسبحال على الله سبحانه بثواب على عمل يفعله الى غيره و بعد الموت قد
جعل لنا طريقا الى ايصال النفع كالاستغفار و الصلوة على الميت * ثم اورد
على نفسه سوالا وهو * فان قيل * اليس قضاء الدين وتحمل الكل حال
الحياة كقضائه بعد الموت فقد استوى ضمان الحياة وضمان الموت في انهما
يزيلان المطالبة عنه فاذا وصل قضاء الديون بعد الموت وحال الحياة
فاجعلوا ثواب الاهداء واصلا حال الحياة و بعد الموت * واجاب * عنه
بانه لو صح هذا وجب ان تكون الذنوب تكفر عن الحي بتوبة غيره عنه
و يندفع عنه ماثم الاخرة بعمل غيره واستغفاره * قلت * وهذا لا يلزم
بل طرد ذلك انتفاع الحي بدعاء غيره له واستغفاره له و تصدقه عنه
و قضاء ديونه و هذا حق وقد اذن النبي صلى الله عليه و سلم في اداء
فريضة الحج عن الحي المعضوب والعاجز و هما حيان و قد اجاب غيره
من الاصحاب بان حال الحياة لا تثق بسلامة العاقبة خوفا ان يرتد
المهدى له فلا ينتفع بما يهدى اليه * قال ابن عقيل وهذا عذر باطل
باهداء الحي فانه لا يومن ان يرتد و يموت فيحبط عمله كله ومن
جملته ثواب ما اهدى الى الميت * قلت * هذا الايلزمهم و موارد النص
والاجماع تبطله و ترده فان النبي صلى الله عليه وسلم اذن في الحج
والصوم عن الميت واجمع الناس على براءة ذمته من الدين اذا قضاه
عنه الحي مع وجود ما ذكر من الاحتمال * والجواب * ان يقال ما اهداه
من اعمال البر الى الميت فقد صار ملكا له فلا يبطل بردة فاعله بعد

خروجه عن ملكه كتصرفاته التي تصرفها قبل الردة من عتق وكفارة بل لو حج عن معضوب ثم ارتد بعد ذلك لم يلزم المعضوب ان يقيم غيره يحج عنه فانه لا يومن في الثاني والثالث ذلك على ان الفرق بين الحي والميت ان الحي ليس بمحتاج كحاجة الميت اذ يمكنه ان يباشر ذلك العمل او نظيره فعليه اكتساب الثواب بنفسه وسعيه بخلاف الميت وايضا فانه يفضي الى اتكال بعض الاحياء على بعض وهذه مفسدة كبيرة فان ارباب الاموال اذا فهموا ذلك واستشعروه استاجروا من يفعل ذلك عنهم فتصير الطاعات معاوضات وذلك يفضي الى اسقاط العبادات والنوافل ويصير ما يتقرب به الى الله يتقرب به الى الادميين فيخرج عن الاخلاص فلا يحصل الثواب لواحد منهما ونحن نمنع من اخذ الاجرة على كل قربة ونحبطها باخذ الاجر عليها كالقضاء والفتيا وتعليم العلم والصلوة وقراءة القران وغيرها فلا يثيب الله عليها الا المخلص اخلص العمل لوجهه فاذا فعله للاجرة لم يثب عليه الفاعل ولا المستاجر فلا يليق بمحاسن الشرع ان يجعل العبادات الخالصة له معاملات تقصد بها المعاوضات والاكساب الدنيوية وفارق قضاء الديون وضمانها فانها حقوق الادميين ينوب بعضهم فيها عن بعض فلذلك جازت في الحيوة وبعد الموت *

فصل

واما قولكم لو ساغ ذلك لساغ اهداء نصف الثواب وربعه الى الميت

* فالجواب من وجهين * احدهما * منع الملازمة فانكم لم تذكروا عليها دليلا الا مجرد الدعوى * الثاني * التزام ذلك والقول به نص عليه الامام احمد في رواية محمد بن يحيي الكحال ووجه هذا ان الثواب ملك له فله ان يهديه جميعه وله ان يهدي بعضه يوضحه انه لو اهداه الى اربعة مثلا يحصل لكل منهم ربعه فاذا اهدى الربع وابقى لنفسه الباقي جاز كما لو اهداه الى غيره *

فصل

واما قولكم لو ساغ ذلك لساغ اهداؤه بعد ان يعمله لنفسه وقد قلتم انه لا بد ان ينوي حال الفعل اهداءه الى الميت والا لم يصل * فالجواب * ان هذه المسئلة غير منصوصة عن احمد ولا هذا الشرط في كلام المتقدمين من اصحابه وانما ذكره المتأخرون كالقاضي واتباعه قال ابن عقيل اذا فعل طاعة من صلوة وصيام وقراءة قران واهداها بان جعل ثوابها للميت المسلم فانه يصل اليه ذلك وينفعه بشرط ان يتقدم نية الهدية على الطاعة او تقارنها وقال ابو عبد الله بن حمدان في رعايته ومن تطوع بقربة من صدقة وصلوة وصيام وحج وعمرة وقراءة وعتق وغير ذلك من عبادة بدنية تدخلها النيابة او عبادة مالية وجعل ثوابها او بعضه لميت مسلم حتى النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له او استغفر له او قضى ما عليه من حق شرعي او واجب تدخله النيابة نفعه ذلك ووصل اليه اجره وقيل ان نواه حال فعله او قبله وصل اليه والا فلا

و سر المسئلة ان او ان شرط حصول الثواب ان يقع لمن اهدى له اولا و يجوز ان يقع للعامل ثم ينتقل عنه الى غيره فمن شرط ان ينوى قبل الفعل او الفراغ منه وصوله قال لو لم ينوه وقع الثواب للعامل فلا يقبل انتقاله عنه الى غيره فان الثواب يترتب على العمل ترتب الاثر على مؤثره ولهذا لو اعتق عبدا عن نفسه كان ولاؤه له فلو نقل ولاءه الى غيره بعد العتق لم ينتقل بخلاف ما لو اعتقه عن الغير فان ولاءه يكون للمعتق عنه وكذلك لو ادى دينا عن نفسه ثم اراد بعد الاداء ان يجعله عن غيره لم يكن له ذلك وكذلك لو حج او صام او صلى لنفسه ثم بعد ذلك اراد ان يجعل ذلك عن غيره لم يملك ذلك ويؤيد هذا ان الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك لم يسألوه عن اهداء ثواب العمل بعده وانما سألوه عما يفعلونه عن الميت كما قال سعد اينفعها ان اتصدق عنها ولم يقل ان اهدى لها ثواب ما تصدقت به عن نفسي وكذلك قول المرأة الاخرى افاحج عنها وقول الرجل الاخر افاحج عن ابي فاجابهم بالاذن في الفعل عن الميت لا باهداء ثواب ما عملوه لانفسهم الى موتاهم فهذا لا يعرف انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه قط ولا يعرف عن احد من الصحابة انه فعله وقال اللهم اجعل لفلان ثواب عملي المتقدم او ثواب ما عملته لنفسي فهذا سر الاشتراط وهو افقه ومن لم يشترط ذلك يقول الثواب للعامل فاذا تبرع به واهداه الى غيره كان بمنزلة ما يهديه اليه من ماله *

فصل

واماقولكم لوساغ الاهداء لساغ اهداء ثواب الواجبات التي تجب على الحي * فالجواب * ان هذا الالزام محال على اصل من شرط في الوصول نية الفعل عن الميت فان الواجب لايصح ان يفعله عن الغير فان هذا واجب على الفاعل يجب عليه ان ينوي به القربة الى الله واما من لم يشترط نية الفعل عن الغير فهل يسوغ عنده ان يجعل للميت ثواب فرض من فروضه فيه وجهان قال ابو عبد الله بن حمدان وقيل ان جعل له ثواب فرض من صلوة او صوم او غيرهما جاز واجزأ فاعله *قلت* وقد نقل عن جماعة انهم جعلوا ثواب اعمالهم من فرض ونفل للمسلمين وقالوا نلقى الله بالفقر والافلاس المجرد والشريعة لا تمنع من ذلك فالاجر ملك العامل فان شاء ان يجعله لغيره فلا حجر عليه في ذلك والله اعلم *

فصل

واما قولكم ان التكاليف امتحان وابتلاء لاتقبل البدل اذ المقصود منها عين المكلف العامل الى اخره * فالجواب * عنه ان ذلك لايمنع اذن الشارع للمسلم ان ينفع اخاه بشيء من عمله بل هذا من تمام احسان الرب ورحمته لعباده ومن كمال هذه الشريعة التي شرعها لهم التي مبناها على العدل والاحسان والتعارف والرب تعالى اقام ملائكته وحملة عرشه يدعون لعباده المؤمنين ويستغفرون لهم ويسألونه لهم

ان

ان يقيهم السيئات و امر خاتم رسله ان يستغفر للمؤمنين و المؤمنات
ويقيمه يوم القيامة مقاما محمودا ليشفع في العصاة من اتباعه و اهل
سنته و قد امره تعالى ان يصلي على اصحابه في حياتهم و بعد مماتهم وكان
يقوم على قبورهم فيدعو لهم و قد استقرت الشريعة على ان المأثم الذي
على الجميع بترك فروض الكفايات تسقط اذا فعله من يحصل المقصود
بفعله و لو واحد و اسقط سبحانه الارتهان و حرارة الجلود في القبر
بضمان الحي دين الميت و ادائه عنه و ان كان ذلك الوجوب امتحانا في
حق المكلف و اذن النبي صلى الله عليه و سلم في الحج والصيام عن الميت
و ان كان الوجوب امتحانا في حقه واسقط عن المأموم سجود السهو بصحة
صلوة الامام وخلوها من السهو و قراءة الفاتحة بتحمل الامام لها فهو يتحمل
عن المأموم سهوه و قراءته و سترته فقراءة الامام و سترته قراءة لمن
خلفه و سترة له و هل الاحسان الى المكلف باهداء الثواب اليه الا تأسيا
باحسان الرب تعالى و الله يحب المحسنين و الخلق عيال الله فاحبهم اليه
انفعهم لعياله و اذ كان سبحانه يحب من ينفع عياله بشربة ماء و مذقة
لبن و كسرة خبز فكيف من ينفعهم في حال ضعفهم و فقرهم و انقطاع
اعمالهم و حاجتهم الى شيء يهدى اليهم احوج ما كانوا اليه فاحب الخلق
الى الله من ينفع عياله في هذه الحال ولهذا جاء اثر عن بعض السلف
انه من قال كل يوم سبعين مرة رب اغفر لي و لوالدي و للمسلمين
و المسلمات و المؤمنين و المؤمنات حصل له من الاجر بعدد كل مسلم

لمسلمة ومؤمن مؤمنة ولا تستبعد هذا فانه اذا استغفر لاخوانه فقصد احسن اليهم والله لا يضيع اجر المحسنين

فصل

واما قولكم انه لو نفعه عمل غيره لنفعه توبته عنه واسلامه عنه فهذه الشبهة تورد على صورتين صورة تلازم يدعى فيها اللزوم بين الامرين ثم يبين انتفاء اللازم فينتفي ملزومه وصورتها هكذا لو نفعه عمل الغير عنه لنفعه اسلامه وتوبته عنه لكن لا ينفعه ذلك فلا ينفعه عمل الغير والصورة الثانية ان يقال لا ينتفع باسلام الغير وتوبته عنه فلا ينتفع بصلاته وصيامه وقراءته عنه ومعلوم ان هذا التلازم والاقران باطل قطعا اما اولا فلانه قياس مصادم لما تظاهرت به النصوص واجتمعت عليه الامة واما ثانيا فلانه جمع بين ما فرق الله بينه فان الله سبحانه فرق بين اسلام المرء عن غيره وبين صدقته وحجته وعتقه عنه فالقياس المسوى بينهما من جنس قياس الذين قاسوا الميتة على المذكى والربا على البيع واما ثالثا فان الله سبحانه جعل الاسلام سببا لنفع المسلمين بعضهم بعضا في الحيوة وبعد الموت فاذا لم يأت بسبب انتفاعه بعمل المسلمين لم يحصل له ذلك النفع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو ان اباك لو كان اقر بالتوحيد فصمت او تصدقت عنه نفعه ذلك وهذا كما جعل سبحانه الاسلام سببا لانتفاع العبد بما عمل من خير فاذا فاته هذا السبب لم ينفعه خير عمله ولم يقبل منه كما جعل الاخلاص

والمتابعة سببا لقبول الاعمال فاذا فقد لم تقبل الاعمال وكما جعل الوضوء وسائر شروط الصلوة سببا لصحتها فاذا فقدت فقدت الصحة وهذا شان سائر الاسباب مع مسبباتها الشرعية والعقلية والحسية فمن سوى بين حالين وجود السبب وعدمه فهو مبطل ونظير هذا الهوس ان يقال لو قبلت الشفاعة في العصاة لقبلت في المشركين ولو خرج اهل الكبائر من الموحدين من النار لخرج الكفار منها وامثال ذلك من الاقيسة التي هي من نجاسات معدد اصحابها ورجيع افواههم وبالجملة فالاولى باهل العلم الاعراض عن الاشتغال بدفع هذه الهذيانات لولا انهم قد سودوا بها صحف الاعمال والصحف التي بين الناس *

فصل

واما قولكم العبادات نوعان * نوع * تدخله النيابة فيصل ثواب اهدائه الى الميت * ونوع * لا تدخله فلا يصل ثوابه * فهذا هو نفس المذهب والدعوى فكيف تحتجون به ومن اين لكم هذا الفرق فاي كتاب ام اي سنة ام اي اعتبار دل عليه حتى يجب المصير اليه وقد شرع النبي صلى الله عليه وسلم الصوم عن الميت مع ان الصوم لا تدخله النيابة وشرع للامة ان ينوب بعضهم عن بعض في اداء فرض الكفاية فاذا فعله واحد ناب عن الباقين في فعله وسقط عنهم المأثم وشرع لقيم الطفل الذي لا يعقل ان ينوب عنه في الاحرام وافعال المناسك وحكم له بالاجر بفعل نائبه وقد قال ابو حنيفة يحرم الرفقة عن المغمى عليه فعلوا احرام رفقته بمنزلة احرامه

وجعل الشارع اسلام الابوين بمنزلة اسلام اطفالهما وكذلك اسلام السابي والمالك على القول المنصوص فقد رأيت كيف عدت هذه الشريعة الكاملة افعال البر من فاعلها الى غيرهم فكيف يليق بها ان تحجر على العبد ان ينفع والديه ورحمه واخوانه من المسلمين في اعظم اوقات حاجاتهم بشيء من الخير والبر يفعله ويجعل ثوابه لهم وكيف يتحجر العبد واسعا او يحجر على من لم يحجر عليه الشارع في ثواب عمله ان يصرف منه ماشاء الى من شاء من المسلمين والذي اوصل ثواب الحج والصدقة والعتق هو بعينه الذي يوصل ثواب الصيام والصلوة والقراءة والاعتكاف وهو اسلام المهدى اليه وتبرع المهدي واحسانه وعدم حجر الشارع عليه في الاحسان بل ندبه الى الاحسان بكل طريق وقد تواطأت رؤيا المؤمنين وتواترت اعظم تواتر على اخبار الاموات لهم بوصول مايهدونه اليهم من قراءة وصلوة وصدقة وحج وغيره ولو ذكرنا ماحكي لنا من اهل عصرنا وما بلغنا عن من قبلنا من ذلك اطال جدا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ارى رؤياكم قد تواطأت على انها في العشر الاواخر كما عنه صلى الله عليه وسلم (١) تواطؤ رؤيا المومنين وهذا كما يعتبر تواطؤ روايتهم كما شاهدوه فهم لا يكذبون في روايتهم ولا في رؤياهم اذا تواطأت ۞

﴿ فصل ﴾

واما رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله من مات وعليه

(١) هكذا في الاصول ولعله — فثبت عنه صلى الله عليه وسلم اعتبار تواطئ رؤيا المؤمنين — الحسن بن احمد غفر الله لهما صيام

صيام صام عنه وليه * بتلك الوجوه التي ذكرتموها فنحن ننتصر لحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبين موافقته للصحيح من تلك الوجوه
واما الباطل فيكفينا بطلانه من معارضته للحديث الصحيح الصريح الذى
لا تغمز قناته ولا سبيل الى مقابلته الا بالسمع والطاعة والاذعان والقبول
وليس لنا بعده الخيرة بل الخيرة كل الخيرة في التسليم له والقول به
ولو خالفه من بين المشرق والمغرب * فاما قولكم نرده بقول مالك
في موطائه لا يصوم احد عن احد * فمنازعوكم يقولون بل نرد قول مالك
هذا بقول النبى صلى الله عليه وسلم فاي الفريقين احق بالصواب واحسن
ردا * واما قوله وهو امر مجمع عليه عندنا لا خلاف فيه * فمالك رحمه الله
لم يحك اجماع الامة من شرق الارض وغربها وانما حكى قول اهل
المدينة فيما بلغه ولم يبلغه خلاف بينهم وعدم اطلاعه رحمه الله على
الخلاف في ذلك لا يكون مسقطا لحديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم بل لو اجمع عليه اهل المدينة كلهم لكان الاخذ بالحديث المعصوم
اولى من الاخذ بقول اهل المدينة الذين لم تضمن لنا العصمة في قولهم
دون الامة ولم يجعل الله ورسوله اقوالهم حجة يجب الرد عند
التنازع اليها بل قال الله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا * وان
كان مالك واهل المدينة قد قالوا لا يصوم احد عن احد فقد روي
الحكم بن عتيبة وسلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه

اولى فى قضاء رمضان يطعم عنه وفي النذر يصام عنه * وهذا مذهب الامام احمد وكثير من اهل الحديث وهو قول ابى عبيد وقال ابو ثور يصام عنه النذر وغيره وقال الحسن بن صالح في النذر يصوم عنه وليه *

فصل

واما قولكم ابن عباس هو روى حديث الصوم عن الميت وقد قال لا يصوم احد عن احد * فغاية هذا ان يكون الصحابي قد افتى بخلاف ما رواه وهذا لا يقدح في روايته فان روايته معصومة وفتواه غير معصومة ويجوز ان يكون نسي الحديث او تاوله او اعتقد له معارضا راجحا في ظنه او لغير ذلك من الاسباب على ان فتوى ابن عباس غير معارضة للحديث فانه افتى فى رمضان انه لا يصوم احد عن احد وافتى فى النذر انه يصام عنه * وليس هذا بمخالف لروايته بل حمل الحديث على النذر ثم ان حديث من مات وعليه صيام صام عنه وليه * هو ثابت من رواية عائشة فهب ان ابن عباس خالفه فكان ماذا فخلاف ابن عباس لا يقدح فى رواية ام المؤمنين بل رد قول ابن عباس برواية عائشة اولى من رد روايتها بقوله وايضا فابن عباس قد اختلف عنه في ذلك وعنه روايتان فليس اسقاط الحديث للرواية المخالفة له عنه اولى من اسقاطها بالرواية الاخرى بالحديث *

فصل

واما قولكم انه حديث اختلف في اسناده * فكلام مجازف لا يقبل قوله

فى الحديث

فالحديث صحيح ثابت متفق على صحته رواه صاحبا الصحيح ولم يختلف في اسناده * قال ابن عبد البر ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات وعليه صيام صام عنه وليه * وصححه الامام احمد وذهب اليه وعلق الشافعي القول به على صحته فقال وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصوم عن الميت شيء فان كان ثابتا صيم عنه كما يحج عنه وقد ثبت بلا شك فهو مذهب الشافعي كذلك قال غير واحد من ائمة اصحابه قال البيهقي بعد حكايته هذا اللفظ عن الشافعي قد ثبت جواز القضاء عن الميت برواية سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعكرمة عن ابن عباس وفي رواية اكثرهم ان امرأة سألت فاشبه ان تكون غير قصة ام سعد وفي رواية بعضهم صومي عن امك * وسياتي تقرير ذلك عند الجواب عن كلام مر رحمه الله * وقولكم انه معارض بنص القرآن وهو قوله وان ليس للانسان الا ما سعى * اساءة ادب في اللفظ وخطأ عظيم في المعنى وقد اعاذ الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعارض سنته لنصوص القرآن بل تعاضدها وتؤيدها والله ما يصنع التعصب ونصرة التقليد وقد تقدم من الكلام على الاية ما فيه كفاية وبينا انها لا تعارض بينها وبين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه وانما يظن التعارض من سوء الفهم وهذه طريقة وخيمة ذميمة وهي رد السنن الثابتة بما يفهم من ظاهر القران والعلم كل العلم تنزيل السنن على القرآن فانها مشتقة منه وماخوذة عن من جاء به وهي بيان له لا انها مناقضة له * وقولكم انه معارض

بما رواه النسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يصلي احد عن
احد ولا يصوم احد عن احد ولكن يطعم عنه كل يوم مد من حنطة*
فخطأ قبيح فان النسائي رواه هكذا اخبرنا محمد بن عبد الاعلى ثنا يزيد بن
زريع ثنا حجاج الاحوال ثنا ايوب بن موسى عن عطاء بن ابي رباح
عن ابن عباس قال لا يصلي احد عن احد ولا يصوم احد عن احد ولكن
يطعم عنه مكان كل يوم مد من حنطة* هكذا رواه قول ابن عباس لا
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يعارض قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقول ابن عباس ثم يقدم عليه مع ثبوت الخلاف
عن ابن عباس ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل هذا الكلام قط
وكيف يقوله وقد ثبت عنه في الصحيحين انه قال من مات وعليه صيام
صام عنه وليه* فكيف يقوله وقد قال في حديث بريدة الذي رواه
مسلم في صحيحه ان امرأة قالت له ان امي ماتت وعليها صوم شهر قال
صومي عن امك* واما قولكم انه معارض بحديث ابن عمر من مات
وعليه صوم رمضان يطعم عنه* فمن هذا النمط فانه حديث باطل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البيهقي حديث محمد بن
عبد الرحمن بن ابي ليلى عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم من مات وعليه صوم رمضان يطعم عنه لا يصح* محمد بن
عبد الرحمن كثير الوهم وانما رواه اصحاب نافع عن نافع عن ابن عمر
من قوله* واما قولكم انه معارض بالقياس الجلي على الصلوة

والاسلام

والاسلام والتوبة فان احدا لا يفعلها عن احد فلعمر الله انه لقياس جلي البطلان والفساد لرد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة الصريحة له وشهادتها ببطلانه وقد اوضحنا الفرق بين قبول الاسلام عن الكافر بعد موته وبين انتفاع المسلم بما يهديه اليه اخوه المسلم من ثواب صيام او صدقة اوصلوة ولعمر الله ان الفرق بينهما اوضح من ان يخفى وهل في القياس افسد من قياس انتفاع المسلم بعد موته بما يهديه اليه اخوه المسلم من ثواب عمله على قبول الاسلام عن الكافر بعد موته او قبول التوبة عن المجرم بعد موته *

فصل

واما كلام الشافعي رحمه الله فى تغليط راوى حديث ابن عباس ان نذر ام سعد كان صوما *فقد اجاب عنه انصر الناس له وهو البيهقي ونحن نذكر كلامه بلفظه قال فى (كتاب المعرفة) بعد ان حكى كلامه قد ثبت جواز القضاء عن الميت برواية سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعكرمة عن ابن عباس وفى رواية اكثرهم ان امرأة سألت فاشبه ان تكون غير قصة ام سعد وفي رواية بعضهم صومي عن امك قال وتشهد له بالصحة رواية عبد الله بن عطاء المدني قال حدثنى عبد الله بن بريدة الاسلمى عن ابيه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فاتته امرأة فقالت يارسول الله انى كنت تصدقت بوليدة على امي فماتت وبقيت الوليدة قال قد وجب اجرك ورجعت اليك في الميراث قالت فانها

ماتت وعليها صوم شهر قال صومي عن امك قال وانها ماتت ولم تحج قال فحجي عن امك رواه مسلم في صحيحه من اوجه عن عبد الله بن عطاء انتهى * قلت * وقد روى ابو بكر بن ابى شيبة ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امى ماتت وعليه صيام شهر افاقضيه عنها فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو كان عليها دين اكنت قاضيه عنها قال نعم قال فدين الله احق ان يقضى * ورواه ابن خيثمة ثنا معاوية بن عمرو ثنا زائدة عن الاعمش فذكره ورواه النسائي عن قتيبة بن سعيد ثنا عنترة عن الاعمش فذكره فهذا غير حديث ام سعد اسنادا ومتنا فان قصة ام سعد رواها مالك عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس ان سعد بن عبادة استفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان امى ماتت وعليها نذر فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقضه عنها هكذا اخرجاه في الصحيحين فهب ان هذا هو المحفوظ في هذا الحديث انه نذر مطلق لم يسم فهل يكون هذا في حديث الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير على ان ترك استفصال النبى صلى الله عليه وسلم لسعد فى النذر هل كان صلوة او صدقة او صياما مع ان الناذر قد نذر هذا وهذا يدل على انه لا فرق بين قضاء نذر الصيام والصلوة والا لقال له ما هو النذر فان النذر اذا انقسم الى قسمين نذر يقبل القضاء عن الميت ونذر لا يقبله لم يكن بد من الاستفصال *

فصل

ونحن نذكر اقوال اهل العلم في الصوم عن الميت لئلا يتوهم ان في المسئلة اجماعا بخلافه قال عبد الله بن عباس يصام عنه في النذر و يطعم عنه في قضاء رمضان وهذا مذهب الامام احمد وقال ابو ثور يصام عنه النذر والفرض وكذلك قال داود بن علي واصحابه يصام عنه نذرا كان او فرضا وقال الاوزاعي يجعل وليه مكان الصوم صدقة فان لم يجد صام عنه وهذا قول سفيان الثوري في احدى الروايتين عنه وقال ابو عبيد القاسم بن سلام يصام عنه النذر ويطعم عنه في الفرض وقال الحسن اذا كان عليه صيام شهر فصام عنه ثلاثون رجلا يوما واحدا اجاز *

فصل

واما قولكم انه يصل اليه في الحج ثواب النفقة دون افعال المناسك * فدعوى مجردة بلا برهان والسنة تردها فان النبي صلى الله عليه وسلم قال حج عن ابيك * وقال للمرأة حجي عن امك * فاخبران الحج نفسه عن الميت ولم يقل ان الانفاق هو الذي يقع عنه وكذلك قال للذي سمعه يلبي عن شبرمة حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة * ولما سألته المرأة عن الطفل الذي معها فقالت الهذا حج قال نعم * ولم يقل انما له ثواب الانفاق بل اخبران له حجا مع انه لم يفعل شيئا بل وليه ينوب عنه في افعال المناسك ثم ان النائب عن الميت قد لا ينفق شيئا في حجته غير نفقة

مقامه فما الذي يجعل ثواب نفقة مقامه للمحجوج عنه وهو لم ينفقها على الحج بل تلك نفقته اقام ام سافر فهذا القول ترده السنة والقياس والله اعلم *

فصل هل يشترط في ايصال الثواب الاهداء باللفظ ام يكفي مجرد النية

فصل

* فان قيل * فهل تشترطون في وصول الثواب ان يهديه بلفظه ام يكفي في وصوله مجرد نية العامل ان يهديها الى الغير * قيل * السنة لم تشترط التلفظ بالاهداء في حديث واحد بل اطلق صلى الله عليه وسلم الفعل عن الغير كالصوم والحج والصدقة ولم يقل لفاعل ذلك قل اللهم هذا عن فلان ابن فلان والله سبحانه يعلم نية العبد وقصده بعمله فان ذكره جاز وان ترك ذكره واكتفى بالنية والقصد وصل اليه ولا يحتاج ان يقول اللهم اني صائم غدا عن فلان ابن فلان ولهذا والله اعلم اشترط من اشترط نية الفعل عن الغير قبله ليكون واقعا بالقصد عن الميت فاما اذا فعله لنفسه ثم نوى ان يجعل ثوابه للغير لم يصر للغير بمجرد النية كما لو نوى ان يهب او يعتق او يتصدق لم يحصل ذلك بمجرد النية ومما يوضح ذلك انه لو بنى مكانا بنية ان يجعله مسجدا او مدرسة او سقاية ونحو ذلك صار وقفا بفعله مع النية ولم يحتج الى تلفظ وكذلك لو اعطى الفقير مالا بنية الزكاة سقطت عنه الزكاة وان لم يتلفظ بها وكذلك لو ادى عن غيره دينا حيا كان او ميتا سقط من ذمته وان لم يقل هذا عن فلان * فان قيل * فهل يتعين عليه تعليق الاهداء بان يقول اللهم ان كنت قبلت هذا العمل واثبتني عليه فاجعل ثوابه لفلان ام لا * قيل *

هل يتعين في الاهداء التعليق بالقبول ام لا

لا يتعين ذلك لفظا ولا قصدا بل لا فائدة في هذا الشرط فان الله سبحانه انما يفعل هذا سواء شرطه او لم يشرطه فلو كان سبحانه يفعل غير هذا بدون الشرط كان في الشرط فائدة واما قوله اللهم ان كنت اثبتني على هذا فاجعل ثوابه لفلان فهو بناء على ان الثواب يقع للعامل ثم ينتقل منه الى من اهدى له وليس كذلك بل اذا نوى حال الفعل انه عن فلان وقع الثواب او لا عن المعمول له كما لو اعتق عبده عن غيره لا نقول ان الولاء يقع للمعتق ثم ينتقل عنه الى المعتق عنه فهكذا هذا وبالله التوفيق *فان قيل* فما الافضل انه يهدى الى الميت *قيل* الافضل ماكان انفع في نفسه فالعتق عنه والصدقة افضل من الصيام عنه وافضل الصدقة ماصادفت حاجة من المتصدق عليه وكانت دائمة مستمرة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة سقي الماء *وهذا في موضع يقل فيه الماء ويكثر فيه العطش والا فسقي الماء على الانهار والقني لا يكون افضل من اطعام الطعام عند الحاجة وكذلك الدعاء والاستغفار له اذا كان بصدق من الداعي واخلاص وتضرع فهو في موضعه افضل من الصدقة عنه كالصلاة على الجنازة والوقوف للدعاء على قبره وبالجملة فافضل مايهدى الى الميت العتق والصدقة والاستغفار له والدعاء له والحج عنه * واما قراءة القرآن * واهداؤها له تطوعا بغير اجرة فهذا يصل اليه كما يصل ثواب الصوم والحج *فان قيل* فهذا لم يكن معروفا في السلف ولا يمكن نقله عن واحد منهم مع شدة حرصهم

على الخير ولا ارشدهم النبي صلى الله عليه وسلم اليه وقد ارشدهم الى الدعاء والاستغفار والصدقة والحج والصيام فلو كان ثواب القراءة يصل لارشدهم اليه ولكانوا يفعلونه * فالجواب * ان مورد هذا السوال ان كان معترفا بوصول ثواب الحج والصيام والدعاء والاستغفار قيل له ماهذه الخاصية التي منعت وصول ثواب القرآن واقتضت وصول ثواب هذه الاعمال وهل هذا الا تفريق بين المتماثلات وان لم يعترف بوصول تلك الاشياء الى الميت فهو محجوج بالكتاب والسنة والاجماع وقواعد الشرع واما السبب الذى لاجله لم يظهر ذلك فى السلف فهو انهم لم يكن لهم اوقاف على من يقرء ويهدى الى الموتى ولا كانوا يعرفون ذلك البتة ولا كانوا يقصدون القبر للقراءة عنده (١) كما يفعله الناس اليوم ولا كان احدهم يشهد من حضره من الناس على ان ثواب هذه القراءة لفلان الميت بل ولا ثواب هذه الصدقة والصوم ثم يقال لهذا القائل لو كلفت ان تنقل عن واحد من السلف انه قال اللهم ثواب هذا الصوم لفلان لعجزت فان القوم كانوا احرص شئ على كتمان اعمال البر فلم يكونوا ليشهدوا على الله بايصال ثوابها الى امواتهم * فان قيل * فرسول الله صلى الله عليه وسلم ارشدهم الى الصوم والصدقة والحج دون القراءة * قيل * هو صلى الله عليه وسلم لم يبتدئهم بذلك بل خرج ذلك منه مخرج الجواب لهم فهذا سأله عن الحج عن ميته فاذن له وهذا ساله عن الصيام عنه فاذن له وهذا سأله عن الصدقة فاذن له ولم يمنعهم مما سوى ذلك واى فرق بين

(١) قلت قد مر في اول هذا الكتاب عن الشعبي قال كانت الانصار اذا مات لهم الميت اختلفوا الى قبره يقرؤن القرآن — الحسن بن احمد عفا الله عنهما

وصول ثواب الصوم الذى هو مجرد نية وامساك وبين وصول ثواب القراءة والذكر والقائل ان احدا من السلف لم يفعل ذلك قائل مالا علم له به فان هذه شهادة على نفى مالم يعلمه فمايدريه ان السلف كانوا يفعلون ذلك ولا يشهدون من حضرهم عليه بل يكفى اطلاع علام الغيوب على نياتهم ومقاصدهم لاسيما والتلفظ بنية الاهداء لا يشترط كما تقدم وسر المسئلة ان الثواب ملك للعامل فاذا تبرع به واهداه الى اخيه المسلم اوصله الله اليه فما الذي خص من هذا ثواب قراءة القران وحجر على العبد ان يوصله الى اخيه وهذا عمل الناس حتى المنكرين في سائر الاعصار والامصار من غير نكير من العلماء * فان قيل * فما تقولون فى الاهداء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم * قيل * من الفقهاء المتأخرين من استحبه ومنهم من لم يستحبه وراٰه بدعة فان الصحابة لم يكونوا يفعلونه وان النبى صلى الله عليه وسلم له اجر كل من عمل خيرا من امته من غير ان ينقص من اجر العامل شئ لانه هو الذى دل امته على كل خير وارشدهم ودعاهم اليه ومن دعا الى هدى فله من الاجر مثل اجور من تبعه من غير ان ينقص من اجورهم شئ وكل هدى وعلم فانما ناله امته على يده فله مثل اجر من اتبعه اهداه اليه او لم يهده والله اعلم *

فصل * * * واما المسئلة السابعة عشر وهي هل الروح قديمة او محدثة مخلوقة واذا كانت محدثة مخلوقة وهي من امر الله فكيف يكون امر الله محدثا مخلوقا وقد اخبر سبحانه انه نفخ فى ادم من روحه فهذه الاضافة اليه هل

تدل على انها قديمة ام لا وما حقيقة هذه الاضافة فقد اخبر عن ادم انه خلقه
بيده و نفخ فيه من روحه فاضاف اليد و الروح اليه اضافة واحدة ❊
فهذه مسئلة زل فيها عالم وضل فيها طوائف من بني ادم وهدى الله اتباع
رسوله فيها للحق المبين والصواب المستبين فاجمعت الرسل صلوات الله
وسلامه عليهم على انها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة هذا معلوم
بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كما يعلم بالاضطرار
من دينهم ان العالم حادث و ان معاد الابدان واقع و ان الله وحده الخالق
وكل ما سواه مخلوق له وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم
وهم القرون الفضيلة على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها وانها
مخلوقة حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة فزعم انها قديمة غير
مخلوقة واحتج بانها من امر الله وامره غير مخلوق و بان الله تعالى اضافها
اليه كما اضاف اليه علمه وكتابه وقدرته وسمعه وبصره و يده وتوقف
اخرون فقالوا لا نقول مخلوقة ولا غير مخلوقة وسئل عن ذلك حافظ
اصبهان ابو عبد الله بن مندة فقال اما بعد فان سائلا سألني عن الروح
التي جعلها الله سبحانه قوام نفس الخلق وابدانهم وذكر ان اقواما تكلموا
في الروح وزعموا انها غير مخلوقة وخص بعضهم منها ارواح القدس
وانها من ذات الله قال وانا اذكر اختلاف اقاويل متقدميهم وابين
ما يخالف اقاويلهم من الكتاب والاثر واقاويل الصحابة والتابعين واهل
العلم واذكر بعد ذلك وجوه الروح من الكتاب والاثر و اوضح خطأ

المتكلم في الروح بغير علم وان كلامهم يوافق قول جهم واصحابه فنقول وبالله التوفيق ان الناس اختلفوا فى معرفة الارواح ومحلها من النفس فقال بعضهم الارواح كلها مخلوقة وهذا مذهب اهل الجماعة والاثر واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف والجنود المجندة لاتكون الامخلوقة وقال بعضهم الارواح من امر الله اخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق واحتجوا بقول الله تعالى قل الروح من امر ربي * وقال بعضهم الارواح نور من نور الله تعالى وحياة من حياته واحتجت بقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة والقى عليهم من نوره * ثم ذكر الخلاف في الارواح هل تموت ام لا وهل تعذب مع الاجساد فى البرزخ وفي مستقرها بعد الموت وهل هي النفس اوغيرها وقال محمد بن نصر المروزى فى كتابه تأول صنف من الزنادقة وصنف من الروافض فى روح ادم ماتأولته النصارى في روح عيسى وما تأوله قوم من ان الروح انفصل من ذات الله فصار في المؤمن فعبد صنف من النصارى عيسى ومريم جميعا لان عيسى عندهم روح من الله صار في مريم فهو غير مخلوق عندهم وقال صنف من الزنادقة وصنف من الروافض ان روح ادم مثل ذلك انه غير مخلوق وتأولوا قوله تعالى ونفخت فيه من روحي وقوله تعالى ثم سواه ونفخ فيه من روحه * فزعموا ان روح آدم ليس بمخلوق كما تأول من قال ان النور من الرب غير مخلوق قالوا ثم صار بعد آدم في الوصي بعده ثم هو فى كل نبي و وصي الى

ان صار في علي ثم في الحسن والحسين ثم في كل وصي وامام فيه يعلم الامام كل شيء ولا يحتاج ان يتعلم من احد ولا خلاف بين المسلمين ان الارواح التي في آدم وبنيه وعيسى ومن سواه من بني ادم كلها مخلوقة لله خلقها وانشأها وكونها واخترعها ثم اضافها الى نفسه كما اضاف اليه سائر خلقه قال تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه * وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الادمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الامة وائمتها وسائر اهل السنة وقد حكي اجماع العلماء على انها مخلوقة غير واحد من ائمة المسلمين مثل محمد بن نصر المروزي الامام المشهور الذي هو من اعلم اهل زمانه بالاجماع والاختلاف وكذلك ابو محمد بن قتيبة قال في (كتاب اللفظ) لما تكلم على الروح قال النسم الارواح قال واجمع الناس على ان الله تعالى هو فالق الحبة وبارئ النسمة اي خالق الروح وقال ابو اسحق بن شاقلا فيما اجاب به في هذه المسئلة سألت رحمك الله عن الروح مخلوقة هي او غير مخلوقة قال وهذا مما لا يشك فيه من وفق للصواب ان الروح من الاشياء المخلوقة وقد تكلم في هذه المسئلة طوائف من اكابر العلماء والمشائخ وردوا على من يزعم انها غير مخلوقة وصنف الحافظ ابو عبد الله بن مندة في ذلك كتابا كبيرا وقبله الامام محمد بن نصر المروزي وغيره والشيخ ابو سعيد الخراز وابو يعقوب النهرجوري والقاضي ابو يعلى وقد نص على ذلك الائمة الكبار واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في روح عيسى ابن مريم فكيف بروح غيره كما ذكره

الامام احمد فيما كتبه في مجلسه في الرد على الزنادقة والجهمية * ثم ان الجهمي ادعى امرا * فقال * انا اجد اية في كتاب الله مما يدل على ان القران مخلوق قول الله تعالى انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه * وعيسى مخلوق * قلنا له * ان الله تعالى منعك الفهم للقران ان عيسى تجري عليه الفاظ لا تجري على القرآن لانا نسميه مولودا وطفلا وصبيا وغلاما يأكل ويشرب وهو مخاطب بالامر والنهي يجري عليه الخطاب والوعد والوعيد ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية ابراهيم فلا يحل لنا ان نقول في القران ما نقول في عيسى فهل سمعتم الله يقول في القران ما قال في عيسى ولكن المعنى في قوله انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم * حين قال له كن فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن ولكن كان بكن فكن من الله قول وليس كن مخلوقا وكذبت النصارى والجهمية على الله في امر عيسى وذلك ان الجهمية قالوا روح الله وكلمته الا ان كلمته مخلوقة وقالت النصارى عيسى روح الله وكلمته من ذاته كما يقال هذه الخرقة من هذا الثوب * قلنا نحن * ان عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة وانما الكلمة قول الله تعالى كن وقوله وروح منه يقول من امره كان الروح فيه كقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه يقول من امره وتفسير روح الله انما معناها بكلمة الله خلقها كما يقال عبد الله وسماء الله وارض الله فقد صرح بان روح المسيح مخلوقة فكيف بسائر الارواح وقد اضاف الله اليه الروح

الذى ارسله الى مريم وهو عبده ورسوله ولم يدل ذلك على انه قديم غير مخلوق فقال تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا * فهذا الروح هو روح الله وهو عبده ورسوله وسنذكر ان شاء الله اقسام المضاف الى الله وانى يكون المضاف صفة له قديمة وانى يكون مخلوقا وما ضابط ذلك *

فصل

فصل في بيان الدليل على خلق الارواح

والذي يدل على خلقها وجوه * احدها * قول الله تعالى الله خالق كل شيء * فهذا اللفظ عام لا تخصيص فيه بوجه ما ولا يدخل في ذلك صفاته فانها داخلة في مسمى اسمه فالله سبحانه هو الاله الموصوف بصفات الكمال فعلمه وقدرته وحياته وارادته وسمعه وبصره وسائر صفاته داخل في مسمى اسمه ليس داخلا في الاشياء المخلوقة كما لم تدخل ذاته فيها فهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق وما سواه مخلوق ومعلوم قطعا ان الروح ليست هي الله ولا صفة من صفاته وانما هي مصنوع من مصنوعاته فوقوع الخلق عليها كوقوعه على الملائكة والجن والانس * الوجه الثاني * قوله تعالى لزكرياء وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا * وهذا الخطاب لروحه وبدنه ليس لبدنه فقط فان البدن وحده لا يفهم ولا يخاطب ولا يعقل وانما الذى يفهم ويعقل ويخاطب هو الروح * الثالث * قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون * الرابع * قوله تعالى ولقد

خلقناكم

خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم * وهذا الاخبار انما يتناول ارواحنا واجسادنا كما يقوله الجمهور واما ان يكون واقعا على الارواح قبل خلق الاجساد كما يقوله من يزعم ذلك وعلى التقديرين فهو صريح في خلق الارواح * الخامس * النصوص الدالة على انه سبحانه ربنا ورب ابائنا الاولين ورب كل شيء وهذه الربوبية شاملة لارواحنا وابداننا فالارواح مربوبة له مملوكة كما ان الاجسام كذلك وكل مربوب مملوك فهو مخلوق * السادس * اول سورة في القران وهي الفاتحة تدل على ان الارواح مخلوقة من عدة اوجه * احدها * قوله الحمد لله رب العلمين * والارواح من جملة العالم فهو ربها * الثاني * قوله اياك نعبد واياك نستعين * فالارواح عابدة له مستعينة ولو كانت غير مخلوقة لكانت معبودة مستعانا بها * الثالث * انها فقيرة الى هداية فاطرها وربها تسأله ان يهديها صراطه المستقيم * الرابع * انها منعم عليها مرحومة ومغضوب عليها وضالة شقية وهذا شان المربوب المملوك لا شان القديم غير المخلوق * الوجه السابع * النصوص الدالة على ان الانسان عبد بجملته وليست عبوديته واقعة على بدنه دون روحه بل عبودية الروح اصل وعبودية البدن تبع كما انه تبع لها في الاحكام وهي التي تحركه وتستعمله وهو تبع لها في العبودية * الوجه الثامن * قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فلو كانت روحه قديمة لكان الانسان لم يزل شيئا مذكورا فانما هو

انسان بروحه لا ببدنه فقط كما قيل *

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته * فانت بالروح لا بالجسم انسان

* الوجه التاسع * النصوص الدالة على ان الله سبحانه كان ولم يكن شئ غيره كما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمران بن حصين ان اهل اليمن قالوا يا رسول الله جئناك لنتفقه في الدين ونسألك عن اول هذا الامر فقال كان الله ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شئ * فلم يكن مع الله ارواح ولا نفوس قديمة يساوي وجودها وجوده تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل هو الاول وحده لا يشاركه غيره في اوليته بوجه من الوجوه * الوجه العاشر * النصوص الدالة على خلق الملائكة وهم ارواح مستغنية عن اجساد تقوم بها وهم مخلوقون قبل خلق الانسان وروحه فاذا كان الملك الذي يحدث الروح في جسد ابن ادم بنفخته مخلوقا فكيف تكون الروح الحادثة بنفخه قديمة وهؤلاء الغالطون يظنون ان الملك يرسل الى الجنين بروح قديمة ازلية ينفخها فيه كما يرسل الرسول بثوب الى الانسان يلبسه اياه وهذا ضلال وخطأ وانما يرسل الله سبحانه اليه الملك فينفخ فيه نفخة تحدث له الروح بواسطة تلك النفخة فتكون النفخة هي سبب حصول الروح وحدوثها له كما كان الوطي والانزال سبب تكوين جسمه والغذاء سبب نموه فمادة الروح من نفخة الملك ومادة الجسم من صب الماء في الرحم فهذه مادة سماوية وهذه مادة ارضية فمن الناس من تغلب عليه المادة

السماوية فتصير روحه علوية شريفة تناسب الملائكة ومنهم من تغلب عليه المادة الارضية فتصير روحه سفلية ترابية مهينة تناسب الارواح السفلية فالملك اب لروحه والتراب اب لبدنه وجسمه * الوجه الحادى عشر * حديث ابي هريرة الذى فى صحيح البخاري وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف * والجنود المجندة لا تكون الا مخلوقة وهذا الحديث رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم ابو هريرة وعائشة ام المومنين وسلمان الفارسي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو وعلي بن ابى طالب وعمرو بن عبسة * الوجه الثاني عشر * ان الروح توصف بالوفاة والقبض والامساك والارسال وهذا شان المخلوق المحدث المربوب قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون * والانفس ههنا هي الارواح قطعا وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن ابي قتادة الانصاري عن ابيه قال سرينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ذات ليلة فقلنا يا رسول الله لو عرست بنا فقال انى اخاف ان تناموا فمن يوقظنا للصلوة فقال بلال انا يا رسول الله قال فعرس بالقوم فاضطجعوا واستند بلال الى راحلته فغلبته عيناه فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طلع جانب الشمس فقال يا بلال اين ما قلت لنا فقال والذي بعثك بالحق ما القيت علي نومة مثلها

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قبض ارواحكم حين شاء و ردها
حين شاء * فهذه الروح المقبوضة هي النفس التى يتوفاها الله حين موتها
و في منامها وهي التى يتوفاها ملك الموت و هى التى تتوفاها رسل الله سبحانه
وهي التى يجلس الملك عند رأس صاحبها و يخرجها من بدنه كرها و يكفنها
بكفن من الجنة او النار و يصعد بها الى السماء فتصلى عليها الملائكة او تلعنها
وتوقف بين يدى ربها فيقضى فيها امره ثم تعاد الى الارض فتدخل بين الميت
واكفانه فيسئل و يمتحن و يعاقب و ينعم وهى التى تجعل فى اجواف الطير
الخضر تاكل وتشرب من الجنة وهي التى تعرض على النار غدوا وعشيا
و هى التى تومن و تكفر و تطيع و تعصى و هي الامارة بالسوء وهى اللوامة
وهي المطمئنة الى ربها وامره و ذكره وهي التى تعذب و تنعم و تسعد و تشقى
و تحبس و ترسل و تصح و تسقم و تلذ و تالم و تخاف و تحزن و ماذالك
الاسمات مخلوق مبدع و صفات منشأ مخترع و احكام مربوب مدبر
مصرف تحت مشية خالقه وفاطره و بارئه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول عند نومه اللهم انت خلقت نفسي وانت توفاها لك مماتها ومحياها
فان امسكتها فارحمها و ان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين
وهو تعالى بارئ النفوس كما هو بارئ الاجساد قال تعالى ما اصاب من
مصيبة في الارض ولا فى انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك
على الله يسير * قيل من قبل ان نبرأ المصيبة وقيل من قبل ان نبرأ الارض
وقيل من قبل ان نبرأ الانفس وهو اولى لانه اقرب مذكور الى الضمير

ولو

ولو قيل يرجع الى الثلاثة اى من قبل ان نبرأ المصيبة والارض والانفس لكان اوجه وكيف تكون قديمة مستغنية عن خالق محدث مبدع لها وشواهد الفقر والحاجة والضرورة اعدل شواهد على انها مخلوقة مربوبة مصنوعة وان وجود ذاتها وصفاتها وافعالها من ربها وفاطرها ليس لها من نفسها الا العدم فهى لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا لا تستطيع ان تاخذ من الخير الا ما اعطاها ولا تتقى من الشر الا ما وقاها ولا تهتدى الى شئ من مصالح دنياها واخراها الا بهداه ولا تصلح الا بتوفيقه لها واصلاحه اياها ولا تعلم الا ما علمها ولا تتعدى ما الهمها فهو الذي خلقها فسواها والهمها فجورها وتقواها فاخبر سبحانه انه خالقها ومبدعها وخالق افعالها من الفجور والتقوى خلافا لمن يقول انها ليست مخلوقة ولمن يقول انها وان كانت مخلوقة فليس خالقا لافعالها بل هى التي تخلق افعالها وهما قولان لاهل الضلال والغي ومعلوم انها لو كانت قديمة غير مخلوقة لكانت مستغنية بنفسها فى وجودها وصفاتها وكمالها وهذا من ابطل الباطل فان فقرها اليه سبحانه في وجودها وكمالها وصلاحها هو من لوازم ذاتها ليس معللا بعلة فانه امر ذاتى لها كما ان غناء ربها وفاطرها ومبدعها من لوازم ذاته ليس معللا بعلة فهو سبحانه الغنى بالذات وهى الفقيرة اليه بالذات فلا يشاركه سبحانه في غناه مشارك كما لا يشاركه فى قدمه وربوبيته والهيته وملكه التام وكماله المقدس مشارك فشواهد الخلق والحدوث على الارواح كشواهده

على الابد ان قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد * وهذا الخطاب بالفقر اليه للارواح والابدان ليس هو للابدان فقط وهذا الغناء التام لله وحده لا يشركه فيه غيره وقد ارشد الله سبحانه عباده الى اوضح دليل على ذلك بقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين * اى فلولا ان كنتم غير مملوكين ومقهورين ومربوبين ومجازين باعمالكم تردون الارواح الى الابدان اذا وصلت الى هـذا الموضع اولا تعلمون بذلك انها مدينة مملوكة مربوبة محاسبة مجزية بعملها وكلما تقدم ذكره في هذا الجواب من احكام الروح وشانها ومستقرها بعد الموت فهو دليل على انها مخلوقة مربوبة مدبرة ليست بقديمة وهذا الامر اوضح من ان تساق الادلة عليه لولا اضلال من المتصوفة واهل البدع ومن قصر فهمه في كتاب الله وسنة رسوله فاتى من سوء الفهم لا من النص تكلموا في انفسهم وارواحهم بما دل على انهم من اجهل الناس بها وكيف يمكن من له ادنى مسكة من عقل ان ينكر امرا تشهد به عليه نفسه وصفاته وافعاله وجوارحه واعضاؤه بل تشهد به السموات والارض والخليقة فلله سبحانه في كل ما سواه اية بل ايات تدل على انه مخلوق مربوب وانه خالقه وربه وبارئه ومليكه ولو جحد ذلك فمعه شاهد عليه *

فصل

واما ما احتجت به هذه الطائفة فاما ما اتوا به من اتباع متشابه القرآن والعدول عن محكمه فهذا شان كل ضال ومبتدع فمحكم القرآن من اوله الى آخره يدل على ان الله تعالى خالق الارواح ومبدعها واما قوله تعالى قل الروح من امر ربي فمعلوم قطعا انه ليس المراد ههنا بالامر الطلب الذى هو احد انواع الكلام فيكون المراد ان الروح كلامه الذي يأمر به وانما المراد بالامر ههنا المامور وهو عرف مستعمل في لغة العرب وفي القرآن منه كثير كقوله تعالى اتى امر الله اى ماموره الذى قدره وقضاه وقال له كن فيكون وكذلك قوله فما اغنت عنهم الهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء امر ربك اى ماموره الذى امر به من هلاكهم وكذلك قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر وكذلك الخلق يستعمل بمعنى المخلوق كقوله للجنة انت رحمتي فليس في قوله قل الروح من امر ربي ما يدل على انها قديمة غير مخلوقة بوجه ما وقد قال بعض السلف فى تفسيرها جرى بامر الله في اجساد الخلق وبقدرته استقر وهذا بناء على ان المراد بالروح فى الاية روح الانسان وفى ذلك خلاف بين السلف والخلف واكثر السلف بل كلهم على ان الروح المسئول عنها في الاية ليست ارواح بنى آدم بل هو الروح الذى اخبر الله عنه فى كتابه انه يقوم يوم القيامة مع الملائكة وهو ملك عظيم وقد ثبت في الصحيح من حديث الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال بينا انا

اُمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرة المدينة وهو متكئ على عسيب فمررنا على نفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه عسى ان يخبر فيه بشئ تكرهونه وقال بعضهم نسأله فقام رجل فقال يا ابا القاسم ما الروح فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمت انه يوحى اليه فقمت فلما تجلى عنه قال ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا * ومعلوم انهم انما سألوه عن امر لا يعرف الا بالوحي وذلك هو الروح الذي عند الله لا يعلمها الناس واما ارواح بني آدم فليست من الغيب وقد تكلم فيها طوائف الناس من اهل الملل وغيرهم فلم يكن الجواب عنها من اعلام النبوة * فان قيل * فقد قال ابو الشيخ ثنا الحسين ابن محمد بن ابراهيم انا ابراهيم بن الحكم عن ابيه عن السدي عن ابي مالك عن ابن عباس قال بعثت قريش عقبة بن ابي معيط وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة الى يهود المدينة يسألونهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم انه قد خرج فينا رجل يزعم انه نبي وليس على ديننا ولا على دينكم قالوا فمن تبعه قالوا سفلتنا والضعفاء والعبيد ومن لا خير فيه واما اشراف قومه فلم يتبعوه فقالوا انه قد اظل زمان نبي يخرج وهو على ما تصفون من امر هذا الرجل فأتوه فاسئلوه عن ثلاث خصال نأمركم بهن فان اخبركم بهن فهو نبي صادق وان لم يخبركم بهن فهو كذاب سلوه عن الروح التي نفخ الله تعالى في آدم فان قال لكم هي من الله فقولوا كيف

يعذب

يعذب الله في النار شيئا هو منه فسأل جبريل عنها فانزل الله عزوجل ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي يقول هو خلق من خلق الله ليس هو من الله * ثم ذكر باقي الحديث قيل مثل هذا الاسناد لا يحتج به فانه من تفسير السدى عن ابي مالك وفيه اشياء منكرة وسياق هذه القصة في السوال من الصحاح والمسانيد كلها تخالف سياق السدي وقد رواها الاعمش والمغيرة بن مقسم عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على ملا من اليهود وانا امشى معه فسألوه عن الروح قال فسكت فظننت انه يوحى اليه فنزلت ويسألونك عن الروح يعنى اليهود قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا * وكذلك هي في قراءة عبد الله فقالوا كذلك نجد مثله في التوراة ان الروح من امر الله عزوجل رواه جرير بن عبد الحميد وغيره عن المغيرة وروى يحيى بن زكريا بن ابى زائدة عن داود بن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال اتت اليهود الى النبى صلى الله عليه وسلم فسألوه عن الروح فلم يجبهم النبى صلى الله عليه وسلم بشيء فانزل الله عزوجل ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا * فهذا يدل على ضعف حديث السدى وان السوال كان بمكة فان هذا الحديث وحديث ابن مسعود صريح ان السوال كان بالمدينة مباشرة من اليهود ولو كان قد تقدم السوال والجواب بمكة لم يسكت النبى صلى الله عليه وسلم ولبادر الى جوابهم بما تقدم من اعلام الله له

﴿ بيان اختلاف الروايات عن ابن عباس في تفسير آية ويسئلونك عن الروح ﴾

وما انزل عليه وقد اضطربت الروايات عن ابن عباس في تفسير هذه الاية اعظم اضطراب فاما ان تكون من قبل الرواة او تكون اقواله قد اضطربت فيها ونحن نذكر ذلك فقد ذكرنا رواية السدى عن ابي مالك عنه ورواية داود بن ابي هند عن عكرمة عنه تخالفها وفي رواية داود ابن ابي هند هذه اضطراب فقال مسروق بن المرزبان وابراهيم بن ابي طالب عن يحيى بن زكريا عنه ان اليهود اتت النبي صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن نصر المروزي ثنا اسحق انا يحيى بن زكريا عن داود بن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس قالت قريش لليهود اعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح فنزلت ويسئلونك عن الروح الاية * وهذا يخالف الرواية الاخرى عنه وحديث ابن مسعود وعن ابن عباس رواية ثالثة قال هشيم ثنا ابو بشر عن مجاهد عن ابن عباس قل الروح امر من امر الله عز وجل وخلق من خلق الله وصور مثل صور بني آدم وما نزل من السماء ملك الا ومعه واحد من الروح وهذا يدل على انها غير الروح التي في ابن ادم وعنه رواية رابعة قال ابن منده روى عبد السلام بن حرب عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي قد نزل من القران بمنزل كن نقول كما قال الله ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي * ثم ساق من طريق خصيف عن عكرمة عن ابن عباس انه كان لا يفسر اربعة اشياء الرقيم والغسلين والروح وقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في

الارض جميعا* منه وعنه رواية خامسة رواها جويبر عن الضحاك عنه ان اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح قال قال الله تعالى قل الروح من امر ربي * يعني خلقا من خلقي وما اوتيتم من العلم الا قليلا * يعني لو سألتم عن خلق انفسكم وعن مدخل الطعام والشراب ومخرجهما ما وصفتم ذلك حق صفته وما اهتديتم لصفتها * وعنه رواية سادسة روى عبد الغني بن سعيد ثنا موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس في قوله ويسألونك عن الروح وذلك ان قريشا اجتمعت فقال بعضهم لبعض والله ماكان محمد يكذب ولقد نشأ فينا بالصدق والامانة فارسلوا جماعة الى اليهود فسألوهم عنه وكانوا مستبشرين به يكثرون ذكره ويدعون نبوته ويرجون نصرته موقنين بانه سيهاجر اليهم ويكونون له انصارا فسألوهم عنه فقالت لهم اليهود سلوه عن ثلاث سلوه عن الروح وذلك انه ليس في التوراة قصته ولا تفسيره الا ذكر اسم الروح فانزل الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي * يريد من خلق ربي عز وجل * والروح في القران على عدة اوجه * احدها * الوحي كقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا * وقوله يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده * وسمي الوحي روحا لما يحصل به من حياة القلوب والارواح * الثاني * القوة والثبات والنصرة التي يؤيد بها من شاء من عباده المؤمنين كما قال اولائك كتب في قلوبهم الايمان

وايدهم بروح منه * الثالث * جبريل كقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك * وقال تعالى من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله * وهو روح القدس قال تعالى قل نزله روح القدس * الرابع * الروح التى سأل عنها اليهود فاجيبوا بانها من امر الله وقد قيل انها الروح المذكورة فى قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون * وانها الروح المذكورة في قوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم * الخامس * المسيح ابن مريم قال تعالى انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه * واما ارواح بنى ادم فلم تقع تسميتها في القران الا بالنفس قال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة * وقال ولا اقسم بالنفس اللوامة * وقال ان النفس لامارة بالسوء * وقال اخرجوا انفسكم * وقال ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها * وقال كل نفس ذائقة الموت * واما في السنة فجاءت بلفظ النفس والروح والمقصود ان كونها من امر الله لا يدل على قدمها وانها غير مخلوقة *

فصل

واما استدلالهم باضافتها اليه سبحانه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحى * فينبغى ان يعلم ان المضاف الى الله سبحانه نوعان * صفات لا تقوم بانفسها * كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر فهذه اضافة صفة الى الموصوف بها فعلمه وكلامه وارادته وقدرته وحياته صفات له غير مخلوقة وكذلك وجهه ويده سبحانه * والثانى * اضافة اعيان منفصلة عنه

كالبيت و الناقة والعبد والرسول و الروح فهذه اضافة مخلوق الى خالقه و مصنوع الى صانعه لكنها اضافة تقتضى تخصيصا و تشريفا يتميز به المضاف عن غيره كبيت الله وان كانت البيوت كلها ملكا له وكذلك ناقة الله والنوق كلها ملكه وخلقه لكن هذه اضافة الى الهيته تقتضى محبته لها و تكريمه و تشريفه بخلاف الاضافة العامة الى ربوبيته حيث تقتضى خلقه و ايجاده فالاضافة العامة تقتضى الايجاد و الخاصة تقتضى الاختيار والله يخلق مايشاء و يختار مما خلقه كما قال تعالى وربك يخلق مايشاء ويختار * واضافة الروح اليه من هذه الاضافة الخاصة لا من العامة ولا من باب اضافة الصفات فتامل هذا الموضع فانه يخلصك من ضلالات كثيرة وقع فيها من شاء الله من الناس * فان قيل * فما تقولون في قوله تعالى و نفخت فيه من روحى * فاضاف النفخ الى نفسه و هذا يقتضى المباشرة منه تعالى كما في قوله خلقت بيدى ولهذا فرق بينهما في الذكر في الحديث الصحيح في قوله صلى الله عليه وسلم فيأتون ادم فيقولون انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده و نفخ فيك من روحه و اسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شئ فذكروا لادم اربع خصائص اختص بها عن غيره ولو كانت الروح التى فيه انما هي من نفخة الملك لم يكن له خصيصة بذلك وكان بمنزلة المسيح بل و سائر اولاده فان الروح حصلت فيهم من نفخة الملك و قد قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فهو الذى سواه بيده وهو الذى نفخ فيه من روحه * قيل * هذا الموضع هو الذى اوجب لهذه الطائفة ان قالت بقدم

* بيان ان معنى اضافة الروح الى الله سبحانه تعالى *

الروح وتوقف فيها اخرون ولم يفهموا مراد القران * فاما الروح المضافة الى الرب فهي روح مخلوقة اضافها الى نفسه اضافة تخصيص وتشريف كما بينا واما النفخ فقد قال تعالى في مريم التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا * وقد اخبر في موضع اخر انه ارسل اليها الملك فنفخ في فرجها وكان النفخ مضافا الى الله امرا واذنا والى الرسول مباشرة يبقى ههنا امران * احدهما ان يقال فاذا كان النفخ حصل في مريم من جهة الملك وهو الذي ينفخ الارواح في سائر البشر فما وجه تسمية المسيح روح الله واذا كان سائر الناس تحدث ارواحهم من هذه الروح فما خاصية المسيح * الثاني ان يقال فهل تعلق الروح بادم كانت بواسطة نفخ هذا الروح هو الذي نفخها فيه باذن الله كما نفخها في مريم ام الرب تعالى هو الذي نفخها بنفسه كما خلقه بيده قيل لعمر الله انهما سوالان مهمان فاما الاول * فالجواب عنه ان الروح الذي نفخ في مريم هو الروح المضاف الى الله الذي اختصه لنفسه واضافه اليه وهو روح خاص من بين سائر الارواح وليس بالملك الموكل بالنفخ في بطون الحوامل من المؤمنين والكفار فان الله سبحانه وكل بالرحم ملكا ينفخ الروح في الجنين فيكتب رزق المولود واجله وعمله وشقاوته وسعادته واما هذا الروح المرسل الى مريم فهو روح الله الذي اصطفاه من الارواح لنفسه فكان لمريم بمنزلة الاب لسائر النوع فان نفخته لما دخلت في فرجها كان ذلك بمنزلة لقاح الذكر للانثى من غير ان يكون هناك وطء واما ما اختص به ادم فانه

لم يخلق بخلقة المسيح من ام ولا بخلقة سائر النوع من اب وام ولا كان للروح الذى نفخ الله فيه منه هو الملك الذي ينفخ الروح فى سائر اولاده ولو كان كذلك لم يكن لادم به اختصاص وانما ذكر في الحديث ما اختص به على غيره وهو اربعة اشياء خلق الله له بيده ونفخه فيه من روحه واسجاد ملائكته له وتعليمه اسماء كل شئ فنفخه فيه من روحه يستلزم نافخا ونفخا ومنفوخا منه فالمنفوخ منه هو الروح المضافة الى الله فمنها سرت النفخة في طينة ادم والله تعالى هو الذي نفخ في طينته من تلك الروح هذا هو الذى دل عليه النص واما كون النفخة بمباشرة منه سبحانه كما خلقه بيده اوانها حصلت بامره كما حصلت في مريم عليها السلام فهذا يحتاج الى دليل والفرق بين خلق الله له بيده ونفخه من روحه ان اليد غير مخلوقة والروح مخلوقة والخلق فعل من افعال الرب واما النفخ فهل هو من افعاله القائمة به او هو مفعول من مفعولاته القائمة بغيره المنفصلة عنه وهذا مما لا يحتاج الى دليل وهذا بخلاف النفخ في فرج مريم فانه مفعول من مفعولاته واضافه اليه لانه باذنه وامره فنفخه في ادم هل هو فعل له او مفعول وعلى كل تقدير فالروح التى نفخ منها في ادم روح مخلوقة غير قديمة وهي مادة روح ادم فروحه اولى ان تكون حادثة مخلوقة وهو المراد *

فصل * * * * واما المسئلة الثامنة عشر وهى تقدم خلق الارواح على الاجساد او تاخر خلقها عنها *

فهذه المسئلة للناس فيها قولان معروفان حكاهما شيخ الاسلام

* المسئلة الثامنة عشر وهي تقدم خلق الارواح على الاجساد او تاخر خلقها عنها *

وغيره وممن ذهب الى تقدم خلقها محمد بن نصر المروزى وابو محمد بن حزم وحكاه ابن حزم اجماعا ونحن نذكر حجج الفريقين وما هو الاولى منها بالصواب * قال من ذهب الى تقدم خلقها على خلق البدن قال الله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا قالوا ثم للترتيب والمهلة فقد تضمنت الاية ان خلقها مقدم على امر الله للملائكة بالسجود لادم ومن المعلوم قطعا ان ابداننا حادثة بعد ذلك فعلم انها الارواح * قالوا ويدل عليه قوله سبحانه واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى * قالوا وهذا الاستنطاق والاشهاد انما كان لارواحنا اذلم تكن الابدان حينئذ موجودة ففى الموطأ حدثنا مالك عن زيد بن ابى انيسة ان عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب اخبره عن مسلم بن يسار الجهنى ان عمر بن الخطاب سئل عن هذه الاية واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذريتهم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئل عنها فقال خلق الله ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وخلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من

الارض

دلائل من يقول بتقدم خلق الارواح على خلق الابدان

اعمال اهل النار فيدخله به النار * قال الحاكم هذا حديث على شرط مسلم
وروى الحاكم ايضا من طريق هشام بن زيد عن زيد بن اسلم عن ابي صالح
عن ابي هريرة مرفوعا لما خلق الله ادم مسح ظهره فسقط من ظهره كل
نسمة هو خالقها الى يوم القيامة امثال الذر ثم جعل بين عيني كل انسان
منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على ادم فقال من هؤلاء يارب قال
هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم اعجبه وبيص ما بين عينيه فقال
يارب من هذا فقال هذا ابنك داود يكون في اخر الامم
قال كم جعلت له من العمر قال ستين سنة قال يارب زده من عمري
اربعين سنة فقال الله تعالى اذا يكتب ويختم فلا يبدل فلما انقضى
عمر ادم جاءه ملك الموت قال اولم يبق من عمري اربعين
سنة فقال اولم تجعلها لابنك داود قال فجحد فجحدت ذريته ونسي
فنسيت ذريته وخطأ فخطأت ذريته * قال هذا على شرط مسلم ورواه
الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح ورواه الامام احمد
من حديث ابن عباس قال لما نزلت اية الدين قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اول من جحد ادم * وزاد محمد بن سعد ثم اكمل الله لادم
الف سنة ولداود مائة سنة * وفي صحيح الحاكم ايضا من حديث ابي جعفر
الداربي ثنا الربيع بن انس عن ابي العالية عن ابي بن كعب في قوله تعالى
واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم الاية قال جمعهم له يومئذ جميعا ما
هو كائن الى يوم القيامة فجعلهم ارواحا ثم صورهم واستنطقهم فتكلموا

واخذ عليهم العهد و الميثاق و اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين قال فاني اشهد عليكم السموات السبع و الارضين السبع و اشهد عليكم اباكم ادم ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فلا تشركوا بي شيئا فاني ارسل اليكم رسلي يذكرونكم عهدي و ميثاقي و انزل عليكم كتبي فقالوا نشهد انك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك و رفع لهم ابوهم ادم فرأى فيهم الغني و الفقير وحسن الصورة و غير ذلك فقال رب لو سويت بين عبادك فقال اني احب ان اشكر و رأى فيهم الانبياء مثل السرج وخصوا بميثاق اخر بالرسالة و النبوة فذلك قوله و اذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك و من نوح * و هو قوله فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله * و هو قوله هذا نذير من النذر الاولى * وقوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد و ان وجدنا اكثرهم لفاسقين * وكان روح عيسى من تلك الارواح التي اخذ عليها الميثاق فارسل ذلك الروح الى مريم حين انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فدخل من فيها * و هذا اسناد صحيح فقال اسحق بن راهويه » ثنا بقية بن الوليد قال اخبرني الزبيدي محمد بن الوليد عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن ابي قتادة البصري عن ابيه عن هشام بن حكيم بن حزام ان رجلا قال يا رسول الله انبتدأ الاعمال ام قد مضى القضاء فقال ان الله لما اخرج ذرية ادم من ظهره اشهدهم على انفسهم ثم افاض بهم في كفيه فقال هؤلاء للجنة و هؤلاء

للنار فاهل الجنة ميسرون لعمل اهل الجنة واهل النار ميسرون لعمل اهل النار * قال اسحق وانا النضر ثنا ابو معشر عن سعيد المقبري و نافع مولى الزبير عن ابي هريرة قال لما اراد الله ان يخلق ادم فذكر خلق آدم فقال له يا ادم اي يدى احب اليك ان اريك ذريتك فيها فقال يمين ربي وكلتا يدى ربي يمين فبسط يمينه فاذا فيها ذريته كلهم ما هو خالق الى يوم القيامة الصحيح على هيئته والمبتلى على هيئته والانبياء على هيئتهم فقال الا اعفيتهم كلهم فقال اني احب ان اشكره و ذكر الحديث وقال محمد بن نصر ثنا محمد بن يحيى ثنا سعيد بن ابي مريم اخبرنا الليث بن سعد حدثني ابن عجلان عن سعيد بن ابي سعيد المقبرى عن ابيه عن عبد الله ابن سلام قال خلق الله آدم ثم قال بيديه فقبضهما فقال اختر يا ادم فقال اخترت يمين ربي و كلتا يد يك يمين فبسطها فاذا فيها ذريته فقال من هؤلاء يا رب قال من قضيت ان اخلق من ذريتك من اهل الجنة الى ان تقوم الساعة * قال واخبرنا اسحق ثنا جعفر بن عون انا هشام بن سعد عن زيد بن اسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله ادم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة * و ثنا اسحق وعمر بن زرارة اخبرنا اسمعيل عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم ذريتهم الاية قال مسح ربك ظهر ادم فخرجت منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنعمان هذا الذى وراء عرفة فاخذ ميثاقهم الست بربكم

قالوا بلى شهدنا * ورواه ابو جمرة الضبعى ومجاهد وحبيب بن ابي ثابت وابو صالح وغيرهم عن ابن عباس وقال اسحق اخبرنا جرير عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمر وفي هذه الاية قال اخذهم كما يوخذ المشط بالراس * وحدثنا حجاج عن ابن جريج عن الزبير بن موسى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ان الله ضرب منكبه الايمن فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية فقال هؤلاء اهل الجنة ثم ضرب منكبه الايسر فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء فقال هؤلاء اهل النار ثم اخذ عهده على الايمان به والمعرفة له ولامره والتصديق له وبامره من بني ادم كلهم واشهدهم على انفسهم فامنوا وصدقوا وعرفوا واقروا * وذكر محمد بن نصر من تفسير السدي عن ابي مالك وابى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود عن اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى واذ اخذ ربك من بنى ادم الاية لما اخرج الله ادم من الجنة قبل ان يهبط من السماء مسح صفحة ظهر ادم اليمنى فاخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ وكهيئة الذر فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتى ومسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال ادخلوا النار ولاابالى فذلك حيث يقول واصحاب اليمين واصحاب الشمال ثم اخذ منهم الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية فقال هو والملائكة شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك اباؤنا من

قبل وكنا ذرية من بعدهم فليس احد من ولد ادم الا وهو يعرف ان الله
ربه ولا مشرك الا وهو يقول انا وجدنا اباءنا على امة فذلك، قوله تعالى
واذ اخذ ربك من بني ادم وقوله وله اسلم من في السموات والارض طوعا
وكرها وقوله فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين * قال يعني يوم
اخذ عليهم الميثاق * قال اسحق واخبرنا روح بن عبادة ثنا موسى بن
عبيدة الربذي قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول في هذه
الاية واذ اخذ ربك من بني ادم الاية اقروا له بالايمان والمعرفة الارواح
قبل ان يخلق اجسادها * قال وثنا الفضل بن موسى عن عبد الملك عن
عطاء في هذه الاية قال اخرجوا من صلب ادم حين اخذ منهم الميثاق
ثم ردوا في صلبه * قال اسحق واخبرنا علي بن الاجلح عن الضحاك قال ان الله
اخرج من ظهر ادم يوم خلقه ما يكون الى ان تقوم الساعة فاخرجهم
مثل الذر فقال الست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا ان تقولوا
يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ثم قبض قبضة بيمينه فقال هؤلاء في
الجنة وقبض اخرى فقال هؤلاء في النار * قال اسحق واخبرنا ابو عامر
العقدي وابو نعيم الملائي قالا ثنا هشام بن سعد عن يحيى وليس بابن
سعيد قال قلت لابن المسيب ما تقول في العزل قال ان شئت حدثتك
حديثا هو حق ان الله سبحانه لما خلق ادم اراه كرامة لم يرها احدا من
خلق الله اراه كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة فمن حدثك
ان يزيد فيهم شيئا او ينقص منهم فقد كذب ولو كان لي سبعون

ما تاليت * وفي تفسير ابن عيينة عن الربيع بن انس عن ابي العالية وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قال يوم اخذ الميثاق * قال اسحق فقد كانوا في ذلك الوقت مقرين وذلك ان الله عز وجل اخبر انه قال الست بربكم قالوا بلى والله تعالى لا يخاطب الا من يفهم عنه المخاطبة ولا يجيب الا من فهم السوال فاجابتهم اياه بقولهم دليل على انهم قد فهموا عن الله وعقلوا عنه استشهاده اياهم الست بربكم فاجابوه من بعد عقل منهم للمخاطبة وفهم لها بان قالوا بلى فاقروا له بالربوبية *

﴿ فصل ﴾

واحتجوا ايضا بما رواه ابو عبد الله بن مندة اخبرنا محمد بن صابر البخارى ثنا محمد بن المنذر بن سعيد الهروى ثنا جعفر بن محمد بن هارون المصيصي ثنا عتبة بن السكن ثنا ارطاة بن المنذر ثنا عطاء بن عجلان عن يونس بن حليس عن عمرو بن عبسة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق ارواح العباد قبل العباد بالفى عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف * فهذا بعض ما احتج به هؤلاء * قال الاخرون الكلام معكم في مقامين * احدهما * ذكر الدليل على الارواح انما خلقت بعد خلق الابدان * الثاني * الجواب * عما استدللتم به * فاما المقام الاول * فقد قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى * وهذا خطاب للانسان الذى هو روح وبدن فدل على ان جملته مخلوقة بعد خلق الابوين واصرح منه قوله يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس

 واحدة

واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الاية وهذا صريح في ان خلق جملة النوع الانسانى بعد خلق اصله *فان قيل* فهذا لا ينفي تقدم خلق الارواح على اجسادها وان خلقت بعد خلق ابى البشر كما دلت عليه الاثار المتقدمة *قيل* سنبين ان شاء الله تعالى ان الاثار المذكورة لا تدل على سبق الارواح الاجساد سبقا مستقرا ثابتا وغايتها ان تدل بعد صحتها وثبوتها على ان بارئها وفاطرها سبحانه صور النسم وقدر خلقها وآجالها واعمالها واستخرج تلك الصور من مادتها ثم اعادها اليها وقدر خروج كل فرد من افرادها في وقته المقدر له ولا تدل على انها خلقت خلقا مستقرا ثم استمرت موجودة* حية عالمة ناطقة كلها في موضع واحد ثم ترسل منها الى الابدان جملة بعد جملة كما قاله ابو محمد بن حزم فهل تحتمل الاثار ما لا طاقة لها به نعم الرب سبحانه يخلق منها جملة بعد جملة على الوجه الذي سبق به التقدير اولا فيجئ الخلق الخارجي مطابقا للتقدير السابق كشانه تعالى في جميع مخلوقاته فانه قدر لها اقدارا واجالا وصفات وهيئات ثم ابرزها الى الوجود مطابقة لذلك التقدير الذى قدره لها لا تزيد عليه ولا تنقص منه فالاثار المذكورة انما تدل على اثبات القدر السابق وبعضها يدل على انه سبحانه استخرج امثالهم وصورهم وميز اهل السعادة من اهل الشقاوة واما مخاطبتهم واستنطاقهم واقرارهم له بالربوبية وشهادتهم على انفسهم بالعبودية فمن قاله من السلف فانما هو بناء منه على فهم الاية والاية لم تدل على هذا

* بوجوده

بل دلت على خلافه واما حديث مالك فقال ابو عمر هو حديث منقطع مسلم بن يسار لم يلق عمر بن الخطاب وبينهما في هذا الحديث نعيم بن ربيعة وهو ايضا مع هذا الاسناد لا يقوم به حجة ومسلم بن يسار هذا مجهول قيل انه مدني وليس بمسلم بن يسار البصري قال ابن ابي خيثمة قرأت على يحيى بن معين حديث مالك هذا عن زيد بن ابي انيسة فكتب بيده على مسلم بن يسار لا يعرف ثم ساقه ابو عمر من طريق النسائي اخبرنا محمد بن وهب ثنا محمد بن سلمة قال حدثني ابو عبد الرحيم قال حدثني زيد بن ابي انيسة عن عبد الحميد ابن عبد الرحمن عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة * ثم ساقه من طريق خيثمة ثنا احمد بن عبد الملك بن واقد ثنا محمد بن سلمة عن ابي عبد الرحيم عن زيد بن ابي انيسة عن عبد الحميد عن مسلم عن نعيم * قال ابو عمر وزيادة من زاد في هذا الحديث نعيم بن ربيعة ليست حجة ان الذي لم يذكره احفظ وانما تقبل الزيادة من الحافظ المتقن وجملة القول في هذا الحديث انه حديث ليس اسناده بالقائم لان مسلم بن يسار ونعيم بن ربيعة جميعا غير معروفين بحمل العلم ولكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة ثابتة يطول ذكرها من حديث عمر بن الخطاب وغيره وجماعة يطول ذكرهم ومراد ابي عمر الاحاديث الدالة على القدر السابق فانها هي التي ساقها بعد ذلك فذكر حديث عبد الله بن عمر في القدر وقال في آخره وسأله رجل من مزينة او جهينة فقال يا رسول الله ففيم العمل فقال ان اهل الجنة

ييسرون لعمل اهل الجنة واهل النار ييسرون لعمل اهل النار ٭ قال وروى هذا المعنى في القدر عن النبي صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب واُبي بن كعب وعبد الله بن عباس وابن عمرو ابوهريرة وابوسعيد وابوسريحة الغفاري وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو وعمران بن حصين وعائشة وانس بن مالك وسراقة بن جعشم وابوموسى الاشعرى وعبادة ابن الصامت واكثر احاديث هؤلاء لها طرق شتى ثم ساق كثيرا منها باسناده واما حديث ابي صالح عن ابي هريرة فانما يدل على استخراج الذرية وتمثلهم في صور الذر وكان منهم حينئذ المشرق والمظلم وليس فيه انه سبحانه خلق ارواحهم قبل الاجساد واقرها بموضع واحد ثم يرسل كل روح من تلك الارواح عند حدوث بدنها اليه نعم هو سبحانه يخص كل بدن بالروح التى قدر ان يكون له في ذلك الوقت واما انه خلق نفس ذلك البدن في ذلك الوقت وفرغ من خلقها واودعها في مكان معطلة عن بدنها حتى اذا احدث بدنها ارسلها اليه من ذلك المكان فلا يدل شيء من الاحاديث على ذلك البتة لمن تاملها واما حديث اُبي ابن كعب فليس هو عن النبي صلى الله عليه وسلم وغايته لو صح ولم يصح ان يكون من كلام اُبيّ وهذا الاسناد يروى به اشياء منكرة جدا مرفوعة وموقوفة وابو جعفر الرازى وثق وضعف قال علي بن المديني كان ثقة وقال ايضا كان يخلط وقال ابن معين هو ثقة وقال ايضا يكتب حديثه الا انه يخطئ وقال الامام احمد ليس بقوي في الحديث وقال

ايضا صالح الحديث وقال الفلاس سيئ الحفظ وقال ابو زرعة يهم كثيرا وقال ابن حبان ينفرد بالمناكير عن المشاهير * قلت * ومما ينكر من هذا الحديث قوله فكان روح عيسى من تلك الارواح التي اخذ عليها الميثاق فارسل ذلك الروح الى مريم حين انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فدخل في فيها ومعلوم ان الروح الذي ارسل الى مريم ليس هو روح المسيح بل ذلك الروح نفخ فيها فحملت بالمسيح قال تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا * فروح المسيح لا يخاطبها عن نفسه بهذه المخاطبة قطعا وفي بعض طرق حديث ابي جعفر هذا ان روح المسيح هو الذي خاطبها وهو الذي ارسل اليها وههنا اربع مقامات * احدها * ان الله سبحانه استخرج صورهم وامثالهم فميز شقيهم وسعيدهم ومعافاهم من مبتلاهم * والثاني * ان الله سبحانه اقام عليهم الحجة حينئذ واشهدهم بربوبيته واستشهد عليهم ملائكته * الثالث * ان هذا هو تفسير قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم * الرابع * انه اقر تلك الارواح كلها بعد اخراجها بمكان وفرغ من خلقها وانما يتجدد كل وقت ارسال جملة منها بعد جملة الى ابدانها * فاما المقام الاول * فالاثار متظاهرة به مرفوعة وموقوفة * واما المقام الثاني * فانما اخذه من اخذه من المفسرين من الاية وظنوا انه تفسيرها وهذا قول جمهور المفسرين من اهل الاثر قال ابو اسحاق جائز ان يكون الله سبحانه جعل لامثال الذر التي اخرجها

منها

فيما تعقل به كما قال قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم * وقد سخر مع
داود الجبال تسبح معه والطير وقال ابن الانباري مذهب اهل الحديث
وكبراء اهل العلم في هذه الاية ان الله اخرج ذرية آدم من صلبه واصلاب
اولاده وهم في صور الذر فاخذ عليهم الميثاق انه خالقهم وانهم مصنوعون
فاعترفوا بذلك وقبلوا وذلك بعد ان ركب فيهم عقولا عرفوا
بها ما عرض عليهم كما جعل للجبل عقلا حين خوطب وكما فعل ذلك بالبعير
لما سجد والنخلة حتى سمعت وانقادت حين دعيت * وقال الجرجاني ليس
بين قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله مسح ظهر آدم فاخرج منه ذريته
وبين الاية اختلاف بحمد الله لانه عز وجل اذا اخذهم من ظهر آدم فقد
اخذهم من ظهور ذريته لان ذرية ادم ذرية لذريته بعضهم من بعض
وقوله تعالى ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين * اى عن الميثاق
الماخوذ عليهم فاذا قالوا ذلك كانت الملائكة شهودا عليهم باخذ الميثاق
قال وفي هذا دليل على التفسير الذى جاءت به الرواية من ان الله تعالى
قال للملائكة اشهدوا فقالوا اشهدنا قال وزعم بعض اهل العلم ان الميثاق
انما اخذ على الارواح دون الاجساد ان الارواح هي التى تعقل وتفهم
ولها الثواب وعليها العقاب والاجساد اموات لا تعقل ولا تفهم
قال وكان اسحق بن راهويه يذهب الى هذا المعنى وذكر انه قول
ابى هريرة قال اسحق واجمع اهل العلم انها الارواح قبل الاجساد
استنطقهم واشهدهم قال الجرجانى واحتجوا بقوله تعالى ولا تحسبن الذين

قتلوافى سبيل الله امواتا بل احياء * والاجساد قد بليت وضلت* في الارض والارواح ترزق وتفرح وهي التى تلذ وتالم وتفرح وتحزن وتعرف وتنكر وبيان ذلك في الاحلام موجود ان الانسان يصبح واثر لذة الفرح والم الحزن باق في نفسه مما تلاقى الروح دون الجسد قال وحاصل الفائدة في هذا الفصل انه سبحانه قد اثبت الحجة على كل منفوس ممن يبلغ وممن لم يبلغ بالميثاق الذي اخذه عليهم وزاد على من بلغ منهم الحجة بالايات والدلائل التى نصبها فى نفسه وفي العالم وبالرسل المنفذة اليهم مبشرين ومنذرين وبالمواعظ بالمثلات المنقولة اليهم اخبارها غير انه عز وجل لا يطالب احدا منهم من الطاعة الا بقدر ما لزمه من الحجة وركب فيهم من القدرة واتاهم من الادلة وبين سبحانه ماهو عامل فى البالغين الذين ادركوا الامر والنهي وحجب عنا علم ما قدره فى غير البالغين الا انا نعلم انه عدل لا يجور في حكمه وحكيم لا تفاوت في صنعه وقادر لا يسئل عما يفعل له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين *

﴿ فصل ﴾

ونازع هؤلاء غيرهم فى كون هذا معني الاية وقالوا معنى قوله واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذرياتهم * اى اخرجهم وانشأهم بعد ان كانوا نطفا فى اصلاب الاباء الى الدنيا على ترتيبهم في الوجود واشهدهم على انفسهم انه ربهم بما اظهر لهم من اياته وبراهينه التى تضطرهم الى

ان يعلموا انه خالقهم فليس من احد الا وفيه من صنعة ربه ما يشهد على
انه بارئه و نافذ الحكم فيه فلما عرفوا ذلك و دعاهم كل ما يرون
ويشاهدون الى التصديق به كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين على انفسهم
بصحته كما قال فى غير هذا الموضع شاهدين على انفسهم بالكفر * يريدهم
بمنزلة الشاهدين وان لم يقولوا نحن كفرة وكما تقول قد شهدت جوارحى
بقوالك تريد قد عرفته فكان جوارحي لو استشهدت وفى وسعها ان
تنطق لشهدت ومن هذا اعلامه وتبيينه ايضا شهد الله انه لا اله الا هو *
يريد اعلم وبين فاشبه ذلك شهادة من شهد عند الحكام وغيرهم هذا
كلام ابن الانباري وزاد الجرجاني بيانا لهذا القول فقال حاكيا عن
اصحابه ان الله لما خلق الخلق ونفذ علمه فيهم بما هو كائن و ما لم يكن بعد
مما هو كائن كالكائن اذ علمه بكونه مانع من غير كونه تابع فى مجاز العربية
ان يوضع ما هو منتظر بعد مما لم يقع بعد موقع الواقع لسبق علمه بوقوعه
كما قال عز وجل فى مواضع من القران كقوله و نادى اصحاب النار
و نادى اصحاب الجنة * و نادى اصحاب الاعراف * قال فيكون تاويل
قوله و اذ اخذ ربك و اذ ياخذ ربك و كذلك قوله واشهدهم على
انفسهم اى و يشهدهم بما ركبه فيهم من العقل الذى يكون به الفهم
و يجب به الثواب و العقاب وكل من ولد و بلغ الحنث وعقل الضر والنفع
و فهم الوعد والوعيد و الثواب و العقاب صار كان الله تعالى اخذ
عليه الميثاق فى التوحيد بما ركب فيه من العقل و اراه من الايات

والدلائل على حدوثه وانه لا يجوز ان يكون قد خلق نفسه واذا
لم يجز ذلك فلابد له من خالق هو غيره ليس كمثله وليس من مخلوق يبلغ
هذا المبلغ ولم يقدح فيه مانع من فهم الا اذا حزبه امر يفزع الى الله
عز وجل حين يرفع راسه الى السماء ويشير اليها باصبعه علما منه بان
خالقه تعالى فوقه واذا كان العقل الذي منه الفهم والافهام مؤديا
الى معرفة ماذكرناو دالا عليه فكل من بلغ هذا المبلغ فقد اخذ عليه
العهد والميثاق اذ جعل فيه السبب والالة الذين بهما يوخذ العهد
والميثاق وجائزان يقال له قداقر واذعن واسلم كما قال الله عز وجل ولله
يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها * قال واحتجوا بقوله
صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاثة عن الصبى حتى يحتلم وعن المجنون
حتى يفيق وعن النائم حتى ينتبه * وقوله عز وجل انا عرضنا الامانة على
السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها * ثم قال
وحملها الانسان * الامانة ههنا عهد وميثاق فامتناع السموات والارض
والجبال من حمل الامانة خلوها من العقل الذي يكون به الفهم والافهام
وحمل الانسان اياها لمكان العقل فيه قال وللعرب فيها ضروب نظم فمنها قوله

ضمن القنان لفقعس بثباتها * ان القنان لفقعس لايأتلي

والقنان جبل فذكر انه قد ضمن لفقعس وضمانه لهم انهم كانوا اذا حزبهم
امر من هزيمة اوخوف لجاؤا اليه فجعل ذلك كالضمان لهم ومنه قول النابغة

كاجارف الجولان من هلل ربه * وحوران منها خاشع متضائل

واجارف الجو لان جبالها وجور ان الارض التي الى جانبها وقال هذا القائل ان في قوله تعالى ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم * دليلا على هذا التاويل لانه عز وجل اعلم ان هذا الاخذ للعهد عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين والغفلة ههنا لا تخلوا من احد وجهين اما ان تكون عن يوم القيامة اوعن اخذ الميثاق فاما يوم القيامة فلم يذكر سبحانه في كتابه انه اخذ عليهم عهدا وميثاقا بمعرفة البعث والحساب وانما ذكر معرفته فقط واما اخذ الميثاق فالاطفال والاسقاط ان كان هذا العهد ماخوذا عليهم كما قال المخالف فهم لم يبلغوا بعد اخذ هذا الميثاق عليهم مبلغا يكون منهم غفلة عنه فيجحدونه وينكرونه فمتى تكون هذه الغفلة منهم وهو عز وجل لا يؤاخذهم بما لم يكن منهم وذكر ما لا يجوز ولا يكون محال وقوله تعالى او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فلا يخلو هذا الشرك الذي يؤاخذون به ان يكون منهم انفسهم او من ابائهم فان كان منهم فلا يجوز ان يكون ذلك الا بعد البلوغ وثبوت الحجة عليهم اذ الطفل لا يكون منه شرك ولا غيره وان كان من غيرهم فالامة مجمعة على ان لا تزر وازرة وزر اخرى كما قال عز وجل في الكتاب وليس هذا بمخالف لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله مسح ظهر آدم واخرج منه ذريته فاخذ عليهم العهد * لانه صلى الله عليه وسلم اقتص قول الله عز وجل فجاء مثل نظمه فوضع الماضي من اللفظ موضع

المستقبل قال وهذا اشبه القصة بقصة قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به* فجعل سبحانه ما انزل على الانبياء من الكتاب والحكمة ميثاقا اخذه من اممهم بعدهم يدل على ذلك قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه* ثم قال للامم اأقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين* فجعل سبحانه بلوغ الامم كتابه المنزل على انبيائهم حجة عليهم كأخذ الميثاق عليهم وجعل معرفتهم به اقرارا منهم* قلت* وشبيه به ايضا قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا* فهذا ميثاقه الذي اخذه عليهم بعد ارسال رسله اليهم بالايمان به وتصديقه ونظيره قوله تعالى والذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم* فهذا عهده اليهم على السنة رسله ومثله قوله تعالى لبني اسرائيل واوفوا بعهدي اوف بعهدكم* ومثله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه* وقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا* فهذا ميثاق اخذه منهم بعد بعثهم كما اخذ من اممهم بعد انذارهم وهذا الميثاق الذي لعن سبحانه من نقضه وعاقبه بقوله فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية* فانما عاقبهم بنقضهم الميثاق الذي اخذه

عليهم على السنة رسله وقد صرح به في قوله واذ اخذ نا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذ واما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون* ولما كانت هذه الاية ونظيرها في سورة مدنية خاطب بالتذكير بهذا الميثاق فيها اهل الكتاب فانه ميثاق اخذه عليهم بالايمان به وبرسله ولما كانت اية الاعراف في سورة مكية ذكر فيها الميثاق والاشهاد العام لجميع المكلفين ممن اقر بربوبيته ووحدانيته وبطلان الشرك وهو ميثاق واشهاد تقوم به عليهم الحجة وينقطع به العذر وتحل به العقوبة ويستحق بمخالفته الاهلاك فلا بد ان يكونوا ذاكرين له عارفين به وذلك ما فطرهم عليه من الاقرار بربوبيته وانه ربهم وفاطرهم وانهم مخلوقون مربوبون ثم ارسل اليهم رسله يذكرونهم بما في فطرهم وعقولهم ويعرفونهم حقه عليهم وامره ونهيه ووعده ووعيده ونظم الاية انما يدل على هذا من وجوه متعددة *احدها* انه قال واذ اخذ ربك من بني ادم ولم يقل ادم وبنو ادم غير ادم* الثاني* انه قال من ظهورهم ولم يقل ظهره وهذا بدل بعض من كل او بدل اشتمال وهو احسن *الثالث* انه قال ذرياتهم ولم يقل ذريته* الرابع* انه قال واشهدهم على انفسهم اي جعلهم شاهدين على انفسهم فلا بد ان يكون الشاهد ذاكرا لما شهد به وهو انما يذكر شهادته بعد خروجه الى هذه الدار لا يذكر شهادة قبلها* الخامس* انه سبحانه اخبر ان حكمة هذا الاشهاد اقامة الحجة عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين والحجة انما قامت عليهم بالرسل والفطرة التي فطروا

عليها كما قال تعالى رسلا مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل * السادس * تذكيرهم بذلك لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم انهم غافلون بالاخراج لهم من صلب ادم كلهم واشهادهم جميعا ذلك الوقت فهذا لا يذكره احد منهم * السابع * قوله تعالى او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم * فذكر حكمتين في هذا التعريف والاشهاد * احداهما * ان لا يدعوا الغفلة * والثانية * ان لا يدعوا التقليد فالغافل لا شعور له والمقلد متبع في تقليده لغيره * الثامن * قوله تعالى افتهلكنا بما فعل المبطلون * اي لو عذبهم بجحودهم وشركهم لقالوا ذلك و هو سبحانه انما يهلكهم لمخالفة رسله و تكذيبهم فلو اهلكهم بتقليدا بائهم في شركهم من غير اقامة الحجة عليهم بالرسل لاهلكهم بما فعل المبطلون او اهلكهم مع غفلتهم عن معرفة بطلان ما كانوا عليه و قد اخبر سبحانه انه لم يكن ليهلك القرى بظلم و اهلها غافلون * و انما يهلكهم بعد الاعذار و الانذار * التاسع * انه سبحانه اشهد كل واحد على نفسه انه ربه وخالقه واحتج عليهم بهذا الاشهاد في غير موضع من كتابه كقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فانى يؤفكون * اى فكيف يصرفون عن التوحيد بعد هذا الاقرار منهم ان الله ربهم وخالقهم و هذا كثير في القران فهذه هي الحجة التي اشهدهم على انفسهم بمضمونها و ذكرتهم بها رسله بقوله تعالى افي الله شك فاطر السموات و الارض * فالله تعالى انما ذكرهم على السنة رسله بهذا الاقرار والمعرفة ولم يذكرهم قط باقرار سابق على ايجادهم

ولا

ولا اقام به عليهم حجة * العاشر * انه جعل هذا اية وهي الدلالة الواضحة البينة المستلزمة لمدلولها بحيث لا يتخلف عنها المدلول وهذا شان ايات الرب تعالى فانها ادلة معينة على مطلوب معين مستلزمة للعلم به فقال تعالى وكذلك نفصل الايات * اى مثل هذا التفصيل والتبيين نفصل الايات لعلهم يرجعون من الشرك الى التوحيد ومن الكفر الى الايمان وهذه الايات التى فصلها هى التى بينها في كتابه من انواع مخلوقاته وهى آيات افقية ونفسية ايات في نفوسهم وذواتهم وخلقهم وآيات فى الاقطار والنواحي مما يحدثه الرب تبارك وتعالى مما يدل على وجوده ووحدانيته وصدق رسله وعلى المعاد والقيامة ومن ابينها ما اشهد به كل واحد على نفسه من انه ربه وخالقه ومبدعه وانه مربوب مخلوق مصنوع حادث بعد ان لم يكن ومحال ان يكون حدث بلا محدث او يكون هو المحدث لنفسه فلا بد له من موجد اوجده ليس كمثله شئ وهذا الاقرار والمشاهدة فطرة فطروا عليها ليست بمكتسبة وهذه الاية وهي قوله تعالى واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذرياتهم * مطابقة لقول النبى صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة * ولقوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه * ومن المفسرين من لم يذكر الا هذا القول فقط كالزمخشرى ومنهم من لم يذكر الا القول الاول فقط ومنهم من حكى القولين كابن الجوزي

و الواحدى والماوردي وغيرهم * قال الحسن بن يحيى الجرجاني فان
اعترض معترض فى هذا الفصل بحديث يروى عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان الله مسح ظهر ادم فاخرج منه ذريته واخذ عليهم
العهد ثم ردهم فى ظهره * وقال ان هذا مانع من جواز التاويل الذى
ذهبت اليه لامتناع ردهم في الظهر ان كان اخذ الميثاق عليهم بعد
البلوغ و تمام العقل * قيل له * ان معنى ثم ردهم فى ظهره ثم يردهم في ظهره
كما قلنا ان معنى اخذ ربك يا خذ ربك فيكون معناه ثم يردهم في ظهره
بوفاتهم لانهم اذا ماتوا ردوا الى الارض للدفن وادم خلق منها ورد
فيها فاذا ردوا فيها فقد ردوا في ادم وفي ظهره اذ كان ادم خلق منها
وفيها ردو بعض الشيء من الشيء وفيما ذهبتم اليه من تاويل هذا الحديث
على ظاهره تفاوت بينه وبين ما جاء به القران في هذا المعنى الا ان يرد
تاويله الى ما ذكرنا لانه عز وجل قال واذ اخذ ربك من بنى ادم من
ظهورهم ذرياتهم * ولم يذكر ادم فى القصة انما هو ههنا مضاف اليه لتعريف
ذريته انهم اولاده وفي الحديث انه مسح ظهر ادم فلا يمكن رد ما جاء
في القران وما جاء في الحديث الى الاتفاق الا بالتاويل الذى ذكرناه
قال الجرجاني وانا اقول ونحن الى ماروي في الاية عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما ذهب اليه اهل العلم من السلف الصالح امثل
وله اقبل وبه انس والله ولي التوفيق لما هو اولى واحدى على ان
بعض اصحابنا من اهل السنة قد ذكر فى الرد على هذا القائل معنى يحتمل

ويسوغ في النظم الجاري ومجاز العربية بسهولة وامكان من غير تعسف ولا استكراه وهو ان يكون قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم * مبتدأ خبره من الله عز وجل عما كان منه في اخذ العهد عليهم واذ يقتضي جوابا يجعل جوابه قوله تعالى قالوا بلى * وانقطع هذا الخبر بتمام قصته ثم ابتدأ عز وجل خبرا اخر بذكر ما يقوله المشركون يوم القيامة فقالوا شهدنا يعني نشهد كما قال الحطية *

شهد الحطية حين يلقى ربه * ان الوليد احق بالعذر

يعني يشهد الحطية يقول تعالى نشهد انكم ستقولون يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين اي عما تم فيه من الحساب والمناقشة والمواخذة بالكفر ثم اضاف اليه خبرا اخر فقال او تقولوا بمعنى وان تقولوا لان او بمعنى واو النسق مثل قوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا معناه وكفورا فكانه نشهد ان تقولوا يوم القيامة انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم اي انهم اشركوا وحملونا على مذهبهم في الشرك في صبانا فجرينا على مذاهبهم واقتدينا بهم فلا ذنب لنا اذ كنا مقتدين بهم والذنب في ذلك لهم قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون يدل على ذلك قولهم افتهلكنا بما فعل المبطلون اي حملهم ايانا على الشرك فتكون القصة الاولى خبرا عن جميع المخلوقين باخذ الميثاق عليهم والقصة الثانية خبرا عما يقول المشركون يوم القيامة من الاعتذار وقال فيما ادعاه المخالف انه تفاوت فيما بين الكتاب والخبر لاختلاف الفاظها فيها قول لا يجب قبوله بالالفاظ ثم والعبر التي تأيدها

لخالفته فقال ان الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله مسح
ظهر ادم * افادزيادة خبر كان في القصة التى ذكر الله تعالى في الكتاب
بعضها ولم يذكر كلها ولو اخبر صلى الله عليه وسلم بسوى هذه الزيادة
التى اخبر بها فما عسى ان يكون قد كان في ذلك الوقت الذى اخذ فيه
العهد مالم يضمنه الله كتابه لماكان في ذلك خلاف ولا تفاوت بل كان
زيادة فى الفائدة وكذلك الالفاظ اذا اختلفت في ذاتها وكان مرجعها
الى امر واحد لم يوجب ذلك تناقضا كماقال عزوجل في كتابه في خلق ادم
فذكر مرة انه خلق من تراب * ومرة انه خلق من حمأ مسنون * ومرة من
طين لازب * ومرة من صلصال كالفخار * فهذه الالفاظ مختلفة ومعانيها
ايضا في الاحوال مختلفة ان الصلصال غير الحمأة والحمأة غير التراب الا
ان مرجعها كلها فى الاصل الى جوهر واحد وهو التراب ومن التراب
تدرجت هذا الاحوال فقوله سبحانه وتعالى واذ اخذ ربك من
بنى ادم من ظهورهم ذرياتهم * وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله مسح ظهر
ادم فاستخرج منه ذريته * معنى واحد في الاصل الا ان قوله صلى الله
عليه وسلم مسح ظهر ادم * زيادة فى الخبر عن الله عزوجل ومسحه عزوجل
ظهر ادم واستخراج ذريته منه مسح لظهور ذريته واستخراج
ذرياتهم من ظهورهم كما ذكر تعالى لانا قد علمنا ان جميع ذرية ادم
لم يكونوا من صلبه لكن لما كان الطبق الاول من صلبه ثم الثانى من صلب
الاول ثم الثالث من صلب الثانى جاز ان ينسب ذلك كله الى ظهر ادم

لانهم

لانهم فرعه وهو اصلهم وكما جاز ان يكون ماذكر الله عز وجل انه استخرجه من ظهور ذرية ادم من ظهر ادم جاز ان يكون ماذكر صلى الله عليه وسلم انه استخرجه من ظهر آدم من ظهور ذريته اذ الاصل والفرع شيء واحد وفيه ايضا انه عز وجل لما اضاف الذرية الى آدم في الخبر احتمل ان يكون الخبر عن الذرية وعن آدم كما قال عز وجل فظلت اعناقهم لها خاضعين * والخبر في الظاهر عن الاعناق والنعت للاسماء المكنية فيها وهو مضاف اليها كما كان ادم مضافا اليه هناك وليسا جميعا بالمقصودين في الظاهر بالخبر ولا يحتمل ان يكون قوله خاضعين للاعناق لان وجه جمعها خاضعات ومنه قول الشاعر *

و تشرق بالقول الذي قد اذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

فالصدر مذكر وقوله شرقت انث لاضافة الصدر الى القناة *

﴿ فصل ﴾

فهذا بعض كلام السلف والخلف في هذه الاية وعلى كل تقدير فلا يدل على خلق الارواح قبل الاجساد خلقا مستقرا وانما غايتها ان تدل على اخراج صورهم وامثالهم في صور الذر واستنطاقهم ثم ردهم الى اصلهم ان صح الخبر بذلك والذي صح انما هو اثبات القدر السابق وتقسيمهم الى شقي وسعيد واما استدلال ابي محمد بن حزم بقوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم * فما اليق هذا الاستدلال بظاهريته لترتيب الامر بالسجود لآدم على خلقنا وتصويرنا والخطاب

للجملة المركبة من البدن والروح وذلك متاخر عن خلق آدم ولهذا قال ابن عباس ولقد خلقناكم يعني ادم ثم صورناكم لذريته ومثال هذا ما قاله مجاهد خلقناكم يعني ادم وصورناكم في ظهر آدم وانما قال خلقناكم بلفظ الجمع وهو يريد آدم كما تقول ضربناكم وانما ضربت سيدهم واختار ابو عبيد في هذه الاية قول مجاهد لقوله تعالى بعد ثم قلنا للملائكة اسجدوا * وكان قوله تعالى للملائكة اسجدوا قبل خلق ذرية ادم وتصويرهم في الارحام وثم توجب التراخي والترتيب فمن جعل الخلق والتصوير في هذه الاية لاولاد ادم في الارحام يكون قد راعى حكم ثم في الترتيب الا ان ياخذ بقول الاخفش فانه يقول ثم ههنا في معنى الواو وقال الزجاج وهذا خطأ لا يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه قال ابو عبيد وقد بينه مجاهد حين قال ان الله تعالى خلق ولد ادم وصورهم في ظهره ثم امر بعد ذلك بالسجود قال وهذا بين في الحديث وهو انه اخرجهم من ظهره في صور الذر * قلت * والقران يفسر بعضه بعضا ونظير هذه الاية قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة * فاوقع الخلق من تراب عليهم وهو لابيهم ادم اذ هو اصلهم والله سبحانه يخاطب الموجودين والمراد اباؤهم كقوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون * وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد الاية وقوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها * وقوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم

ورفعنا

ور فعنافو فكم الطور * وهو كثير فى القران يخاطبهم و المراد به اباؤهم فهكذا قوله و لقد خلقناكم ثم صورناكم و قد يستطرد سبحانه من ذكر الشخص الى ذكر النوع كقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * فالمخلوق من سلالة من طين ادم والمجعول نطفة في قرار مكين ذريته واما حديث خلق الارواح قبل الاجساد بالفي عام فلا يصح اسناده ففيه عتبة بن السكن قال الدارقطني متروك وارطاة بن المنذر قال ابن عدى بعض احاديثه غلط *

فصل

واما الدليل على ان خلق الارواح متأخر عن خلق ابدانها فمن وجوه * احدها * ان خلق ابى البشر و اصلهم كان هكذا فان الله سبحانه ارسل جبريل فقبض قبضة من الارض ثم خمرها حتى صارت طينا ثم صوره ثم نفخ فيه الروح بعد ان صوره فلما دخلت الروح فيه صار لحما و دما حيا ناطقا ففي تفسير ابي مالك و ابى صالح عن ابن عباس و عن مرة عن ابن مسعود و عن اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله عز و جل من خلق ما احب استوى على العرش فجعل ابليس ملكا على سماء الدنيا وكان من الخزان قبله من ملائكة يقال لهم الجن و انما سموا الجن لانهم خزان اهل الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع في صدره و قال ما اعطاني الله هذا الا لمزية لى و في لفظ لمزية لى على الملائكة فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك منه فقال الله للملائكة اني جاعل فى الارض خليفة

فصل في الدليل على ان خلق الارواح متأخر عن خلق ابدانها

قالوا ربنا وما يكون حال الخليفة وما يصنعون في الارض قال الله تكون
له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا قالوا ربنا
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك
قال اني اعلم ما لا تعلمون * يعني من شان ابليس فبعث جبريل الى الارض
ليأتيه بطين منها فقالت الارض اني اعوذ بالله منك ان تقبض مني فرجع
ولم ياخذ وقال رب انها عاذت بك فاعذتها فبعث ميكائيل فعاذت منه
فاعاذها فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال وانا اعوذ بالله ان ارجع
ولم انفذ امره فاخذ من وجه الارض وخلط فلم ياخذ من مكان
واحد فاخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ولذلك خرج بنو ادم مختلفين
فصعد به قبل الرب عز وجل حتى عاد طينا لازبا واللازب هو الذي يلزق
بعضه ببعض ثم قال للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه
من روحي فقعوا له ساجدين فخلقه الله بيده لكيلا يتكبر ابليس عنه ليقول له
تتكبر عما عملت بيدي ولم اتكبر انا عنه فخلقه بشرا فكان جسدا من طين
اربعين سنة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه وكان اشدهم منه فزعا
ابليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار تكون له
صلصلة فذلك حين يقول من صلصال كالفخار ويقول لامر ما خلقت
ودخل من فيه فخرج من دبره فقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فان ربكم
صمد وهذا اجوف لئن سلطت عليه لاهلكنه فلما بلغ الحين الذي
يريد الله جل ثناؤه ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه من

روحي

روحي فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في راسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله فقال له الله يرحمك ربك فلما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام قبل ان يبلغ الروح رجليه فنهض عجلان الى ثمار الجنة فذلك حين يقول خلق الانسان من عجل ه وذكر باقي الحديث وقال يونس بن عبد الاعلى اخبرنا ابن وهب ثنا ابن زيد قال لما خلق الله النار ذعرت منها الملائكة ذعرا شديدا وقالوا ربنا لم خلقت هذه النار ولاي شيء خلقتها قال لمن عصاني من خلقي ولم يكن لله يومئذ خلق الا الملائكة والارض ليس فيها خلق انما خلق ادم بعد ذلك وقرأ قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا * قال عمر بن الخطاب يا رسول الله ليت ذلك الحين ثم قال وقالت الملائكة ويأتي علينا دهر نعصيك فيه لا يرون له خلقا غيرهم قال لا اني اريد ان اخلق في الارض خلقا واجعل فيها خليفة وذكر الحديث قال ابن اسحق فيقال والله اعلم خلق الله ادم ثم وضعه ينظر اليه اربعين عاما قبل ان ينفخ فيه الروح حتى عاد صلصالا كالفخار ولم تمسسه نار فيقال والله اعلم لما انتهى الروح الى رأسه عطس فقال الحمد لله وذكر الحديث * والقران والحديث والاثار تدل على انه سبحانه نفخ فيه من روحه بعد خلق جسده فمن تلك النفخة حدثت فيه الروح ولو كانت روحه مخلوقة قبل بدنه مع جملة ارواح ذريته لما عجبت الملائكة من خلقه ولما تعجبت من خلق النار وقالت لاي شيء خلقتها

وهي ترى ارواح بنى ادم فيهم المؤمن والكافر والطيب والخبيث ولما كانت ارواح الكفار كلها تبعا لابليس بل كانت الارواح الكافرة مخلوقة قبل كفره فان الله سبحانه انما حكم عليه بالكفر بعد خلق بدن ادم وروحه ولم يكن قبل ذلك كافرا فكيف تكون الارواح قبله كافرة ومؤمنة وهو لم يكن كافرا اذذاك وهل حصل الكفر للارواح الا بتزيينه واغوائه فالارواح الكافرة انما حدثت بعد كفره الا ان يقال كانت كلها مؤمنة ثم ارتدت بسببه والذى احتجوا به على تقديم خلق الارواح يخالف ذلك وفي حديث ابي هريرة في تخليق العالم الاخبار عن خلق اجناس العالم وتاخر خلق ادم الى يوم الجمعة ولو كانت الارواح مخلوقة قبل الاجساد لكانت من جملة العالم المخلوق في ستة ايام فلما لم يخبر عن خلقها فى هذه الايام علم ان خلقها تابع لخلق الذرية وان خلق ادم وحده هو الذي وقع في تلك الايام الستة واما خلق ذريته فعلى الوجه المشاهد المعاين ولو كان للروح وجود قبل البدن وهى حية عالمة ناطقة لكانت ذاكرة لذلك في هذا العالم شاعرة به ولو بوجه ما ومن الممتنع ان تكون حية عالمة ناطقة عارفة بربها وهى بين ملأ من الارواح ثم تنتقل الى هذا البدن ولا تشعر بحالها قبل ذلك بوجه ما واذا كانت بعد المفارقة تشعر بحالها وهي فى البدن على التفصيل وتعلم ما كانت عليه ههنا مع انها اكتسبت بالبدن امورا عاقتها عن كثير من كمالها فلان تشعر بحالها الاول وهي غير معوقة هناك بطريق الاولى الا ان يقال تعلقها

بالبدن واشتغالها بتدبيره منعهامن شعورها بحالها الاول فيقال فهب انه منعهامن شعورهابه على التفصيل والكمال فهل يمنعها عن ادنى شعور بوجه ما مما كانت عليه قبل تعلقها بالبدن ومعلوم ان تعلقها بالبدن لم يمنعها عن الشعور باول احوالها وهي في البدن فكيف يمنعها من الشعور بما كان قبل ذلك * وايضا فانها لو كانت موجودة قبل البدن لكانت عالمة حية ناطقة عاقلة فلما تعلقت بالبدن سلبت ذلك كله ثم حدث لها الشعور والعلم والعقل شيئا فشيئا وهذا لو كان لكان من اعجب الامور ان تكون الروح كاملة عاقلة ثم تعود ناقصة ضعيفة جاهلة ثم تعود بعد ذلك الى عقلها وقوتها فاين في العقل والنقل والفطرة ما يدل على هذا وقد قال تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون * فهذه الحال التى اخرجنا عليها هى حالنا الاصلية والعلم والعقل والمعرفة والقوة طار علينا حادث فينا بعد ان لم يكن ولم نكن نعلم قبل ذلك شيئا البتة اذ لم يكن لنا وجود نعلم ونعقل به وايضا لو كانت مخلوقة قبل الاجساد وهى على ما هي الان من طيب وخبث وكفر وايمان وخير وشر لكان ذلك ثابتا لها قبل الاعمال وهي انما اكتسبت هذه الصفات والهيئات من اعمالها التى سعت في طلبها واستعانت عليها بالبدن فلم تكن لتتصف بتلك الهيئات والصفات قبل قيامها بالابدان التى بها عملت تلك الاعمال وان كان قدر لها قبل ايجادها ذلك ثم خرجت الى هذه الدار على ما قدر لها فنحن

لا ننكر الكتاب و القدر السابق لها من الله و لو دل دليل على انها خلقت جملة ثم اودعت في مكان حية عالمة ناطقة ثم كل وقت تبرز الى ابدانها شيئا فشيئا لكنا اول قائل به فالله سبحانه على كل شئ قدير ولكن لا نخبر عنه خلقا و امرا الا بما اخبر به عن نفسه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم و معلوم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخبر عنه بذلك و انما اخبر بما في الحديث الصحيح ان خلق ابن ادم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح فالملك وحده يرسل اليه فينفخ فيه فاذا نفخ فيه كان ذلك سبب حدوث الروح فيه ولم يقل يرسل الملك اليه بالروح فيدخلها في بدنه وانما ارسل اليه الملك فاحدث فيه الروح بنفخته فيه لا ان الله سبحانه ارسل اليه الروح التي كانت موجودة قبل ذلك بالزمان الطويل مع الملك ففرق بين ان يرسل اليه ملك ينفخ فيه الروح و بين ان يرسل اليه روح مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك و تامل ما دل عليه النص من هذين المعنيين و بالله التوفيق *

المسئلة التاسعة عشر وهي ما حقيقة النفس

﴿فصل﴾ * * * ﴿واما المسئلة التاسعة عشر وهي ما حقيقة النفس هل هي جزء من اجزاء البدن او عرض من اعراضه او جسم مساكن له مودع فيه او جوهر مجرد و هل هي الروح او غيرها وهل الامارة واللوامة والمطمئنة نفس واحدة لها هذه الصفات ام هي ثلاثة انفس﴾

 فالجواب

* فالجواب * ان هذه مسائل قد تكلم الناس فيها من سائر الطوائف واضطربت اقوالهم فيها وكثر فيها خطؤهم وهدى الله اتباع الرسول واهل سنته لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم فنذكر اقوال الناس ومالهم وما عليهم في تلك الاقوال ونذكر الصواب بحمد الله وعونه * قال ابو الحسن الاشعرى في مقالاته اختلف الناس في الروح والنفس والحيوة وهل الروح هي الحيوة او غيرها وهل الروح جسم ام لا فقال النظام الروح جسم وهي النفس وزعم ان الروح حي بنفسه وانكر ان تكون الحيوة والقوة معنى غير الحي القوي وقال اخرون الروح عرض وقال قائلون منهم جعفر بن حرب لا ندري الروح جوهر او عرض كذا قال واعتلوا في ذلك بقوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى * ولم يخبر عنها ما هي لا انها جوهر ولا عرض قال واظن جعفر اثبت الحيوة غير الروح واثبت الحيوة عرضا وكان الجبائي يذهب الى ان الروح جسم وانها غير الحيوة والحيوة عرض ويعتل بقول اهل اللغة خرجت روح الانسان وزعم ان الروح لا تجوز عليها الاعراض وقال قائلون ليس الروح شيئا اكثر من اعتدال الطبائع الاربعة ولم يرجعوا من قولهم الا الى المعتدل ولم يثبتوا في الدنيا شيئا الا الطبائع الاربعة التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وقال قائلون ان الروح معنى خامس غير الطبائع الاربعة وانه ليس في الدنيا الا الطبائع الاربعة والروح واختلفوا في الروح فبينها بعضهم طباعا وبينها

بعضهم اجساد او قال قائلون الروح الدم الصافي الخالص من الكدر والعفونات وكذلك قالوا في القوة وقال قائلون الحيوة هي الحرارة الغريزية وكل هؤلاء الذين حكينا اقوالهم في الروح من اصحاب الطبائع يثبتون ان الحيوة هي الروح وكان الاصم لا يثبت الحيوة والروح شيئا غير الجسد ويقول ليس اعقل الا الجسد الطويل العريض العميق الذى اراه واشاهده وكان يقول النفس هي هذا البدن بعينه لا غير وانما جرى عليها هذا الذكر على جهة البيان والتاكيد بحقيقة الشيء لا انها معنى غير البدن وذكر عن ارسطاطاليس ان النفس معنى مرتفع عن الوقوع تحت الحس واللون وانها جوهر بسيط منبث في العالم كله من الحيوان على جهة الاعمال له والتدبير وانه لا يجوز عليه صفة قلة ولا كثرة قال وهي على ما وصفت من انبساطها في هذا العالم غير منقسمة الذات والبنية وانها في كل حيوان العالم بمعنى واحد لا غير وقال آخرون بل النفس معنى موجود ذات حد ودو اركان وطول وعرض وعمق وانها غير مفارقة في هذا العالم لغيرها فيما يجرى عليه حكم الطول والعرض والعمق وكل واحد منها يجمعها صفة الحد والنهاية وقالت طائفة ان النفس موصوفة بما وصفها هؤلاء الذين قدمنا ذكرهم من معنى الحدود والنهايات الا انها غير مفارقة لغيرها مما لا يجوز ان يكون موصوفا بصفة الحيوان وحكى الحريري عن جعفر بن مبشر ان النفس جوهر ليس هو هذا الجسم وليس بجسم ولكنه معنى بائن الجوهر والجسم وقال اخرون النفس معنى غير

الروح والروح غير الحيوة والحيوة عنده عرض وهو ابو الهذيل وزعم انه قد يجوز ان يكون الانسان في حال نومه مسلوب النفس والروح دون الحيوة واستشهد على ذلك بقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها * وقال جعفر بن حرب النفس عرض من الاعراض يوجد في هذا الجسم وهو احد الالات التي يستعين بها الانسان على الفعل كالصحة والسلامة وما اشبهها وانها غير موصوفة بشيء من صفات الجواهر والاجسام هذا ما حكاه الاشعري وقالت طائفة النفس هي النسيم الداخل والخارج بالتنفس قالوا والروح عرض وهو الحيوة فقط وهو غير النفس وهذا قول القاضي ابي بكر بن الباقلاني ومن اتبعه من الاشعرية وقالت طائفة ليست النفس جسما ولا عرضا وليست النفس في مكان ولا لها طول ولا عرض ولا عمق ولا لون ولا بعض ولا هي في العالم ولا خارجة ولا مجانبة له ولا مباينة وهذا قول المشائين وهو الذي حكاه الاشعري عن ارسطاطاليس وزعموا ان تعلقها بالبدن لا بالحلول فيه ولا بالمجاورة ولا بالمساكنة ولا بالالتصاق ولا بالمقابلة وانما هو بالتدبير له فقط واختار هذا المذهب البوسنجي ومحمد بن النعمان الملقب بالمفيد ومعمر ابن عباد والغزالي وهو قول ابن سيناء واتباعه وهو اردى المذاهب وابطلها وابعدها من الصواب * قال ابو محمد بن حزم وذهب سائر اهل الاسلام والملل المقرة بالمعاد الى ان النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكان جثة مقهرة مصرفة للجسد قال وبهذا نقول قال والنفس

والروح اسمان مترادفان لمعنى واحد ومعناهما واحد وقد ضبط ابو عبد الله
ابن الخطيب مذاهب الناس في النفس فقال ما يشير اليه كل انسان بقوله
انا اما ان يكون جسما او عرضا ساريا في الجسم او لا جسما ولا عرضا ساريا
فيه اما القسم الاول وهو انه جسم فذلك الجسم اما ان يكون هو هذا
البدن واما ان يكون جسما مشاركا لهذا البدن واما ان يكون خارجا عنه
اما القسم الثالث وهو ان نفس الانسان عبارة عن جسم خارج
عن هذا البدن فهذا لم يقله احد واما القسم الاول وهو ان الانسان
عبارة عن هذا البدن والهيكل المخصوص فهو قول جمهور الخلق وهو المختار
عند اكثر المتكلمين * قلت * هو قول جمهور الخلق الذين عرف الرازى
اقوالهم من اهل البدع وغيرهم من المضلين واما اقوال الصحابة والتابعين
واهل الحديث فلم يكن له بها شعور البتة ولا اعتقد ان لهم في ذلك قولا
على عادته في حكاية المذاهب الباطلة في المسئلة والمذهب الحق الذى
دل عليه القران والسنة واقوال الصحابة لم يعرفه ولم يذكره وهذا
الذي نسبه الى جمهور الخلق من ان الانسان هو هذا البدن المخصوص
فقط وليس وراءه شيء هو من ابطل الاقوال في المسئلة بل هو ابطل من قول
ابن سيناء واتباعه بل الذى عليه جمهور العقلاء ان الانسان هو البدن
والروح معا وقد يطلق اسمه على احدهما دون الاخر بقرينة فالناس لهم اربعة
اقوال فى مسمى الانسان * هل هو الروح فقط * او البدن فقط * او مجموعهما
* او كل واحد منهما * وهذه الاقوال الاربعة لهم في كلامه هل هو اللفظ فقط

او المعنى

او المعنى فقط * او مجموعهما * او كل واحد منهما * فالخلاف بينهم في الناطق ونطقه قال الرازى واما القسم الثاني وهو ان الانسان عبارة عن جسم مخصوص موجود في داخل هذا البدن فالقائلون بهذا القول اختلفوا في تعيين ذلك الجسم على وجوه * الاول * انه عبارة عن الاخلاط الاربعة التى منها يتولد هذا البدن * والثانى * انه الدم * والثالث * انه الروح اللطيف الذى يتولد في الجانب الايسر من القلب وينفذ في الشريانات الى سائر الاعضاء * والقول الرابع * انه الروح الذى يصعد فى القلب الى الدماغ ويتكيف بالكيفية الصالحة لقبول قوة الحفظ والفكر والذكر * والخامس * انه جزء لايتجزأ في القلب * والسادس * انه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ فى جوهر الاعضاء ويسري فيها سريان الماء فى الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم فمادامت هذه الاعضاء صالحة لقبول الاثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقى ذلك الجسم اللطيف مشابكا لهذه الاعضاء وافادها هذه الاثار من الحس والحركة الارادية واذا فسدت هذه الاعضاء بسبب استيلاء الاخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الاثار فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الارواح وهذا القول هو الصواب فى المسئلة وهو الذي لايصح غيره وكل الاقوال سواه باطلة وعليه دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة وادلة العقل والفطرة ونحن نسوق

* القول الصواب في حقيقة الروح الذى دل عليه الكتاب والسنة واجماع الصحابة وادلة العقل وذكر دلائله *

الادلة عليه على نسق واحد * الدليل الاول * قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى * ففي الاية ثلاثة ادلة الاخبار بتوفيها وامساكها وارسالها * الرابع * قوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون * الى قوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة * وفيها اربعة ادلة * احدها * بسط الملائكة ايديهم لتناولها * الثاني * وصفها بالاخراج والخروج * الثالث * الاخبار عن عذابها ذلك اليوم * الرابع * الاخبار عن مجيئها الى ربها فهذه سبعة ادلة * الثامن * قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم * الى قوله حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * وفيها ثلاثة ادلة * احدها * الاخبار بتوفى الانفس بالليل * الثاني * بعثها الى اجسادها بالنهار * الثالث * توفى الملائكة له عند الموت فهذه عشرة ادلة * الحادي عشر * قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلى في عبادي وادخلى جنتى * وفيها ثلاثة ادلة * احدها * وصفها بالرجوع * والثاني * وصفها بالدخول * والثالث * وصفها بالرضاء * واختلف السلف هل يقال لها ذلك عند الموت او عند البعث او في الموضعين على ثلاثة اقوال وقد روي في حديث مرفوع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الصديق اما ان الملك

سيقولها

سيقولها لك عند الموت وقال زيد بن اسلم بشرت بالجنة عند الموت ويوم الجمع وعند البعث وقال ابو صالح ارجعي الى ربك راضية مرضية هذا عند الموت فادخلي في عبادى وادخلي جنتي * قال هذا يوم القيامة فهذه اربعة عشر دليلا * الخامس عشر * قوله صلى الله عليه وسلم ان الروح اذا قبض تبعه البصر * ففيه دليلان * احدهما * وصفه بانه يقبض * والثاني * ان البصر يراه * والسابع عشر * ما رواه النسائي ثنا ابو داؤد عن عفان عن حماد عن ابي جعفر عن عمارة بن خزيمة ان اباه قال رأيت في المنام كاني اسجد على جبهة النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فقال ان الروح ليلقى الروح فاقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا قال عفان براسه الى خلفه فوضع جبهته (۱) النبي صلى الله عليه وسلم * فاخبر ان الارواح تتلاقى فى المنام وقد تقدم قول ابن عباس تلتقي ارواح الاحياء والاموات في المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله ارواح الموتى * الثامن عشر * قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بلال ان الله قبض ارواحكم وردها اليكم حين شاء * ففيه دليلان وصفها بالقبض والرد * العشرون * قوله صلى الله عليه وسلم نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة * وفيه دليلان * احدهما * كونها طائرا * الثاني * تعلقها فى شجر الجنة واكلها على اختلاف التفسيرين * الثاني والعشرون * قوله ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وتأوي الى قناديل معلقة بالعرش فاطلع اليهم ربك اطلاعة فقال اي شئ تريدون الحديث وقد تقدم وفيه ستة ادلة * احدها *

(۱) هكذا في الاصل ولعله فوضع جبهته على جبهة النبي صلى الله عليه وسلم — ۱۲

كونها مودعة في جوف طير * الثانى * انها تسرح في الجنة * الثالث * انها تأكل من ثمارها وتشرب من انهارها * الرابع * انها تأوي الى تلك القناديل اى تسكن اليها * الخامس * ان الرب تعالى خاطبها واستنطقها فاجابته وخاطبته * السادس * انها طلبت الرجوع الى الدنيا فعلم انها مما يقبل الرجوع * فان قيل * هذا كله صفة الطير لا صفة الروح * قيل * بل الروح المودعة في الطير قصدا وعلى الرواية التى رجحها ابو عمرو هي قوله ارواح الشهداء كطير ينفى السوال بالكلية * التاسع والعشرون * قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث طلحة ابن عبيد الله اردت مالى بالغابة فادركني الليل فاويت الى قبر عبد الله ابن عمرو بن حرام فسمعت قراءة من القبر ما سمعت احسن منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك عبد الله الم تعلم ان الله قبض ارواحهم فجعلها فى قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنة فاذا كان الليل ردت اليهم ارواحهم فلا تزال كذلك حتى اذا طلع الفجر ردت ارواحهم الى مكانها التي كانت * وفيه اربعة ادلة سوى ما تقدم * احدها * جعلها في القناديل * الثاني * انتقالها من حيز الى حيز * الثالث * تكلمها وقراءتها فى القبر * الرابع * وصفها بانها في مكان * الثالث والثلاثون * حديث البراء بن عازب وقد تقدم سياقه وفيه عشرون دليلا * احدها * قول ملك الموت لنفسه يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية * وهذا الخطاب لمن يفهم ويعقل * الثانى * قوله اخرجي الى مغفرة من الله

ورضوان * الثالث * فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء
* الرابع * قوله فلا يدعونها في يده طرفة عين حتى ياخذوها منه
* الخامس * قوله حتى يكفنوها في ذلك الكفن ويحنطوها بذلك
الحنوط فاخبر انها تكفن وتحنط * السادس * قوله ثم يصعد بروحه
الى السماء * السابع * قوله ويوجد منها كاطيب نفحة مسك وجدت
* الثامن * قوله فيفتح له ابواب السماء * التاسع * قوله ويشيعه من كل سماء
مقربوها حتى ينتهي الى الرب تعالى * العاشر * قوله فيقول الله تعالى
ردوا عبدى الى الارض * الحادي عشر * قوله فترد روحه في
جسده * الثاني عشر * قوله في روح الكافر فتفرق في جسده فيجذ بها
فتنقطع منها العروق والعصب * الثالث عشر * قوله ويوجد لروحه
كانتن ريح وجدت على وجه الارض * الرابع عشر * قوله فيقذف بروحه
من السماء وتطرح طرحا فتهوى الى الارض * الخامس عشر * قوله فلا
يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الطيب وما هذا
الروح الخبيث * السادس عشر * قوله فيجلسانه ويقولان له ما كنت
تقول في هذا الرجل * فان كان هذا للروح فظاهر وان كان للبدن فهو
بعد رجوع الروح اليه من السماء * السابع عشر * قوله فاذا صعد بروحه
قيل اى رب عبدك فلان * الثامن عشر * قوله ارجعوه فاروه ماذا
اعددت له من الكرامة فيرى مقعده من الجنة او النار * التاسع عشر * قوله
في الحديث اذا خرجت روح المرء من صلى عليها كل ملك لله بين السماء

والارض فالملائكة تصلي على روحه وبنو ادم يصلون على جسده

* العشرون * قوله فينظر الى مقعده من النار حتى تقوم الساعة والبدن قد تمزق وتلاشى وانما الذى يرى المقعدين الروح *

فصل

* الرابع والخمسون * حديث ابي موسى تخرج نفس المؤمن اطيب من ريح المسك فتنطلق بها الملائكة الذين يتوفونه فتلقاهم ملائكة من دون السماء فيقولون هذا فلان ابن فلان كان يعمل كيت وكيت بمحاسن عمله فيقولون مرحبا بكم وبه فيقبضونها منهم فيصعد به من الباب الذى كان يصعد منه عمله فتشرق في السموات وهو كبرهان الشمس حتى ينتهى بها الى العرش واما الكافر فاذا قبض انطلق بروحه فيقولون من هذا فيقولون فلان ابن فلان كان يعمل كيت وكيت لمساوى اعماله فيقولون لا مرحبا لا مرحبا ردوه فيرد الى اسفل الارض الى الثرى ففيه عشرة ادلة * احدها * خروج نفسه * الثاني * طيب ريحها * الثالث * انطلاق الملائكة بها * الرابع * تحية الملائكة لها * الخامس * قبضهم لها * السادس * صعودهم بها * السابع * اشراق السموات لضوئها * الثامن * انتهاؤها الى العرش * التاسع * قول الملائكة من هذا وهذا سوال عن عين وذات قائمة بنفسها * العاشر * قوله ردوه الى اسفل الارضين *

فصل

* الرابع والستون * حديث ابي هريرة اذا خرجت روح المؤمن تلقاه

ملكان

ملكان فيصعد انه الى السماء فيقول اهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الارض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه وذكر المسك ثم يصعد به الى ربه عزوجل فيقول ردوه الى اخر الاجلين ففيه ستة ادلة * احدها * قوله يلقاه ملكان * الثاني * قوله فيصعدانه الى السماء * الثالث * قول الملائكة روح طيبة جاءت من قبل الارض * الرابع * صلاتهم عليها * الخامس * طيب ريحها * السادس * الصعود بها الى الله عز وجل *

فصل

* الحادى والسبعون * حديث ابي هريرة ان المؤمن تحضره الملائكة واذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب اخرجي حميدة وابشرى بروح وريحان ورب غيرغضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج فيعرج بها حتى ينتهي بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان ابن فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلى حميدة وابشرى بروح وريحان ورب غيرغضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها الى السماء التى فيها الله عز وجل واذا كان الرجل السوء قال اخرجى ايتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وابشرى بحميم وغساق واخرمن شكله ازواج فلا يزال يقال لها حتى تخرج فينتهى بها الى السماء فيقال من هذا فيقال فلان ابن فلان فيقال لامرحبا بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ارجعى ذميمة فانه لاتفتح لك ابواب السماء فترسل الى

الارض ثم تصير الى القبر * وهو حديث صحيح وفيه عشرة ادلة * احدها * قوله كانت في الجسد الطيب كانت في الجسد الخبيث فههنا حال ومحل * الثاني * قوله اخرجي حميدة * الثالث * قوله وابشري بروح وريحان فهذا بشارة بما تصير اليه بعد خروجها * الرابع * قوله فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها الى السماء * الخامس * قوله فيستفتح لها * السادس * قوله ادخلي حميدة * السابع * قوله حتى ينتهي بها الى السماء التي فيها الله تعالى * الثامن * قوله لنفس الفاجر ارجعي ذميمة * التاسع * قوله فانه لا تفتح لك ابواب السماء * العاشر * قوله فترسل الى الارض ثم تصير الى القبر *

﴿ فصل ﴾

* الحادى والثمانون * قوله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف * فوصفها بانها جنود مجندة والجنود ذوات قائمة بنفسها ووصفها بالتعارف والتناكر ومحال ان تكون هذه الجنود اعراضا او تكون لا داخلة العالم ولا خارجه ولا بعض لها ولا كل * الثاني والثمانون * قوله في حديث ابن مسعود وعلي الارواح تتلاقى وتتشام كما تشام الخيل وقد تقدم * الثالث والثمانون * قوله في حديث عبد الله بن عمرو ان ارواح المؤمنين تتلاقى على مسيرة يومين وما رأى احدهما صاحبه * الرابع والثمانون * الآثار التي ذكرناها في خلق ادم وان الروح لما دخل في رأسه عطس فقال الحمد لله فلما وصل الروح الى عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما وصل الى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان

ان يبلغ الروح رجليه وانها دخلت كارهة وتخرج كارهة * الخامس والثمانون * الاثار التي فيها اخراج الرب تعالى النسم وتميز شقيهم من سعيدهم وتفاوتهم حينئذ في الاشراق والظلمة وارواح الانبياء فيهم مثل السرج وقد تقدم * السادس والثمانون * حديث تميم الداري ان روح المومن اذا صعد بها الى الله خر ساجدا بين يديه وان الملائكة تتلقى الروح بالبشرى وان الله تعالى يقول لملك الموت انطلق بروح عبدي فضعه في مكان كذا وكذا وقد تقدم * السابع والثمانون * الاثار التي ذكرناها في مستقر الارواح بعد الموت واختلاف الناس في ذلك وفي ضمن ذلك الاختلاف اجماع السلف على ان للروح مستقرا بعد الموت وان اختلف في تعيينه * الثامن والثمانون * ما قد علم بالضرورة ان الرسول صلى الله عليه وسلم جاء به واخبر به الامة انه تنبت اجسادهم في القبور فاذا نفخ في الصور رجعت كل روح الى جسدها فدخلت فيه فانشقت الارض عنه فقام من قبره وفي حديث الصور ان اسرافيل يدعو الارواح فتاتيه جميعا ارواح المسلمين نورا والاخرى مظلمة فيجمعها جميعا فيلقيها في الصور ثم ينفخ فيه فيقول الرب جل جلاله وعزتي ليرجعن كل روح الى جسده فتخرج الارواح من الصور مثل النحل قد ملأت ما بين السماء والارض فياتي كل روح الى جسده فيدخل ويامر الله الارض فتنشق عنهم فيخرجون سراعا الى ربهم ينسلون مهطعين الى الداعي يسمعون المنادي من مكان قريب فاذا هم

قيام ينظرون وهذا معلوم بالضرورة ان الرسول اخبر به وان الله سبحانه لا ينشئ لهم ارواحا غير ارواحهم التى كانت فى الدنيا بل هى الارواح التى اكتسبت الخير والشر انشأ ابدانها نشاة اخرى ثم ردها اليها * التاسع والثمانون * ان الروح والجسد يختصمان بين يدى الرب عز وجل يوم القيامة قال علي بن عبد العزيز ثنا احمد بن يونس ثنا ابو بكر ابن عياش عن ابي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال ماتزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى يخاصم الروح الجسد فيقول الروح يارب انما كنت روحا منك جعلتني في هذا الجسد فلا ذنب لى ويقول الجسد يارب كنت جسدا خلقتني ودخل في هذا الروح مثل النار فبه كنت اقوم وبه كنت اقعد وبه اذهب وبه اجيء لا ذنب لى قال فيقال انا اقضي بينكما اخبراني عن اعمى ومقعد دخلا حائطا فقال المقعد للاعمى اني ارى ثمرا فلو كانت لى رجلان لتناولت فقال الاعمى انا احملك على رقبتى فحمله فتناول من الثمر فاكلا جميعا فعلى من الذنب قالا عليهما جميعا فقال قضيتما على انفسكما * التسعون * الاحاديث والآثار الدالة على عذاب القبر ونعيمه الى يوم البعث فمعلوم ان الجسد تلاشى واضمحل وان العذاب والنعيم المستمرين الى يوم القيامة انما هو على الروح * الحادى والتسعون * اخبار الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن الشهداء انهم لما سئلوا ماترون قالوا نريد ان ترد ارواحنا في اجسادنا حتى نقتل فيك مرة اخرى فهذا سوال وجواب

من ذات حية عالمة ناطقة تقبل الرد الى الدنيا والدخول فى اجساد خرجت منها وهذه الارواح سئلت وهي تسرح في الجنة والاجساد قد مزقها البلى * الثاني والتسعون * ما ثبت عن سلمان الفارسى وغيره من الصحابة ان ارواح المؤمنين في برزخ تذهب حيث شاءت وارواح الكفار في سجين وقد تقدم * الثالث والتسعون * روية النبي صلى الله عليه وسلم لارواح الناس عن يمين ادم ويساره ليلة الاسراء فراها متحيزة بمكان معين * الرابع والتسعون * رويته ارواح الانبياء في السموات وسلامهم عليه وترحيبهم به كما اخبر به واما ابدانهم ففى الارض * الخامس والتسعون * رويته ارواح الاطفال حول ابراهيم الخليل عليه السلام * السادس والتسعون * رويته ارواح المعذبين فى البرزخ بانواع العذاب فى حديث سمرة الذى رواه البخارى في صحيحه وقد تلاشت اجسادهم واضمحلت وانما كان الذى راه ارواحهم ونسمهم يفعل بها ذلك * السابع والتسعون * اخباره سبحانه عن الذين قتلوا في سبيله انهم احياء عند ربهم يرزقون * وانهم فرحون مستبشرون باخوانهم وهذا للارواح قطعا لان الابدان في التراب تنتظر عود ارواحها اليها يوم البعث * الثامن والتسعون * ما تقدم من حديث ابن عباس ونحن نسوقه ليتبين كم فيه من دليل على بطلان قول الملاحدة واهل البدع في الروح وقد ذكرنا اسناده فيما تقدم قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قاعد تلا هذه الاية ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت الاية ثم قال والذى نفس

محمد بيده مامن نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها من الجنة او النار
فاذا كان عند ذلك صف له سماطان من الملائكة ينتظمان ما بين الخافقين
كان وجوههم الشمس فينظر اليهم ما يرى غيرهم وان كنتم ترون انه ينظر
اليكم مع كل ملك منهم اكفان وحنوط فان كان مومنا بشروه بالجنة وقالوا
اخرجي ايتها النفس المطمئنة الى رضوان الله وجنته فقد اعد الله
لك من الكرامة ما هو خير لك من الدنيا وما فيها فلا يزالون يبشرونه
فاهم الطف به وارأف من الوالدة بولدها ثم يسلون روحه من تحت
كل ظفر ومفصل يموت الاول فالاول ويبرد كل عضو الاول فالاول
ويهون عليه وان كنتم ترونه شديدا حتى تبلغ ذقنه فلهي اشد كراهية
للخروج من الجسد من الولد حين يخرج من الرحم فيبتدرونها كل
ملك منهم ايهم يقبضها فيتولى قبضها ملك الموت ثم تلا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون *
فيتلقاها باكفان بيض ثم يحتضنها اليه فلهو اشد لزوما من المرأة لولدها
ثم يفوح منها ريح اطيب من المسك فيتشقون ريحها طيبا ويتباشرون بها
ويقولون مرحبا بالريح الطيبة والروح الطيب اللهم صل عليه روحا
وصل على جسد خرجت منه قال فيصعدون بها فتفوح لهم ريح اطيب
من المسك فيصلون عليها ويتباشرون بها وتفتح لهم ابواب السماء ويصلي
عليها كل ملك في كل سماء تمر بهم حتى تنتهي بين يدي الجبار جل جلاله
فيقول الجبار عز وجل مرحبا بالنفس الطيبة ادخلوها الجنة واروها

مقعدها من الجنة واعرضوا عليها ما اعددت لها من الكرامة والنعيم
ثم اذهبوا بها الى الارض فاني قضيت اني منها خلقتهم وفيها اعيدهم
ومنها اخرجهم تارة اخرى فوالذى نفس محمد بيده لهى اشد كراهية
للخروج منها حين كانت تخرج من الجسد وتقول اين تذهبون بي الى
ذلك الجسد الذى كنت فيه فيقولون انا مامورون بهذا فلا بد لك
منه فيهبطون به على قدر فراغهم من غسله واكفانه فيدخلون ذلك الروح
بين الجسد واكفانه * فتامل كم في هذا الحديث من موضع يشهد ببطلان
قول المبطلين في الروح * التاسع والتسعون * ما ذكره عبد الرزاق عن معمر
عن زيد بن اسلم عن عبد الرحمن بن البيلماني عن عبد الله بن عمره قال اذا توفي
المؤمن بعث اليه ملكان بريحان من الجنة وخرقة تقبض فيها فتخرج
كاطيب رائحة وجدها احد قط بانفه حتى يوتى به الرحمن جل جلاله
فتسجد الملائكة قبله وتسجد بعدهم ثم يدعى ميكائيل فيقال اذهب بهذه
النفس فاجعلها مع انفس المؤمنين حتى اسئلك عنها يوم القيامة * وقد
تظاهرت الاثار عن الصحابة ان روح المؤمن تسجد بين يدي العرش
فى وفاة النوم ووفاة الموت واما حين قدومها على الله فاحسن تحيتها
ان تقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام
وحدثني القاضي نور الدين بن الصائغ قال كانت لى خالة وكانت من
الصالحات العابدات قال عدتها في مرض موتها فقالت لى الروح اذا قدمت
على الله ووقفت بين يديه ماتكون تحيتها وقولها له قال فعظمت علي

ه عبد الله بن عمرو

بمسألتها وفكرت فيها ثم قلت تقول اللهم انت السلام و منك السلام تباركت ياذا الجلال و الاكرام قال فلما توفيت رأيتها في المنام فقالت لى جزاك الله خيرا القد دهشت فما أدرى ماأقول ثم ذكرت تلك الكلمة التي قلت لى فقلتها *

﴿ فصل ﴾

* المائة * ما قد اشترك في العلم به عامة اهل الارض من لقاء ارواح الموتى و سؤالهم لهم و اخبارهم اياهم بامور خفيت عليهم فرأوها عيانا وهذا اكثر من ان يتكلف ايراده و اعجب من هذا الوجه * الحادي والمائة * ان روح النائم يحصل لها في المنام اثار فتصبح تراها على البدن عيانا وهي من تأثر الروح في الروح كما ذكر القيرواني في (كتاب البستان) عن بعض السلف قال كان لى جار يشتم ابابكر و عمر رضي الله عنهما فلما كان ذات يوم اكثر من شتمهما فتناولته و تناولني فانصرفت الى منزلى و انا مغموم حزين فنمت و تركت العشاء فرأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم في المنام فقلت يا رسول الله فلان يسب اصحابك قال من اصحابي قلت ابو بكر وعمر فقال خذ هذه المدية فاذبحه بها فاخذتها فاضجعته و ذبحته و رأيت كان يدى اصابها من دمه فالقيت المدية و اهويت بيدي الى الارض لامسحها فانتبهت وانا اسمع الصراخ من نحو داره فقلت ماهذا الصراخ قالوا فلان مات فجأة فلما اصبحنا جئت فنظرت اليه فاذا خط

موضع

موضع الذبح * وفي (كتاب المنامات) لابن ابي الدنيا عن شيخ من قريش قال رأيت رجلا بالشام قد اسود نصف وجهه وهو يغطيه فسألته عن ذلك فقال قد جعلت لله علي ان لا يسئلني احد عن ذلك الا اخبرته به كنت شديد الوقيعة في علي بن ابى طالب رضى الله عنه فبينا انا ذات ليلة نائم اذ اتاني ات فى منامى فقال لى انت صاحب الوقيعة في فضرب شق وجهي فاصبحت وشق وجهي اسود كما ترى * وذكر مسعدة عن هشام بن حسان عن واصل مولى ابن عيينة عن موسى بن عبيدة عن صفية بنت شيبة قالت كنت عند عائشة رضى الله عنها فاتتها امرأة مشتملة على يدها فجعل النساء يولعن بها فقالت ما اتيتك الا من اجل يدى ان ابي كان رجلا سمحا واني رأيت فى المنام حياضا عليها رجال معهم انية يسقون من اتاهم فرأيت ابى فقلت اين امى فقال انظرى فنظرت فاذا امى ليس عليها الا قطعة خرقة فقال انها لم تصدق قط الا بتلك الخرقة وشحمة من بقرة ذبحوها فتلك الشحمة تذاب وتطرف بها وهي تقول واعطشاه قالت فاخذت اناء من الانية فسقيتها فنوديت من فوقي من سقاها ايبس الله يده * فاصبحت يدي كما ترين * وذكر الحارث بن اسد المحاسبي واصبغ وخلف بن القاسم وجماعة عن سعيد بن مسلمة قال بينما امرأة عند عائشة اذ قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا اشرك بالله شيئا ولا اسرق ولا ازني ولا اقتل ولدى ولا آتي ببهتان افتريه بين يدى ورجلى ولا اعصي في معروف فوفيت لربي ووفالى ربي

فو الله لا يعذ بني الله فاتاها في المنام ملك فقال لها كلا انك تبرجين وزينتك تبدين وخيرك تكندين وجارك تو ذين وزوجك تعصين ثم وضع اصابعه الخمس على وجهها وقال خمس بخمس ولو زدت زدناك فاصبحت واثر الاصابع في وجهها * وقال عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك سمعت مالكا يقول ان يعقوب بن عبد الله بن الاشج كان من خيار هذه الامة نام في اليوم الذى استشهد فيه فقال لاصحابه اني قد رأيت امرا ولاخبرنه اني رأيت كاني ادخلت الجنة فسقيت لبنا فاستقاء فقاء اللبن واستشهد بعد ذلك قال ابو القاسم وكان في غزوة في البحر * وضع لا لبن فيه وقد سمعت غير مالك يذكره ويذكر انه معروف فقال اني رأيت كاني ادخل الجنة فسقيت فيها لبنا فقال له بعض القوم اقسمت عليك لما تقيأت فقاء لبنا يصلد اى يبرق وما في السفينة لبن ولا شاة * قال ابن قتيبة قوله يصلد اى يبرق يقال صلد اللبن يصلد ومنه حديث عمر ان الطبيب سقاه لبنا فخرج من الطعنة ابيض يصلد * وكان نافع القارى اذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك فقيل له كلما قعدت تتطيب فقال ما امس طيبا ولا اقربه ولكن رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقرأ في فمي فمن ذلك الوقت يشم من في هذه الرائحة * وذكر مسعدة في كتابه في الرؤيا عن ربيع بن زيد الرقاشي قال اتاني رجلان فقعد االي فاغتابا رجلا فنهيتهما فاتاني احدهما بعد فقال اني رأيت في المنام كان زنجيا اتاني بطبق عليه جنب خنزير لم ار لحما قط اسمن منه

فقال لى كل فقلت اكل لحم خنزير فتهددني فاكلت فاصبحت وقد تغير فمي فلم يزل يجد الريح في فمه شهرين * وكان العلاء بن زياد له وقت يقوم فيه فقال لاهله تلك الليلة اني اجد فترة فاذا كان وقت كذا فايقظوني فلم يفعلوا قال فاتاني ات في منامي فقال قم يا علاء بن زياد اذكر الله يذكرك واخذ بشعرات في مقدم رأسي فقامت تلك الشعرات في مقدم رأسي فلم تزل قائمة حتى مات قال يحيى بن بسطام فلقد غسلناه يوم مات وانهن لقيام في رأسه * وذكر ابن ابي الدنيا عن ابي حاتم الرازي عن محمد بن علي قال كنا بمكة في المسجد الحرام قعودا فقام رجل نصف وجهه اسود ونصفه ابيض فقال يا ايها الناس اعتبروا بي فاني كنت اتناول الشيخين واشتمهما فبينما انا ذات ليلة نائم اذ اتاني ات فرفع يده فلطم وجهي وقال لي يا عدو الله يا فاسق الست تسب ابابكر وعمر رضي الله عنهما فاصبحت وانا على هذه الحالة * وقال محمد بن عبد الله المهلبي [*] رأيت في المنام كاني في رحبة بني فلان واذا النبي صلى الله عليه وسلم جالس على اكمة ومعه ابو بكر وعمر واقف قدامه فقال له عمر يا رسول الله ان هذا يشتمني ويشتم ابابكر فقال جئ به يا اباحفص فاتى برجل فاذا هو العماني وكان مشهورا بسبهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اضجعه فاضجعه ثم قال اذبحه فذبحه قال فما نبهني الا صياحه فقلت مالي لا اخبره عسى ان يتوب فلما تقربت من منزله سمعت بكاء شديدا فقلت ما هذا البكاء فقالوا العماني ذبح البارحة على سريره قال فدنوت من عنقه فاذا من

[*] محمد بن عباد

اذ نه الى اذ نه طريقة حمراء كالدم المعصور * و قال القيرواني اخبرني
شيخ لنا من اهل الفضل قال اخبرني ابو الحسن المطلبي امام مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم قال رأيت بالمدينة عجبا كان رجل يسب ابابكر و عمر
رضي الله عنهما فبينا نحن يوما من الايام بعد صلوة الصبح اذ اقبل رجل
و قد خرجت عيناه وسالتا على خديه فسألناه ما قصتك فقال رأيت
البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم و علي بين يديه و معه
ابو بكر وعمر فقالا يا رسول الله هذا الذي يوذينا و يسبنا فقال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من امرك بهذا يا اباقيس فقلت
له علي و اشرت اليه فاقبل علي علي بوجهه و يده و قد ضم اصابعه
و بسط السبابة و الوسطى و قصد بها الى عيني فقال ان كنت كذبت
ففقأ الله عينيك وادخل اصبعيه في عيني فانتبهت من نومي وانا على هذه
الحال فكان يبكي و يخبر الناس واعلن بالتوبة * قال القيرواني واخبرني
شيخ من اهل الفضل قال اخبرني فقيه قال كان عندنا رجل يكثر الصوم
و يسرده و لكنه كان يؤخر الفطر فرأى في المنام اسودين اخذا بضبعيه
و ثيابه الى تنور محمي ليلقياه فيه قال فقلت لهما على ماذا فقالا على خلافك
لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه امر بتعجيل الفطر وانت تؤخره
قال فاصبح و جهه قد اسود من وهج النار فكان يمشي متبرقعا في الناس *
و اعجب من هذا الرجل يرى في المنام و هو شديد العطش و الجوع
و الالم ان غيره قد سقاه واطعمه او داواه بدواء فيستيقظ و قد زال

عنه

عنه ذلك كله وقد رأى الناس من هذا عجائب * وقد ذكر مالك عن ابي الرجال عن عمرة عن عائشة ان جارية لها سحرتها وان سيدها دخل عليها وهي مريضة فقال انك سحرت قالت ومن سحرني قال جارية في حجرها صبي قد بال عليها فدعت جاريتها فقالت حتى اغسل بولا في ثوبي فقالت لها اسحرتيني قالت نعم قالت وما دعاك الى ذلك قالت اردت تعجيل العتق فامرت اخاها ان يبيعها من الاعراب ممن يسيئ ملكها فباعها ثم ان عائشة رأت في منامها ان اغتسلي من ثلاثة ابار يمد بعضها بعضا فاستسقي لها فاغتسلت فبرأت * وكان سماك بن حرب قد ذهب بصره فرأى ابراهيم الخليل فى المنام فمسح على عينيه وقال اذهب الى الفرات فانغمس فيه ثلاثا ففعل فابصر * وكان اسمعيل بن بلال الحضرمى قد عمي فاتي في المنام فقيل له قل يا قريب يا مجيب يا سميع الدعاء يا لطيف لمن يشاء رد علي بصري فقال الليث بن سعد انا رايته قد عمي ثم ابصر * وقال عبيد الله بن ابي جعفر اشتكيت شكوى فجهدت منها فكنت اقرأ اية الكرسي فنمت فاذا رجلان قائمان بين يدى فقال احدهما لصاحبه انه ليقرأ اية فيها ثلاث مائة وستون رحمة افلا يصيب هذا المسكين فيها رحمة واحدة فاستيقظت فوجدت خفة * قال ابن ابي الدنيا اعتلت امرأة من اهل الخير والصلاح بوجع المعدة فرأت في المنام قائلا يقول لها لا اله الا الله المغلي وشراب الورد فشربته فاذهب الله عنها ما كانت تجد قال وقالت ايضا رأيت فى المنام كانى اقول السناء والعسل وماء الحمص الاسود شفاء لوجع

الاوراك فلما استيقظت اتتني امرأة تشكو وجعا بوركها فوصفت لها ذلك فاستنفعت به * وقال جالينوس السبب الذي دعاني الى فصد العروق الضوارب اني امرت به في منامي مرتين قال كنت اذ ذاك غلاما قال واعرف انسانا شفاه الله من وجع كان به في جنبه بفصد العرق الضارب لرؤيا رآها في منامه * وقال ابن الخراز كنت اعالج رجلا ممعودا فغاب عني ثم لقيته فسألته عن حاله فقال رأيت في المنام انسانا في زي ناسك متوكئا على عصا وقف علي وقال انت رجل ممعود فقلت نعم فقال عليك بالكباء والجلنجبين فاصبحت فسألت عنهما فقيل لي الكباء المصطكي والجلنجبين الورد المربا بالعسل فاستعملتهما اياما فبرأت فقلت له ذلك جالينوس * والوقائع في هذا الباب اكثر من ان تذكر قال بعض الناس ان اصل الطب من المنامات ولا ريب ان كثيرا من اصوله مستند الى الرؤيا كما ان بعضها عن التجارب وبعضها عن القياس وبعضها عن الهام ومن اراد الوقوف على ذلك فلينظر في (تاريخ الاطباء) وفي (كتاب البستان للقيرواني) وغير ذلك *

فصل

* الوجه الثاني بعد المائة * قوله تعالى ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء * وهذا دليل على ان المؤمنين تفتح لهم ابواب السماء وهذا التفتيح هو تفتيحها لارواحهم عند الموت كما تقدم في الاحاديث المستفيضة ان السماء تفتح لروح المؤمن حتى ينتهي بها الى بين يدي الرب تعالى واما الكافر فلا تفتح لروحه ابواب السماء ولا تفتح

لجسده ابواب الجنة *

فصل

* الوجه الثالث بعد المائة * قول النبي صلى الله عليه و سلم يا بلال ما دخلت الجنة الا سمعت خشخشتك بين يدي فبم ذلك قال ما احدثت في ليل او نهار الا توضأت و صليت ركعتين قال بها * و معلوم ان الذى سمع خشخشته بين يديه هو روح بلال والا فجسده لم ينقل الى الجنة * الوجه الرابع بعد المائة * الاحاديث و الاثار التى فى زيارة القبور والسلام على اهلها و مخاطبتهم و الاخبار عن معرفتهم بزوارهم وردهم عليهم السلام وقد تقدمت الاشارة اليها * الوجه الخامس بعد المائة * شكاية كثير من ارواح الموتى الى اقاربهم وغيرهم امورا موذية فيجدونها كما شكوه فيزيلونها * الوجه السادس بعد المائة * لو كانت الروح عبارة عن عرض من اعراض البدن او جوهر مجرد ليس بجسم ولا حال فيه لكان قول القائل خرجت وذهبت وقمت و جئت وقعدت وتحركت ودخلت و رجعت ونحو ذلك كله اقوالا باطلة لان هذه الصفات ممتنعة الثبوت فى حق الاعراض و المجردات و كل عاقل يعلم صدق قوله وقول غيره ذلك فالقدح فى ذلك القدح في اظهر المعلومات فهو من باب السفسطة * لا يقال * حاصل هذا الدليل التمسك بالفاظ الناس و اطلاقاتهم وهي تحمل الحقيقة و المجاز فلعل مرادهم دخل جسمي و خرج * لانا * انما استدللنا بشهادة العقل والفطرة بمعاني هذه الالفاظ فكل احد يشهد

عقله و حسه بانه هو الذى دخل وخرج و انتقل لامجرد بدنه فشهادة الحس والعقل بمعاني هذه الالفاظ و اضافتها الى الروح اصلا و الى البدن تبعا من اصدق الشهادات والاعتماد على ذلك لا على مجرد الاطلاق اللفظى * الوجه السابع بعد المائة * ان البدن مركب ومحل لتصرف النفس فكان دخول البدن وخروجه وانتقاله جاريا مجرى دخول مركبه من فرسه ودابته فلو كانت النفس غير قابلة للدخول والخروج والانتقال والحركة والسكون لكان ذلك بمنزلة دخول مركب الانسان الى الدار وخروجه منها دون دخوله هو وهذا معلوم البطلان بالضرورة وكل احد يعلم ان نفسه وروحه هي التى دخلت وخرجت وانتقلت وصرفت البدن وجعلته تبعا لها في الدخول و الخروج فهو لها بالاصل وللبدن بالتبع لكنه للبدن بالمشاهدة وللروح بالعلم والعقل * الوجه الثامن بعد المائة * ان النفس لو كانت كما يقوله من يقول انها عرض لكان الانسان كل وقت قد يبدل مائة الف نفس او اكثر والانسان انما هو انسان بروحه و نفسه لا ببدنه وكان الانسان الذي هو الانسان غير الذى هو قبله بلحظة و بعده بلحظة وهذا من نوع الهوس ولو كانت الروح مجردة و تعلقها بالبدن بالتدبير فقط لا بالمساكنة والمداخلة لم يمتنع ان ينقطع تعلقها بهذا البدن وتتعلق بغيره كما يجوز انقطاع تدبير المدبر لبيت او مدينة عنها و يتعلق بتدبير غيرها وعلى هذا التدبير فنصير شاكين في ان هذه النفس التى لزيد هي النفس الاولى اوغيرها وهل زيد هو ذلك الرجل ام غيره وعاقل لا يجوز ذلك

فلوكانت الروح عرضا اوامرا مجردا لحصل الشك المذكور * الوجه التاسع بعد المائة * ان كل احد يقطع ان نفسه موصوفة بالعلم والفكر والحب والبغض والرضاء والسخط وغيرها من الاحوال النفسانية ويعلم ان الموصوفات بذلك ليس عرضا من اعراض بدنه ولا جوهرا مجردا منفصلا عن بدنه غير مجاور له ويقطع ضرورة بان هذه الادراكات لامر داخل فى بدنه كما يقطع بانه اذا سمع وابصر وشم وذاق ولمس وتحرك وسكن فتلك امور قائمة به مضافة الى نفسه وان جوهر النفس هو الذى قام به ذلك كله لم يقم بمجرده ولا بعرض بل قام بمتحيز داخل العالم منتقل من مكان الى مكان يتحرك ويسكن ويخرج ويدخل وليس الا هذا البدن والجسم السارى فيه المشابك له الذي لولاه لكان بمنزلة الجماد * الوجه العاشر بعد المائة * ان النفس لو كانت مجردة وتعلقها بالبدن تعلق التدبير فقط كتعلق الملاح بالسفينة والجمال بجمله لامكنها ترك تدبير هذا البدن واشتغالها بتدبير بدن اخر كما يمكن الملاح والجمال ذلك وفى ذلك تجويز نقل النفوس من ابدان الى ابدان * ولا يقال * ان النفس اتحدت ببدنها فامتنع عليها الانتقال اوانها لها عشق طبيعي وشوق ذاتي الى تدبير هذا البدن فلهذا السبب امتنع انتقالها * لانا نقول * اتحاد ما لا يتحيز بالمتحيز محال ولانها لو اتحدت به لبطلت يبطلانه ولانها بعد الاتحاد ان بقيا فهما اثنان لا واحد وان عدما معا وحدث ثالث فليس من الاتحاد في شيء وان بقى احدهما وعدم الاخر فليس باتحاد ايضا واما عشق النفس الطبيعى للبدن

فالنفس انما تعشقه لانها تتناول اللذات بواسطته واذا كانت الابدان متساوية في حصول مطلوبها كانت نسبتها اليها على السواء فقولكم ان النفس المعينة عاشقة للبدن المعين باطل ومثال ذلك العطشان اذا صادف آنية متساويه كل منها يحصل غرضه امتنع عليه ان يعشق واحدا منها بعينه دون سائرها * الوجه الحادى عشر بعد المائة * ان نفس الانسان لو كانت جوهرا مجردا لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلة بالعالم ولا منفصلة عنه ولا مباينة له ولا محايثة لكان يعلم بالضرورة انه موجود بهذه الصفة لان علم الانسان بنفسه وصفاتها اظهر من كل معلوم وان علمه بما عداه تابع لعلمه بنفسه ومعلوم قطعا ان ذلك باطل فان جماهير اهل الارض يعلمون ان اثبات هذا الموجود محال في العقول شاهدا وغائبا فمن قال ذلك في نفسه وربه فلا نفسه عرف ولا ربه عرف * الوجه الثانى عشر بعد المائة * ان هذا البدن المشاهد محل لجميع صفات النفس وادراكاتها الكلية والجزئية ومحل للقدرة على الحركات الارادية فوجب ان يكون الحامل لتلك الادراكات والصفات هو البدن وما سكن فيه اما ان يكون محلها جوهرا مجردا لا داخل العالم ولا خارجه فباطل بالضرورة * الوجه الثالث عشر بعد المائة * ان النفس لو كانت مجردة عن الجسمية والتحيز لامتنع ان يتوقف فعلها على مماسة محل الفعل لان ما لا يكون متحيزا يمتنع ان يصير مماسا للمتحيز ولو كان الامر كذلك لكان فعلها على سبيل الاختراع من غير حاجة الى حصول مماسة وملاقاة

بين الفاعل و بين محل الفعل فكان الواحد منا يقدر على تحريك الاجسام
من غير ان يماسها او يماس شيئا يماسها فان النفس عند كم كما كانت قادرة
على تحريك البدن من غير ان يكون بينها و بينه مماسة كذلك
لا تمتنع قدرتها على تحريك جسم غيره من غير مماسة له و لا لما يماسه
و ذلك باطل بالضرورة فعلم ان النفس لا تقوى على التحريك الا بشرط
ان تماس محل الحركة او تماس ما يماسه و كل ما كان مماسا للجسم او لما يماسه
فهو جسم * فان قيل * يجوز ان يكون تاثير النفس في تحريك بدنها الخاص
غير مشروط بالمماسة و تاثيرها في تحريك غيره موقوف على حصول
المماسة بين بدنها و بين ذلك الجسم * فالجواب * انه لما كان قبول البدن
لتصرفات النفس لا يتوقف على حصول المماسة بين النفس و بين البدن
وجب ان تكون الحال كذلك في غيره من الاجسام لان الاجسام متساوية
في قبول الحركة و نسبة النفس الى جميعها سواء لانها اذا كانت مجردة عن
الحجمية و علائق الحجمية كانت نسبة ذاتها الى الكل بالسوية و متى كانت
ذات الفاعل نسبتها الى الكل بالسوية و القوابل نسبتها الى ذلك الفاعل
بالسوية كان التاثير بالنسبة الى الكل على السواء فاذا استغنى الفاعل عن
مماسة محل الفعل في حق البعض وجب ان يستغنى في حق الجميع و ان افتقر الى
المماسة في البعض وجب افتقاره في الجميع * فان قيل * النفس عاشقة لهذا
البدن دون غيره فكان تاثيرها فيه اقوى من تاثيرها في غيره * قيل * هذا
العشق الشديد يقتضي ان يكون تعلقها بالبدن اكثر و تصرفها فيه اقوى

فاما ان يتغير مقتضى ذاتها بالنسبة الى هذه الاجسام فذلك محال وهذا دليل في غاية القوة * الوجه الرابع عشر بعد المائة * ان العقلاء كلهم متفقون على ان الانسان هو هذا الحي الناطق المتغذي النامي الحساس المتحرك بالارادة وهذه الصفات نوعان صفات لبدنه وصفات لروحه ونفسه الناطقة فلو كانت الروح جوهراً مجردا لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلة به ولا منفصلة عنه لكان الانسان لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه او كان بعضه في العالم وبعضه لا داخل العالم ولا خارجه وكل عاقل يعلم بالضرورة بطلان ذلك وان الانسان بجملته داخل العالم بدنه وروحه وهذا في البطلان ايضا هي قول من قال ان نفسه قديمة غير مخلوقة فجعلوا نصف الانسان مخلوقا ونصفه غير مخلوق * فان قيل * نحن نسلم ان الانسان كما ذكرتم الا انا نثبت جوهرا مجردا يدبر الانسان الموصوف بهذه الصفات * قلنا * فذلك الجوهر الذي اثبتموه مغاير للانسان او هو حقيقة الانسان ولا بد لكم من احد الامرين * فان قلتم * هو غير الانسان رجع كلامكم الى انكم اثبتم للانسان مدبرا غيره سميتموه نفسا وكلامنا الان انما هو في حقيقة الانسان لا في مدبره فان مدبر الانسان وجميع العالم العلوي والسفلي هو الله الواحد القهار * الوجه الخامس عشر بعد المائة * ان كل عاقل اذا قيل له ما الانسان فانه يشير الى هذه البنية وما اقام بها لا يخطر بباله امر مغاير لها مجرد ليس في العالم ولا خارجه والعلم بذلك ضروري لا يقبل شكا ولا تشكيكا

الوجه

الوجه السادس عشر بعد المائة ان عقول العالمين قاضية بان الخطاب متوجه الى هذه البنية وما قام بها وساكنها وكذلك المدح والذم والثواب والعقاب والترغيب والترهيب ولوان رجلا قال المامور والمنهي والممدوح والمذموم والمخاطب والعاقل جوهر مجرد ليس في العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه لاضحك العقلاء على عقله ولاطبقوا على تكذيبه وكل ماشهدت بداهة العقول وصرائحها ببطلانه كان الاستدلال على ثبوته استدلالا على صحة وجود المحال وبالله التوفيق*

﴿ فصل ﴾

﴿ فصل في بيان ادلة المنازعين لجسمية الروح وتحيزها ﴾

فان قيل قد ذكرتم الادلة الدالة على جسميتها وتحيزها فما جوابكم عن ادلة المنازعين لكم في ذلك فانهم استدلوا بوجوه *احدها* اتفاق العقلاء على قولهم الروح والجسم والنفس والجسم فيجعلونها شيئا غير الجسم فلو كانت جسما لم يكن لهذا القول معنى *الثاني* وهو اقوى ما يحتجون به انه من المعلوم ان في الموجودات ماهو غير قابل للقسمة كالنقطة والجوهر الفرد بل ذات واجب الوجود فوجب ان يكون العلم بذلك غير قابل للقسمة فوجب ان يكون الموصوف بذلك العلم وهو محله غير قابل للقسمة وهو النفس فلو كانت جسما لكانت قابلة للقسمة ويقرر هذا الدليل على وجه اخر وهو ان محل العلوم الكلية لو كان جسما او جسمانيا لانقسمت تلك العلوم لان الحال في المنقسم منقسم وانقسام تلك العلوم مستحيل *الثالث* ان الصور العقلية الكلية مجردة بلاشك وتجردها اما ان يكون بسبب

الماخوذ عنه او بسبب الاخذ والاول باطل لان هذه الصور انما اخذت عن الاشخاص الموصوفة بالمقادير المختلفة والاوضاع المعينة فثبت ان تجردها انما هو بسبب الاخذ لها والقوة العقلية المسماة بالنفس * الرابع * ان القوة العاقلة تقوى على افعال غير متناهية فانها تقوى على ادراكات لاتتناهي والقوة الجسمانية لاتقوى على افعال غير متناهية لان القوة الجسمانية تنقسم بانقسام محالها فالذي يقوى عليه بعضها يجب ان يكون اقل من الذي يقوى عليه الكل فالذي يقوى عليه الكل يزيد على الذي يقوى عليه البعض اضعافا متناهية والزائد على المتناهي بمتناه متناه * الخامس * ان القوة العاقلة لو كانت حالة في آلة جسمانية لوجب ان تكون القوة العاقلة دائمة الادراك لتلك الالة او ممتنعة الادراك لها بالكلية وكلاهما باطل لان ادراك القوة العاقلة لتلك الالة ان كان عين وجودها فهو محال وان كان صورة مساوية لوجودها وهي حالة في القوة العقلية الحالة في تلك الالة لزم اجتماع صورتين متماثلتين وهو محال واذا ابطل هذا ثبت ان القوة العاقلة لو ادركت آلتها لكان ادراكها عبارة عن نفس حصول تلك الالة عند القوة العاقلة فيجب حصول الادراك دائما ان كفى هذا القدر في حصول الادراك وان لم يكف امتنع حصول الادراك في وقت من الاوقات اذ لو حصل في وقت دون وقت لكان بسبب امر زائد على مجرد حضور صورة الالة * السادس * ان كل احد يدرك نفسه وادراك الشيء عبارة عن حضور ماهية المعلوم عند العالم فاذا علمنا انفسنا

فهو اما ان يكون لاجل حضور ذواتنا لذواتنا اولاجل حضور صورة مساوية لذواتنا فى ذواتنا والقسم الثانى باطل والالزم اجتماع المثلين فثبت انه لامعنى لعلمنا بذاتنا الاحضور ذاتنا عند ذاتنا وهذا انما يكون اذا كانت ذاتا قائمة بالنفس غنية عن المحل لانها لوكانت حالة فى محل كانت حاضرة عند ذلك المحل فثبت ان هذا المعنى انما يحصل اذا كانت النفس قائمة بنفسها غنية عن محل تحل فيه * السابع * ما احتج به ابوالبركات البغدادي وابطل ما سواه فقال لانشك ان الواحد منا يمكنه ان يتخيل بحرامن زيبق وجبلامن ياقوت وشموسا واقمارا فهذه الصور الخيالية لاتكون معدومة لان قوة المتخيل تشير الى تلك الصور وتميز بين كل صورة وغيرها وقد يقوى ذلك المتخيل الى ان يصير كالمشاهد المحسوس ومعلوم ان العدم المحض والنفى الصرف لايثبت فيه ذلك ونحن نعلم بالضرورة ان هذه الصور ليست موجودة في الاعيان فثبت انها موجودة في الاذهان فنقول محل هذه الصورة اما ان يكون جسما وحالا في الجسم اولاجسما ولاحالا في الجسم والقسمان الاولان باطلان لان صورة البحر والجبل صورة عظيمة والدماغ والقلب جسم صغير وانطباع العظيم في الصغير محال فثبت ان محل هذه الصورة الخيالية ليس بجسم ولاجسماني * الثامن * لوكانت القوة العقلية جسدانية لضعفت فى زمان الشيخوخة دائما وليس كذلك * التاسع * ان القوة العقلية غنية في افعالها عن الجسم وماكان غنيا في فعله عن الجسم وجب ان

يكون غنيا في ذاته عن الجسم * بيان الاول * القوة العقلية تدرك نفسها ومن المحال ان يحصل بينها وبين نفسها آلة متوسطة ايضا وتدرك ادراكها لنفسها وليس هذا الادراك بآلة وايضا فانها تدرك الجسم الذى هو آلتها وليس بينها وبين آلتها آلة اخرى * و بيان الثانى * من وجهين * احدهما * ان القوى الجسمانية كالناظرة والسامعة والخيال والوهم لما كانت جسمانية يقدر عليها ادراك ذواتها وادراكها لكونها مدركة لذواتها وادراكها لتلك الاجسام الحاملة لها فلو كانت القوة العاقلة جسمانية لتعذر عليها هذه الامور الثلاثة * الثاني * ان مصدر الفعل هو النفس فلو كانت النفس متعلقة فى قوامها ووجودها بالجسم لم تحصل تلك الافعال الا بشركة من الجسم لما ثبت انه ليس كذلك ثبت ان القوة العقلية غنية عن الجسم * العاشر * ان القوة الجسمانية تكل بكثرة الافعال ولا تقوى على القوي بعد الضعف وسببه ظاهر فان القوى الجسمانية بسبب من اولة الافعال تتعرض موادها للتحلل والذبول وهو يوجب الضعف واما القوة العقلية فانها لا تضعف بسبب كثرة الافعال وتقوى على القوى بعد الضعيف فوجب ان لا تكون جسمانية * الحادى عشر * انا اذا حكمنا بان السواد مضاد للبياض وجب ان يحصل في الذهن ماهية السواد والبياض والبداهة حاكمة بان اجتماع السواد والبياض والحرارة والبرودة في الاجسام محال فلما حصل هذا الاجتماع في القوة العقلية وجب ان لا تكون قوة جسمانيه * الثاني عشر * انه لو كان محل الادراكات جسما فكل جسم منقسم لا محالة لم يمنع ان يقوم ببعض اجزاء الجسم

علم بالشئ و بالبعض الاخر منه جهل وحينئذ فيكون الانسان فى الحال الواحد عالما بالشئ وجاهلا به * الثالث عشر * ان المادة الجسمانية اذا حصلت فيها نقوش مخصوصة فان وجود تلك النقوش فيها يمنع من حصول نقوش غيرها واما النقوش العقلية فبالضد من ذلك لان الانفس اذا كانت خالية من جميع العلوم والادراكات فانه يصعب عليها التعلم فاذا تعلمت شيئا صار حصول تلك العلوم معينا على سهولة غيرها فالنقوش الجسمانية متغائرة متنافيه والنقوش العقلية متعاونة متعاضدة * الرابع عشر * ان النفس لو كانت جسما لكان بين ارادة العبد تحريك رجله وبين تحريكها زمان على قدر حركة الجسم وثقله فان النفس هى المحركة للجسد والممهدة لحركته فلو كان المحرك للرجل جسما فاما ان يكون حاصلا في هذه الاعضاء او جائيا اليها فان كان جائيا احتاج الى مدة ولا بد وان كان حاصلا فيها فنحن اذا قطعنا تلك العضلة التى تكون بها الحركة لم يبق منها فى العضو المتحرك شئ فلو كان ذلك المتحرك حاصلا فيه لبقي منه شئ في ذلك العضو * الخامس عشر * لو كانت النفس جسما لكانت منقسمة ولصح عليها ان يعلم بعضها كما يعلم كلها فيكون الانسان عالما ببعض نفسه جاهلا بالبعض الاخر وذلك محال * السادس عشر * لو كانت النفس جسما لوجب ان يثقل البدن بدخولها فيه لان شان الجسم الفارغ اذا ملاه غيره ان يثقل به كالزق الفارغ والامر بالعكس فاخف ما يكون البدن اذا كانت فيه النفس واثقل ما يكون اذا فارقته * السابع عشر * لو كانت النفس جسما لكانت على صفات سائر الاجسام التى لا تخلو

شيء منها من الخفة والثقل والحرارة والبرودة والنعومة والخشونة او السواد والبياض وغير ذلك من صفات الاجسام وكيفياتها ومعلوم ان الكيفيات النفسانية انما هي الفضائل والرذائل لا تلك الكيفيات الجسمانية فالنفس ليست جسما * الثامن عشر * انها لو كانت جسما لوجب ان يقع تحت جميع الحواس او تحت حاسة منها او حاستين او اكثر فانا نرى الاجسام كذلك منها ما يدرك بجميع الحواس ومنها ما يدرك باكثرها ومنها ما يدرك بحاستين منها او واحدة والنفس بريئة من ذلك كله وهذه الحجة التي احتج بها جهم على طائفة من الملاحدة حين انكروا الخالق سبحانه وقالوا لو كان موجودا لوجب ان يدرك بحاسة من الحواس فعارضهم بالنفس وانى تتم المعارضة اذا كانت جسما والا لو كانت جسما لجاز ادراكها ببعض الحواس * التاسع عشر * لو كانت جسما لكانت ذات طول وعرض وعمق وسطح وشكل وهذه المقادير والابعاد لا تقوم الا بمادة ومحل فان كانت مادتها ومحلها نفسا لزم اجتماع نفسين وان كان غير نفس كانت النفس مركبة من بدن وصورة وهي في جسد مركب من بدن وصورة فيكون الانسان انسانين * العشرون * ان من خاصة الجسم ان يقبل التجزي والجزء الصغير منه ليس كالكبير ولو قبلت التجزي فكل جزء منها ان كان نفسا لزم ان يكون للانسان نفوس كثيرة لا نفس واحدة وان لم يكن نفسا لم يكن المجموع نفسا كما ان جزء الماء ان لم يكن ماء لم يكن مجموعه ماء * الحادي والعشرون * ان الجسم محتاج في قوامه وحفظه وبقائه الى

النفس

النفس ولهذا يضمحل و يتلاشى لما تفارقه فلو كانت جسما لكانت محتاجة الى نفس اخرى وهلم جرا و يتسلسل الامر وهذا المحال انما لزم من كون النفس جسما * الثاني والعشرون * لو كانت جسما لكان اتصالها بالجسم ان كان على سبيل المداخلة لزم تداخل الاجسام وان كان على سبيل الملاصقة والمجاورة كان الانسان الواحد جسمين متلاصقين احدهما يرى و الاخر لايرى فهذا كل ما موهت به هذه الطائفة المبطلة من منخنقة وموقوذة ومتردية و نحن نجيبهم عن ذلك كله فصلا بفصل بحول الله و قوته ومعونته *

﴿ فصل ﴾

* فاما قولهم * ان العقلاء متفقون على قولهم الروح والجسم والنفس والجسم وهذا يدل على تغايرهما * فالجواب * ان يقال ان مسمى الجسم فى اصطلاح المتفلسفة والمتكلمين اعم من مسماه فى لغة العرب و عرف اهل العرف فان الفلاسفة يطلقون الجسم على قابل الابعاد الثلاثة خفيفا كان او ثقيلا مرئيا كان او غير مرئي فيسمون الهواء جسما و النار جسما و الماء جسما و كذلك الدخان و البخار والكوكب ولا يعرف فى لغة العرب تسمية شئ من ذلك جسما البتة فهذه لغتهم و اشعارهم وهذه النقول عنهم فى كتاب اللغة قال الجوهرى قال ابو زيد الجسم الجسد وكذلك الجسمان والجثمان * قال الاصمعي الجسم والجسمان الجسد و الجثمان الشخص وقد جسم الشئ اى عظم فهو عظيم جسيم وجسام بالضم ونحن

﴿ فصل فى ترديد الشبهة الاولى للمنازع فى جسمية الروح والنفس ﴾

اذا سمينا النفس جسما فانما هو باصطلاحهم وعرف خطابهم والا فليست جسما باعتبار وضع اللغة ومقصودنا بكونها جسما اثبات الصفات والافعال والاحكام التي دل عليها الشرع والعقل والحس من الحركة والانتقال والصعود والنزول ومباشرة النعيم والعذاب واللذة والالم وكونها تحبس او ترسل وتقبض وتدخل وتخرج فلذلك اطلقنا عليها اسم الجسم تحقيقا لهذه المعاني وان لم يطلق عليها اهل اللغة اسم الجسم فالكلام مع هذه الفرقة المبطلة في المعني لا في اللفظ فقول اهل التخاطب الروح والجسم هو بهذا المعني *

فصل

فصل في رد الشبهة الثانية

واما الشبهة الثانية فهي اقوى شبههم التي بها يصولون وعليها يعولون وهي مبنية على اربع مقدمات * احدها * ان في الوجود ما لا يقبل القسمة بوجه من الوجوه * الثانية * انه يمكن العلم به * الثالثة * ان العلم به غير منقسم * الرابعة * انه يجب ان يكون محل العلم به كذلك اذ لو كان جسما لكان منقسما وقد نازعهم في ذلك جمهور العقلاء وقالوا لم تقيموا دليلا على ان في الوجود ما لا يقبل القسمة الحسية ولا الوهمية وانما بايديكم دعاو لا حقيقة لها وانما اثبتموه من واجب الوجود وهو بناء على اصلكم الباطل عند جميع العقلاء من اهل الملل وغيرهم من انكار ماهية الرب تعالى وصفاته وانه وجود مجرد لا صفة له ولا ماهية وهذا قول باينتم به المعقول وجميع الكتب المنزلة من السماء

واجماع الرسل ونفيتم به علم الله وقدرته ومشيته وسمعه وبصره وعلوه على خلقه ونفيتم به خلق السموات والارض في ستة ايام وسميتموه توحيدا وهو اصل كل تعطيل قالوا والنقطة التى استدللتم بها هي من اظهرما يبطل دليلكم فانها غير منقسمة وهي حالة في الجسم المنقسم فقد حل في المنقسم ماليس بمنقسم ثم ان مثبتي الجوهر الفرد وهم جمهور المتكلمين ينازعونكم في هذا الاصل ويقولون الجوهر حال في الجسم بل هو مركب منه فقد حل في المنقسم ماليس بمنقسم ولا يمكن تتميم دليلكم الا بنفي الجوهر الفرد فان قلتم النقطة عبارة عن نهاية الخط وفنائه وعدمه فهي امر عدمي بطل استدلالكم بها وان كانت امرا وجوديا فقد حلت في المنقسم فبطل الدليل على التقديرين * قالوا وايضا فلم لا يكون العلم حالا في محله لا على وجه النوع والسريان فان حلول كل شئ في محله بحسبه فحلول الحيوان فى الدار نوع وحلول العرض فى الجسم نوع وحلول الخط فى الكتاب نوع وحلول الدهن في السمسم نوع وحلول الجسم في العرض نوع وحلول الروح فى البدن نوع وحلول العلوم والمعارف في النفس نوع * قالوا وايضا فالوحدة حاصلة فان كانت جوهرا فقد ثبت الجوهر الفرد وبطل دليلكم فانه لا يتم الا بنفيه وان كان عرضا وجب ان يكون لها محل فمحلها ان كان منقسما فقد جاز قيام غير المنقسم فهو الجوهر وبطل الدليل * فان قلتم الوحدة امر عدمي لا وجود له في الخارج فكذلك ما اثبتم به وجود

ما لا ينقسم كلها امور عدمية لا وجود لها فى الخارج فان واجب الوجود الذى اثبتموه امر عدمى بل مستحيل الوجود * قالوا وايضا فالاضافات عارضة للاقسام مثل الفوقية والتحتية والمالكية والمملوكية فلو انقسم الحال بانقسام محله لزم انقسام هذه الاضافات فكان يكون لحقيقة الفوقية والتحتية ربع وثمن وهذا لا يقبله العقل * قالوا وان القوة الوهمية والفكرة جسمانية عند زعيمكم ابن سيناء فيلزم ان يحصل لها اجزاء وابعاض وذلك محال لانها لو انقسمت لكان كل واحد من ابعاضها ان كان مثلها كان الجزء مساويا للكل وان لم يكن مثلها لم تكن تلك الاجزاء كذلك * وايضا فان الوهم لا معنى له الا كون هذا ضد بقا وهذا اعدو اوذلك لا يقبل القسمة * قالوا وان الوجود امر زائد على الماهيات عندكم فلو لزم انقسام الحال لانقسام محله لزم انقسام ذلك الوجود بانقسام محله وهذا الوجه لا يلزم من جعل وجود الشئ غير ماهيته * قالوا وايضا فطبائع الاعداد ماهيات مختلفة فالمفهوم من كون العشرة عشرة مفهوم واحد وماهية واحدة فتلك الماهية اما ان تكون عارضة لكل واحد من تلك الاحاد وهو محال واما ان ينقسم بانقسام تلك الاحاد وهو محال لان المفهوم من كون العشرة عشرة لا يقبل القسمة نعم العشرة تقبل القسمة لا عشريتها قالوا فقد قام ما لا ينقسم بالمنقسم * قالوا وايضا فالكيفيات المختصات بالكميات كالاستدارة والنقوش ونحوها عند الفلاسفة اعراض موجودة فى شبه الاستدارة ان كانت

عرضافامان تكون بتمامه قائماو امان تكون بكل واحدمن الاجزاء وهو محال و امان ينقسم ذلك العرض بانقسام الاجزاء و يقوم بكل جزء من اجزاء الخط جزء من اجزاء ذلك العرض وهو محال لان جزءه ان كان استدارة لزم ان يكون جزء الدائرة دائرة وان لم يكن استدارة فعند اجتماع الاجزاء ان لم يحدث امر زائد وجب ان لا تحصل الاستدارة وان حدث امرزائد فان كان منقسما عاد التقسيم وان لم ينقسم كان الحال غير منقسم ومحله منقسما ، قلت ، و هذا لايلزمهم فان لهم ان يقولوا ينقسم بانقسام محله تبعا له كسائر الاعراض القائمة بمحالها من البياض والسواد واما ما لا ينقسم كالطول فشرط حصوله اجتماع الاجزاء و المعلق على الشرط منتف بانتفائه قالوا وان هذه الاجسام ممكنة بذواتها وذلك صفة عرضية لها خارجة عن ماهيتها فان لم تنقسم بانقسام محلها بطل الدليل وان انقسمت عاد المحذور المذكور من مساواة الجزء للكل و التسلسل * قلت * وهذا ايضا لا يلزمهم لان الامكان ليس امرا يدل على قبول الممكن للوجود والعدم و ذلك القبول من لوازم ذاته ليس صفة عارضة له و لكن الذهن يجرد هذا القبول عن القابل فيكون عروضه للماهية بتجريد الذهن واما قضية مشاركة الجزء للكل فلا امتناع في ذلك كسائر الماهيات البسيطة فان جزءها مساو لكلها في الحد و الحقيقة كالماء والتراب والهواء و انما الممتنع ان يساوي الجزء للكل في الكم لا في نفس الحقيقة والمعول في ابطال هذه الشبهة على ان العلم ليس

بصورة حالة في النفس وانما هو نسبة واضافة بين العلم والمعلوم كما نقول
في الابصار انه ليس بانطباع صورة مساوية للمبصر في القوة الباصرة وانما
هو نسبة واضافة بين القوة الباصرة والمبصر وعامة شبههم التي اوردوها
في هذا الفصل مبنية على انطباع صورة المعلوم في القوة العاقلة ثم بنوا على
ذلك ان انقسام ما لا ينقسم في المنقسم محال وقولهم محل العلوم الكلية
لو كان جسما او جسمانيا لانقسمت تلك العلوم لان الحال في المنقسم منقسم
لم يذكروا على صحة هذه المقدمة دليلا ولا شبهة وانما بايديهم مجرد الدعوى
وليست بديهية حتى تستغنى عن الدليل وهي مبنية على ان العلم بالشئ
عبارة عن حصول صورة مساوية لماهية المعلوم في نفس العالم وهذا
من ابطل الباطل للوجوه التي نذكرها هناك وايضا لو سلمنا لكم ذلك
كان من اظهر الادلة على بطلان قولكم فان هذه الصورة اذا كانت حالة في
جوهر النفس الناطقة فهي صورة جزئية حالة في نفس جزوي تقارنها
سائر الاعراض الحالة في تلك النفس الجزئية فاذا اعتبرنا تلك
الصورة مع جملة هذه اللواحق لم تكن صورة مجردة بل مقروضة
بلواحق وعوارض وذلك يمنع كليتها * فان قلتم * المراد بكونها كلية انا
اذا حذفنا عنها تلك اللواحق واعتبرناها من حيث هي هي كانت كلية
* قلنا لكم * فاذا جاز هذا فلم لا يجوز ان يقال هذه الصورة حالة في مادة
جسمانية مخصوصة بمقدار معين وبشكل معين الا انا اذا حذفنا عنها ذلك
واعتبرناها من حيث هي هي كانت بمنزلة تلك الصورة التي قلنا بها

ذلك

ذلك فالمعين في مقابلة المعين و المطلق الماخوذ من حيث هو هو في مقابلة محله المطلق وهذا هو المعقول الذي شهدت به العقول الصحيحة والميزان الصحيح فظهر ان هذه الشبهة من افسد الشبه وابطلها وانما اتى القوم من الكليات فانها هي التي خربت دورهم وافسدت نظرهم ومناظرهم فانهم جردوا امورا كلية لا وجود لها في الخارج ثم حكموا عليها باحكام الموجودات وجعلوها ميزانا واصلا للموجودات فاذا جردوا صور المعلومات وجعلوها كلية جردنا نحن محلها وجعلناه كليا وان احدث جزئية معينة فمحلها كذلك فالكلي في مقابلة الكلي والجزئي في مقابلة الجزئي على انا نقول ليس في الذهن كلي وانما في الذهن صورة معينة مشخصة منطبقة على سائر افرادها فان سميت كلية بهذا الاعتبار فلا مشاحة في الالفاظ وهي كلية وجزئية باعتبارين *

فصل

* قولكم في الوجه الثالث * ان الصور العقلية الكلية مجردة وتجردها انما هو بسبب الاخذ لها وهو القوة العقلية * جوابه ان يقال * ما الذي تريدون بهذه الصورة العقلية الكلية اتريدون به ان المعلوم حصل في ذات العالم او ان العلم به حصل في ذات العالم فالاول ظاهر الاحالة والثاني حق الا انه لا يفيدكم شيئا لان الامر الكلي المشترك بين الاشخاص الانسانية هو الانسانية لا العلم بها والانسانية لا وجود لها في الخارج كلية والوجود في الخارج للمعينات فقط

فصل في جواب الشبهة الثالثة

و العلم تابع للمعلوم فكما ان المعلوم معين فالعلم به معين لكنه صورة منطبقة على افراد كثيرة فليس في الذهن ولا في الخارج صورة غير منقسمة البتة وكم قد غلط في هذا الموضع طوائف من العقلاء لا يحصيهم الا الله تعالى فالصورة الكلية التي يثبتونها ويزعمون انها حالة في النفس فهي صورة شخصية موصوفة بعوارض شخصية فهب ان هذه الصورة العقلية حالة في جوهر ليس بجسم ولا جسماني فانها غير مجردة عن العوارض * فان قلتم * مرادنا بكونها مجردة النظر اليها من حيث هي هي مع قطع النظر عن تلك العوارض * قيل لكم * فلم لا يجوز ان تكون الصورة الحالة في المحل الجسماني منقسمة وانما تكون مجردة اذا نظرنا اليها من حيث هي هي بقطع النظر عن عوارضها *

فصل

فصل في جواب الشبهة الرابعة

* قولكم في الرابع * ان القوة العقلية تقوى على افعال غير متناهية ولا شيء من القوى الجسمانية كذلك * فجوابه * انا لا نسلم انها تقوى على افعال غير متناهية وقولكم انها تقوى على ادراكات لا تتناهى والادراكات افعال مقدمتان كاذبتان فان ادراكاتها ولو بلغت ما بلغت فهي متناهية فلو كان لها بكل نفس الف الف ادراك لتناهت ادراكاتها فهي قطعا تنتهي في الادراكات والمعارف الى حد لا يمكنها ان تزيد عليه شيئا كما قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم * الى ان ينتهي العلم الى من هو بكل شيء عليم فهو الله الذي لا اله الا هو وحده وذلك من خصائصه التي لا يشركه فيها سواه

* فان قلتم

فان قلتم لو انتهى ادراكها الى حد لا يمكنها المزيد عليه لزم انقلاب الشيء من الامكان الذاتي * قلنا *فهذا بعينه لو صح دل على ان القوة الجسمانية تقوى على افعال غير متناهية وذلك يوجب سقوط الشبهة وبطلانها وايضا فان قوة التخيل والتفكر والتذكر تقوى على استحضار المخيلات والمتذكرات الى غير نهاية مع انها عندكم قوة جسمانية *فان قلتم* لا نسلم انها تقوى على ما لا يتناهى * قيل لكم * وهكذا يقول خصومكم في القوة العاقلة سواء * واما كذب المقدمة الثانية * فان الادراك ليس بفعل فلا يلزم من تناهي فعلها تناهي ادراكها وقد صرحتم بان الجوهر العقلي قابل لصورة المعلوم لانه فاعل لها والشيء الواحد لا يكون فاعلا وقابلا عندكم وقد صرحتم بان الاجسام يمتنع عليها افعال لا نهاية لها ولا يمتنع عليها جهولات وانفعالات لا تتناهى وقد اورد ابن سيناء على هذه الشبهة سوالا فقال اليس النفس الفلكية المباشرة لتحريك الفلك قوة جسمانية مع ان الحركات الفلكية غير متناهية واجاب عنه بانها وان كانت قوة جسمانية الا انها تستمد الكمال من العقل المفارق فلهذا السبب قدرت على افعال غير متناهية فنقول فاذا كان الامر عندك كذلك فلم لا يجوز ان يقال النفس الناطقة تستمد الكمال والقوة من فاطرها ومنشئها الذى له القوة جميعا فلا جرم تقوى مع كونها جسمانية على ما لا يتناهى فاذا قلت بذلك وافقت الرسل والعقل ودخلت مع زمرة المسلمين وفارقت العصبة المبطلين *

فصل

قولكم في الخامس لوكانت القوة العاقلة حالة في آلة جسمانية لوجب ان تكون دائمة الادراك لتلك الآلة او ممتنعة الادراك كلها *فهو* مبنى على اصلكم الفاسد ان الادراك عبارة عن حصول صورة مساوية للمدرك في القوة المدركة ثم لو سلمنا لكم ذلك الاصل لم يفدكم شيئا فان حصول تلك الصورة يكون شرطا لحصول الادراك فاما ان يقال ان الادراك عين حصول تلك الصورة فهذا لا يقوله عاقل فلم لا يجوز ان يقال القوة العقلية حالة في جسم مخصوص ثم ان القوة الناطقة قد تحصل لها حالة اضافية تسمى بالشعور والادراك فحينئذ تصير القوة العاقلة مدركة لتلك الآلة وقد لا توجد تلك الحالة الاضافية فتصير غافلة عنها واذا كان هذا ممكنا سقطت تلك الشبهة رأسا ثم نقول لا ندعون انا اذا عقلنا شيئا فان الصورة الحاضرة في العقل مساوية لذلك المعقول من جميع الوجوه والاعتبارات اولا يسبب حصول هذه المساواة من جميع الوجوه فالاول لا يقوله عاقل وهو اظهر من ان يحتج لفساده واذا علم انه لا تجب المساواة من جميع الوجوه لم يلزم من حدوث صورة اخرى فى القلب والدماغ اجتماع المثلين وايضا فالقوة العاقلة حالة فى جوهر القلب او الدماغ والصورة الحادثة حالة في القوة العاقلة فاحدى الصورتين محل للقوة العاقلة وايضا فنحن اذا راينا المسافة الطويلة والبعد الممتد فهل يتوقف هذا الابصار على ارتسام صورة المرئى فى عين الرائي

او لا يتوقف فان توقف لزم اجتماع المثلين لان القوة الباصرة عندكم جسمانية فهي في محل له حجم و مقدار فاذا حصل فيه حجم المرئي و مقداره لزم اجتماع المثلين و اذا جاز هناك فلم لا يجوز مثله في مسئلتنا و ان كان ادراك الشيء لا يتوقف على حصول صورة المرئي في الرائي بطل قولكم ان ادراك القلب و الدماغ يتوقف على حصول صورة القلب و الدماغ في القوة العاقلة و ايضا فقولكم لو كانت القوة العقلية حالة في جسم لوجب ان تكون دائمة الادراك لذاك الجسم لكن ادراكنا لقلبنا و دماغنا غير دائم فهذا انما يلزم من يقول انها حالة في القلب او الدماغ و اما من يقول انها حالة في جسم مخصوص و هو النفس و هي مشابكة للبدن فهذا الالزام غير وارد عليه فانه يقول النفس جسم مخصوص و الانسان ابدا عالم بانه جسم مخصوص ولا يزول ذلك عن عقله الا اذا عرضت له الغفلة فسقطت الشبهة التي عولتم عليها على كل تقدير *

فصل

* قولكم في السادس * ان كل احد يدرك نفسه و الادراك عبارة عن حصول ماهية المعلوم عند العالم وهذا انما يصح اذا كانت النفس غنية عن المحل الى اخره * جوابه * ان ذلك مبني على الاصل المتقدم وهو ان العلم عبارة عن حصول صورة مساوية للمعلوم في نفس العالم و هذا باطل من وجوه كثيرة مذكورة في مسئلة العلم حتى لو سلم ذلك فالصورة المذكورة شرط في حصول العلم لا انها نفس العلم و ايضا فهذه الشبهة مع ركاكة

فصل في جواب الشبهة السادسة

الفاظها و فساد مقدماتها منقوضة فانا اذا اخذ نا حجرا او خشبة قلنا هذا
جوهر قائم بنفسه فذاته حاضرة عند ذاته فيجب في هذه الجمادات ان
تكون عالمة بذواتها وايضا فجميع الحيوانات مدركة لذواتها فلو كان كون
الشئ مدركا لذاته يقتضي كون ذاته جوهرا مجردا لزم كون نفوس
الحيوانات باسرها جواهر مجردة وانتم لا تقولون بذلك *

فصل

* قولكم في السابع * الواحد منا يتخيل بحرا من زيبق وجبلا من ياقوت
الى اخره وهو شبهة ابي البركات البغدادي فشبهة داحضة جدا فانها
مبنية على ان تلك المتخيلات امور موجودة وانها منطبعة في النفس الناطقة
انطباع النفس في محله ومعلوم قطعا ان هذه المتخيلات لا حقيقة لها في ذاتها
وانما الذهن يفرضها تقديرا وليست منطبعة في النفس فان العلوم الخارجية
لا تنطبع صورها في النفس فكيف بالخيالات المعدومة فهذه منقوضة
ولا يمنع من وقوع التمييز بين الاعدام المضافة فان العقل يميز بين عدم
السمع وعدم البصر وعدم الشم وغير ذلك ولا يلزم من هذا التمييز كون
هذه الاعدام موجود بل يميز بين انواع المستحيلات التي لا يمكن وجودها
البتة ثم نقول اذا عقل حلول الاشكال والمقادير فيما كان مجردا عن الحجمية
والمقدار من كل الوجوه فلا يعقل حلول العلم بالشكل العظيم والمقدار
العظيم في الجسم الصغير وايضا فاذا كان عدم الانطباق من جميع الوجوه
لا يمنع من حلول الصورة والشكل في الجوهر المجرد فعدم انطباق العظيم

فصل في جواب الشبهة السابعة

على

على الصغيراولى ان لايمنع من حلول الصورة العظيمة فى المحل الصغير وايضافان سلفكم من الاوائل اقاموا الدليل على ان انطباع الصورة الحالة فى الجوهر المجرد محال وذكروا له وجوها *

فصل

*قولكم في الثامن *لو كانت القوة العقلية جسدانية لضعفت في زمن الشيخوخة وليس كذلك *جوابه من وجوه *احدها *لم لا يجوز ان يقال القدر المحتاج اليه من صحة البدن فى كمال القوة العقلية مقدار معين واما كمال حال البدن في الصحة فانه غير معتبر فى كمال حال القوة العقلية واذا احتمل ذلك لم يبعد ان يقال ذلك القدر المحتاج اليه باق الى اخر الشيخوخة فبقى العقل الى اخرها *الثاني *ان الشيخ لعله انما يمكنه ان يستمر في الادراكات العقلية على الصحة ان عقله يبقى ببعض الاعضاء التى يتاخر الفساد و الاستحالة اليها فاذا انتهى اليها الفساد و الاستحالة فسد عقله وادراكه *الوجه الثالث *انه لايمتنع ان يكون بعض الامزجة اوفق لبعض القوى فلعل مزاج الشيخ اوفق للقوة العقلية فلهذا السبب تقوى فيه القوة العاقلة *الوجه الرابع *ان المزاج اذاكان فى غاية القوة والشدة كانت سائر القوى قوية فتكون القوة الشهوانية و الغضبية قوية جدا وقوة هذه القوى يمنع العقل من الاستكمال فاذاحصلت الشيخوخة وحصل الضعف حصل بسبب الضعف ضعف فى هذه القوى المانعة للعقل من الاستكمال و حصل في العقل ايضاضعف و لكن بعدماحصل في العقل

فصل في ترديد الشبهة الثامنة

من الضعف حصل ذلك فى اضداده فينجبر النقصان من احد الجانبين بالنقصان من الجانب الاخر فيقع الاعتدال * الوجه الخامس * ان الشيخ حفظ العلوم و التجارب الكثيرة و مارس الامور ودربها وكثرة تجاربه و هذه الاحوال تعينه على وجوه الفكر و قوة النظر فقاوم النقصان الحاصل بسبب ضعف البدن والقوى * الوجه السادس * ان كثرة الافعال بسبب حصول الملكات الراسخة فصارت الزيادة الحاصلة بهذا الطريق جابرا للنقصان الحاصل بسبب اختلاف البدن * الوجه السابع * انه قد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يهرم ابن ادم و تشب فيه خصلتان الحرص و طول الامل * والواقع شاهد لهذا الحديث مع ان الحرص و الامل من القوى الجسمانية و الصفات الخيالية ثم ان ضعف البدن لم يوجب ضعف هاتين الصفتين فعلم انه لا يلزم من اختلال البدن و ضعفه ضعف الصفات البدنية * الوجه الثامن * انا نرى كثيرا من الشيوخ يصيرون الى الخرف وضعف العقل بل هذا هو الاغلب و يدل عليه قوله تعالى و منكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا * فالشيخ في ارذل عمره يصير كالطفل او اسوأ حالا منه واما من لم يحصل له ذلك فانه لا يرد الى ارذل العمر * الوجه التاسع * انه لا تلازم بين قوة البدن و قوة النفس و لا بين ضعفه و ضعفها فقد يكون الرجل قوى البدن ضعيف النفس جبانا خوارا و قد يكون ضعيف البدن قوي النفس فيكون شجاعا مقداما على ضعف

بدنه * الوجه العاشر * انه لو سلم لكم ما ذكرتم لم يدل على كون النفس جوهرا مجردا لاداخل العالم ولاخارجه ولاهي في البدن ولاخارجة عنه لانها اذا كانت جسما صافيا مشرقا سماويا مخالفا للاجسام الارضية لم تقبل الانحلال والذبول والتبدل كما تقبله الاجسام المتحللة الارضية فلا يلزم من حصول الانحلال والذبول في هذا البدن حصولهما في جوهر النفس *

فصل

فصل في رد الحجة التاسعة

* قولكم في التاسع * ان القوة العقلية غنية في افعالها عن الجسم وما كان غنيا عن الجسم في افعاله كان غنيا عنه في ذاته الى اخره * جوابه * ان يقال لا يلزم من ثبوت حكم في قوة جسمانية ثبوت مثل ذلك الحكم في جميع القوى الجسمانية وليس معكم غير الدعوى المجردة والقياس الفاسد وايضا فالصور والاعراض محتاجة الى محلها وليس احتياجها الى تلك المحال الا لمجرد ذواتها لا يلزم من استقلالها بهذا الحكم استغناؤها في ذواتها عن تلك المحال فلا يلزم من كون الشيء مستقلا باقتضاء حكم من الاحكام ان يكون مستغنيا في ذاته عن المحل والله اعلم *

فصل

فصل في رد الحجة العاشرة

* قولكم في العاشر * ان القوة الجسمانية تكل بكثرة الافعال ولا تقوى على القوي بعد الضعيف الى اخره * جوابه * ان القوة الخيالية جسمانية ثم انها تقوى على تخيل الاشياء العظيمة مع تخيلها الاشياء الحقيرة فانها

يمكنها ان تتخيل الشعلة الصغيرة حال ما تخيل الشمس و القمر و ايضا فان الابصار القوية القاهرة تمنع ابصار الاشياء الضعيفة فكذلك نقول العقول العظيمة العالية تمنع تعقل المعقولات الضعيفة فان المستغرق في معرفة جلال رب الارض و السموات و اسمائه و صفاته تمنع عليه في تلك الحال الفكر في ثبوت الجوهر الفرد و حقيقته *

فصل

قولكم في الحادي عشر انا اذا حكمنا بان السواد مضاد للبياض وجب ان يحصل في الذهن ماهية السواد والبياض معا والبداهة حاكمة بان اجتماعهما في الجسم محال *جوابه* ان هذا مبنى على ان من ادرك شيئا فقد حصل في ذات المدرك صورة مساوية للمدرك وهذا باطل واستدلالكم على صحته بانطباع الصورة في المراٰة باطل فان المراٰة لم ينطبع فيها شئ البتة كما يقوله جمهور العقلاء من الفلاسفة والمتكلمين وغيرهم والقول بالانطباع باطل من وجوه كثيرة ثم نقول اذا كنتم قد قلتم ان المنطبع في النفس عند ادراك السواد و البياض رسومهما و مثالهما لا حقيقتهما فلم لا يجوز حصول رسوم هذه الاشياء في المادة الجسمانية *

فصل

قولكم في الثاني عشر انه لوكان محل الادراكات جسما فكل جسم منقسم لم يمتنع ان يقوم ببعض اجزاء الجسم علم بالشئ و بالجزء الاخر منه جهل به فيكون الانسان عالما بالشئ جاهلا به في وقت واحد *جوابه* ان

فصل في رد الشبهة الثالثة عشر

فصل في رد الشبهة الحادية عشر

هذه الشبهة منتقضة على اصولكم فان الشهوة والغضب والتخيل من
الاحوال الجسمانية عندكم ومحلها منقسم فلزمكم ان تجوزوا قيام الشهوة
والغضب باحد الجزئين وضدهما بالجزء الاخر فيكون مشتهيا للشيء
نافرا عنه غضبان عليه غير غضبان في وقت واحد *

فصل

فصل في رد بيان الشبهة الثالثة عشر

قولكم في الثالث عشر ان المادة الجسمانية اذا حصلت فيها نقوش
مخصوصة امتنع فيها حصول مثلها والنفوس البشرية بضد ذلك الى
اخره *جوابه* ان غاية هذا ان يكون قياسا ممتازا بغير جامع وذلك
لا يفيد الظن فضلا عن اليقين فان النقوش العقلية هي العلوم والادراكات
والنقوش الجسمانية هي الاشكال والصور ولا ريب ان العلوم مخالفة
بحقائقها للصور والاشكال ولا يلزم من ثبوت حكم في نوع من انواع
الماهيات ثبوته فيما يخالف ذلك النوع *

فصل

فصل في رد بيان الشبهة الرابعة عشر

قولكم في الرابع عشر لو كانت النفس جسما لكان بين تحريك المحرك
رجله وبين ارادته للحركة زمان الى اخره *جوابه* ان النفس مع
الجسد لا تخلو من ثلاثة احوال اما ان تكون لابسة لجسمه من خارج
كالثوب او تكون في موضع واحد كالقلب والدماغ او تكون سارية
في جميع اجزاء الجسد وعلى كل تقدير من هذه التقادير فتحريكها لما يريد
تحريكه يكون مع ارادتها لذلك بلا زمان كادراك البصر لما يلاقيه

و ادراك السمع والشم والذوق واذا قطعت العضو لم ينقطع ما كان من جسم النفس متخللا لذلك العضو سواء كانت لابسة له من داخل اومن خارج بل تفارق العضو الذى بطل حسه في الوقت و تتقلص عنه بلازمان و يكون مفارقتها لذلك العضو كمفارقة الهواء للاناء اذا ملئ ماء واما ان كانت النفس ساكنة فى موضع واحد من البدن لم يلزم ان تبين مع العضو المقطوع واما ان كانت لابسة للبدن من خارج لم يلزم ان يكون بين ارادتها تحريكه و نفس التحريك زمان بل يكون فعلها حينئذ فى تحريك الاعضاء كفعل المقناطيس فى الحديد وان لم يلاصقه ثم نقول هذا الهذيان الذى شغلتهم به الزمان وارد عليكم بعينه فانها عندكم غير متصلة بالبدن ولا منفصلة عنه ولا داخلة فيه ولا خارجة عنه فيلزمكم مثل ذلك *

فصل

فصل في ترديد الشبهة الخامسة عشر

قولكم فى الخامس عشر لو كانت جسما لكانت منقسمة ولصح عليها ان تعلم بعضها و تجهل بعضها فيكون الانسان عالما ببعض نفسه جاهلا بالبعض الاخر *جوابه* ان هذه الشبهة مركبة من مقدمتين تلازمية و استثنائية والمنع واقع في كلا المقدمتين او احدهما فلا نسلم انها لو كانت جسما لصح ان تعلم بعضها وتجهل بعضها فان النفس بسيطة غير مركبة من هذه العناصر ولا من الاجزاء المختلفة فمن شعرت بذاتها شعرت بجهلها فهذا منع المقدمة التلازمية واما الاستثنائية فلا نسلم انها لا يصح ان تعلم بعضها حال غفلتها عن

البعض الاخر ولم يذكروا على بطلان ذلك شبهة فضلا عن دليل ومن المعلوم ان الانسان قد يشعر بنفسه من بعض الوجوه دون كلها ويتفاوت الناس في ذلك فمنهم من يكون شعوره بنفسه اتم من غيره بدرجات كثيرة وقد قال تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم * فهو لاء نسوا انفسهم لا من جميع الوجوه بل من الوجه الذى به مصالحها وكمالها وسعادتها وان لم ينسوها من الوجه الذى منه شهوتها وحظها وارادتها فانساهم مصالح نفوسهم ان يفعلوها ويطلبوها وعيوبها ونقائصها ان يزيلوها ويجتنبوها وكمالها الذى خلقت له ان يعرفوه ويطلبوه فهم جاهلون بحقائق انفسهم من هذه الوجوه وان كانوا عالمين بها من وجوه اخر *

فصل

فصل في رد الشبهة السادسة عشر

* قولكم في السادس عشر * لو كانت النفس جسما وجب ثقل البدن بدخولها فيه لان من شان الجسم اذا زدت عليه جسما اخر ان يثقل به * فهذه شبهة في غاية الثقالة والمحتج بها اثقل واثقل وليس كل جسم زيد عليه جسم اخر ثقله فهذه الخشبة تكون ثقيلة فاذا زيد عليها جسم النار خفت جدا وهذا الظرف يكون ثقيلا فاذا دخله جسم الهواء خف وهذا انما يكون في الاجسام الثقال التي تطلب المركز والوسط بطبعها وهي تتحرك بالطبع اليه واما الاجسام التي تتحرك بطبعها الى العلو فلا يعرض لها ذلك بل الامر فيها بالضد من تلك الاجسام الثقال بل اذا اضيف الى جسم

ثقيل اكسبته الخفة وقد اخذ هذا المعنى بعضهم فقال

ثقلت زجاجات اتينا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت ان تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

فصل

قولكم في السابع عشر لو كانت النفس جسما لكانت على صفات سائر الاجسام التي لا تخلو منها من الخفة والثقل والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والنعومة والخشونة الى اخره* شبهة فاسدة داحضة* فانه لا يجب اشتراك الاجسام في جميع الكيفيات والصفات وقد فاوت الله سبحانه بين صفاتها وكيفياتها وطبائعها فمنها ما يرى بالبصر ويلمس باليد ومنها مالا يرى ولا يلمس ومنها ماله لون ومنها مالا لون له ومنها ما يقبل الحرارة والبرودة ومنها مالا يقبله على ان للنفس من الكيفيات المختصة بها ما لابشار كها فيها البدن ولها خفة وثقل وحرارة وبرودة ويبس او لين بحسبها وانت تجد الانسان في غاية الثقالة وبدنه نحيل جدا او تجده في غاية الخفة وبدنه ثقيل وتجد نفسا لينه وادعه ونفسا يابة قاسية ومن له حس سليم يشم رائحة بعض النفوس كالجيفة المنتنة ورائحة بعضها اطيب من ريح المسك وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر في طريق بقي اثر رائحته في الطريق ويعرف انه مر بها وتلك رائحة نفسه وقلبه وكانت رائحة عرقه من اطيب شئ وذلك تابع لطيب نفسه وبدنه واخبر وهو اصدق البشر ان

الروح عند المفارقة يوجد لها كاطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض او كانتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض * ولولا الزكام الغالب لشم الحاضرون ذلك على ان كثيرا من الناس يجد ذلك وقد اخبر به غير واحد ويكفي فيه خبر الصادق المصدوق وكذلك اخبر بان ارواح المؤمنين مشرقة وارواح الكفار سود * وبالجملة فكيفيات النفوس اظهر من ان ينكرها الا من هو من اجهل الناس بها *

فصل

* قولكم في الثامن عشر * لو كانت النفس جسما لوجب ان تقع تحت جميع الحواس او تحت حاسة منها الى اخره * فجوابه * منع اللزوم فانكم لم تذكروا عليه شبهة فضلا عن دليل ومنع انتفاء اللازم فان الروح تدرك بالحواس فتلمس وترى ويشم لها الرائحة الطيبة والخبيثة كما تقدم في النفوس المستفيضة ولكن لا نشاهد نحن ذلك وهذا الدليل لا يمكن ممن يصدق الرسل ان يحتج به فان الملك جسم ولا يقع تحت حاسة من حواسنا وكذلك الجن والشياطين اجسام لطاف لا تقع تحت حاسة من حواسنا والاجسام متفاوتة في ذلك تفاوتا كثيرا * فمنها * ما يدرك باكثر الحواس * ومنها * ما لا يدرك باكثرها * ومنها * ما يدرك بحاسة واحدة * ومنها * ما لا تدركه نحن في الغالب وان ادرك في بعض الاحوال لكونه لم يخلق لنا ادراكه او المانع يمنع من ادراكه اولطفه عن ادراك حواسنا فما عدم اللون من الاجسام لم يدرك بالبصر

كالهواء والنار في عنصرها وما عدم الرائحة لم يدرك بالشم كالنار
والحصا والزجاج وما عدم المجسة لم يدرك باللمس كالهواء الساكنة
وايضا فالروح هي المدركة لمدراك هذه الحواس بواسطة آلاتها فالنفس
هي الحاسة المدركة وان لم تكن محسوسة فالاجسام والاعراض محسوسة
والنفس محسة بها وهي القابلة لاعراضها المتعاقبة عليها من الفضائل والرذائل
كقبول الاجرام لاعراضها المتعاقبة عليها وهي المتحركة باختيارها المحركة
للبدن قسرا وقهرا وهي مؤثرة في البدن متاثرة به تألم وتلذ وتفرح وتحزن
وترضى وتغضب وتنعم وتبأس وتحب وتكره وتذكر وتنسى وتصعد وتنزل
وتعرف وتنكر واثارها من ادل الدلائل على وجودها كما ان آثار الخالق
سبحانه دالة على وجوده وعلى كماله فان دلالة الاثر على مؤثره ضرورية
وتاثيرات النفوس بعضها في بعض امر لا ينكره ذو حس سليم ولا عقل
مستقيم ولا سيما عند تجردها نوع تجرد عن العلائق والعوائق البدنية فان
قواها يتضاعف ويتزايد بحسب ذلك ولا سيما عند مخالفة هواها وحملها
على الاخلاق العالية من العفة والشجاعة والعدل والسخاء وتجنبها سفساف
الاخلاق ورذائلها وسافلها فان تاثيرها في العالم يقوى جدا تاثيرا يعجز
عنه البدن واعراضه (١) ان تنظر الى حجر عظيم فتشقه او حيوان كبير
فتتلفه او الى نعمة فتزيلها وهذا امر قد شاهده الامم على اختلاف اجناسها
واديانها وهو الذي يسمى اصابة العين فيضيفون الاثر الى العين وليس
لها في الحقيقة وانما هو للنفس المتكيفة بكيفية رديئة سمية وقد تكون بواسطة

نظر العين وقد لا تكون بل يوصف له الشئ من بعيد فتتكيف عليه نفسه
بتلك الكيفية فتفسده وانت ترى تاثير النفس في الاجسام صفرة
وحمرة وارتعاشا بمجرد مقابلتها لها وقوتها وهذه واضعافها آثار خارجة
عن تاثير البدن واعراضه فان البدن لا يؤثر الا فيما لاقاه وماسه تاثيرا
مخصوصا ولم تزل الامم تشهد تاثير الهمم الفعالة في العالم وتستعين بها
وتحذر اثرها وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يغسل العائن
مغابنه ومواضع القذر منه ثم يصب ذلك الماء على المعين فانه يزيل عنه
تاثير نفسه فيه وذلك بسبب امر طبعي اقتضته حكمة الله سبحانه فان
النفس الامارة لها بهذه المواضع تعلق والف والارواح الخبيثة الخارجية
تساعدها وتالف هذه المواضع غالبا للمناسبة بينها وبينها فاذا غسلت
بالماء طفيت تلك النارية منها كما يطفى الحديد المحمى بالماء فاذا صب
ذلك الماء على المصاب طفا عنه تلك النارية التي وصلت اليه من العاين
وقد وصف الاطباء الماء الذي يطفأ فيه الحديد لالام واوجاع معروفة
وقد درب الناس من تاثير الارواح بعضها في بعض عند تجردها في
المنام عجائب تفوت الحصر وقد نبهنا على بعضها فيما مضى فعالم الارواح
عالم اخر اعظم من عالم الابدان واحكامه وآثاره اعجب من اثار
الابدان بل كل ما في العالم من الاثار الانسانية فانما هي من ما تاثير النفوس
بواسطة البدن فالنفوس والابدان يتعاونان على التاثير تعاون المشتركين
في الفعل وتنفرد النفس باثار لا يشاركها فيها البدن ولا يكون للبدن

تاثير لا تشاركه فيه النفس *

فصل

فصل في ترد بعد الشبهة التاسعة عشر

قولكم في التاسع عشر لو كانت النفس جسما لكانت ذات طول وعرض وعمق وشكل وسطح وهذه المقادير لا تقوم الا بمادة الى اخره *جوابه* انا نقول قولكم هذه المقادير لا تقوم الا بمادة قلنا وكان ماذا او النفس لها مادة خلقت منها وجعلت على شكل معين وصورة معينة *قولكم* مادتها ان كانت نفسا لزم اجتماع نفسين وان كانت غير نفس كانت مركبة من بدن وصورة * قلنا * مادتها ليست نفسا كما ان مادة الانسان ليست انسانا ومادة الجن ليست جنا ومادة الحيوان ليست حيوانا *قولكم* يلزم كون النفس مركبة من بدن وصورة مقدمة كاذبة وانما يلزم كون النفس مخلوقة من مادة ولها صورة معينة وهكذا نقول سواء ولم تذكروا على بطلان هذا شبهة فضلا عن حجة ظنية او قطعية *

فصل

فصل في ترد بعد الشبهة العشرين

* قولكم في الوجه العشرين * ان خاصة الجسم ان يقبل التجزى وان الجزء الصغير منه ليس كالكبير فلو قبلت التجزى فكل جزء منها ان كان نفسا لزم ان يكون للانسان نفوس كثيرة وان لم يكن نفسا لم يكن المجموع نفسا *جوابه* ان اردتم ان كل جسم يقبل التجزى في الخارج فكذب ظاهر فان الشمس والقمر والكواكب لا تقبل ذلك ولا يلزم ان كل جسم يصح عليه التجزى والتبعيض فى الخارج اما على قول نفاة الجوهر

الفرد فظاهر و اما على قول مثبتيه فانه عندهم جوهر متحيز لا يصح عليه قبول الانقسام سلمنا انها تقبل الانقسام فاي شيء يلزم من ذلك * قولكم * ان كان كل جزء من تلك الاجزاء نفسا لزم اجتماع نفوس كثيرة في الانسان * قلنا * انما يلزم ذلك لو انقسمت النفس بالفعل الى نفوس كثيرة وهذا محال * قولكم * وان لم يكن كل جزء نفسا لم يكن المجموع نفسا مقدمة كاذبة منتقضة فكل ماهية ثبت لها حكم عند اجتماع اجزائها فان ذلك الحكم لا يثبت لكل جزء من تلك الاجزاء كماهية البيت والانسان والعشرة وغيرها *

﴿ فصل ﴾

* قولكم في الوجه الحادي والعشرين * ان الجسم يحتاج في قوامه وبقائه وحفظه الى نفس اخرى و يلزم التسلسل * جوابه * انه لا يلزم من افتقار البدن الى نفس تحفظه افتقار النفس الى نفس تحفظها وهل ذلك الا مجرد دعوى كاذبة مستند الى قياس قد تبين بطلانه فان كل جسم لا يصير الى نفس تحفظه كاجسام المعادن وجسم الهواء والماء والنار والتراب واجسام سائر الجمادات * فان قلتم * ان هذه ليست احياء ناطقة بخلاف النفس فانها حية ناطقة * قلنا * فحينئذ يبقى الدليل هكذا ان كل جسم حي ناطق يحتاج في حفظه وقيامه الى نفس تقوم به وهذه دعوى مجردة وهي كاذبة فان الجن والملائكة احياء ناطقون وليسوا مفتقرين في قيامهم الى ارواح اخر تقوم بهم * فان قلتم * وكلامنا معكم في الجن والملائكة

تكفير منكري الجن والملائكة

فانهم ليسوا باجسام متحيزة * قلنا * الكلام مع من يؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اما من كفر بذلك فالكلام معه في النفس ضائع و قد كفر بفاطر النفس و مبدعها و ملائكته وما جاءت به رسله وكان تارك ما دل عليه العيان مع دليل الايمان فان الاثار المشهودة في العالم من تاثيرات الملائكة والجن باذن ربهم لا يمكن انكارها و لا هي موجودة بنفسها و لا تقدر عليها القوى البشرية *

فصل

فصل في رد الشبهة الثانية والعشرين

* قولكم في الثاني والعشرين * لو كانت جسما لكان اتصالها بالبدن ان كان على سبيل المداخلة لزم تداخل الاجسام و ان كان على سبيل الملاصقة و المجاورة كان الانسان الواحد جسمين متلاصقين احدهما يرى والاخر لا يرى * جوابه * من وجوه * احدها * ان تداخل الاجسام المحال ان يتداخل جسمان كثيفان احدهما في الاخر بحيث يكون حيزهما واحدا واما ان يدخل جسم لطيف في كثيف يسري فيه فهذا ليس بمحال * الثاني * ان هذا باطل بصور كثيرة منها دخول الماء في العود و السحاب و دخول النار في الحديد و دخول الغذاء في جميع اجزاء البدن و دخول الجن في المصروع فالروح للطافتها لا يمتنع عليها مشابكة البدن والدخول في جميع اجزائه * الثالث * ان حيز النفس البدن و حيزه مكانه المنفصل عنه و هذا ليس بتداخل ممتنع فاذا فارقته صار لها حيزا اخر غير حيزه و حينئذ فلا يتداخلان بل يصير لكل منهما حيز يخصه

دخول الجن في المصروع

وبالجملة فدخول الروح فى البدن الطف من دخول الماء في الثرى والدهن فى البدن فهذه الشبهة الفاسدة لا يعارض بها مادل عليها نصوص الوحي والادلة العقلية وبالله التوفيق *

فصل * * * واما المسئلة الثالثة والعشرون وهي هل النفس والروح شيء واحد او شيئان متغائران

فاختلف الناس في ذلك فمن قائل ان مسماهما واحدوهم الجمهور ومن قائل انهما متغائران ونحن نكشف سر المسئلة بحول الله وقوته فنقول النفس تطلق على امور * احدها * الروح قال الجوهرى النفس الروح يقال خرجت نفسه قال ابو خراش

نجا سالما والنفس منه بشدقه * ولم ينج الا جفن سيف وميزر

اى بجفن سيف وميزر والنفس الدم يقال سالت نفسه وفي الحديث مالا نفس له سائلة لا ينجس الماء اذا مات فيه والنفس الجسد قال الشاعر

نبئت ان بنى تميم ادخلوا * ابناءهم تامور نفس المنذر

والتامور الدم والنفس العين يقال اصابت فلانا نفس اى عين * قلت * ليس كما قال بل النفس ههنا الروح ونسبة الاضافة الى العين توسع لانها تكون بواسطة النظر المصيب والذى اصابه انما هو نفس العائن كما تقدم * قلت * والنفس فى القران تطلق على الذات بجملتها كقوله تعالى فسلموا على انفسكم وقوله ولا تقتلوا انفسكم وقوله يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها وقوله كل نفس بما كسبت رهينة * وتطلق على الروح

وحدها كقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة وقوله اخرجوا انفسكم وقوله ونهى النفس عن الهوى وقوله ان النفس لامارة بالسوء * واما الروح فلا تطلق على البدن لا بانفراده ولا مع النفس وتطلق الروح على القران الذي اوحاه الله الى رسوله قال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا * وعلى الوحي الذي يوحيه الى انبيائه ورسله قال تعالى يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق * وقال ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون * وسمى ذلك روحا لما يحصل به من الحيوة النافعة فان الحيوة بدونه لا تنفع صاحبها البتة بل حيوة الحيوان البهيم خير منها واسلم عاقبة وسميت الروح روحا لان بها حيوة البدن وكذلك سميت الريح لما يحصل بها من الحيوة وهي من ذوات الواو ولهذا يجمع على ارواح قال الشاعر

اذا هبت الارواح من نحو ارضكم * وجدت لمسراها على كبدي بردا

ومنها الروح والريحان والاستراحة فسميت النفس روحا لحصول الحيوة بها وسميت نفسا اما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها واما من تنفس الشيء اذا اخرج فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت نفسا ومنه النفس بالتحريك فان العبد كلما نام خرجت منه فاذا استيقظ رجعت اليه فاذا مات خرجت خروجا كليا فاذا دفن عادت اليه فاذا سئل خرجت فاذا بعث رجعت اليه فالفرق بين النفس والروح فرق

﴿ وجه تسمية الروح روحا ﴾

بالصفات لا فرق بالذات وانما سمي الدم نفسا لان خروجه الذي يكون معه الموت بلا دم خروج النفس وان الحيوة لا تتم الا به كما لا تتم الا بالنفس فلهذا قال

تسيل على خد الظباة نفوسنا * وليست على غير الظباة تسيل

ويقال فاضت نفسه وخرجت نفسه وفارقت نفسه كما يقال خرجت روحه وفارقت ولكن الفيض الاندفاع وهلة واحدة ومنه الافاضة وهي الاندفاع بكثرة وسرعة لكن افاض اذا دفع باختياره وارادته وفاض اذا اندفع قسرا او قهرا فالله سبحانه هو الذي يفيضها عند الموت فتفيض هي *

﴿ فصل ﴾

﴿ فصل في ان الروح غير النفس ﴾

وقالت فرقة اخرى من اهل الحديث والفقه والتصوف الروح غير النفس قال مقاتل بن سليمان للانسان حيوة وروح ونفس فاذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الاشياء ولم تفارق الجسد بل تخرج كحبل ممتد له شعاع فيرى الرؤيا بالنفس التي خرجت منه وتبقى الحيوة والروح في الجسد فبه يتقلب ويتنفس فاذا حرك رجعت اليه اسرع من طرفة عين فاذا اراد الله عز وجل ان يميته في المنام امسك تلك النفس التي خرجت وقال ايضا اذا نام خرجت نفسه فصعدت الى فوق فاذا رأت الرؤيا رجعت فاخبرت الروح ويخبر الروح القلب فيصبح يعلم انه قد رأى كيت وكيت * قال ابو عبد الله بن منده ثم اختلفوا في معرفة الروح والنفس

فقال بعضهم النفس طينية نارية والروح نورية روحانية وقال بعضهم
الروح لاهوتية والنفس ناسوتية وان الخلق بها ابتلي وقالت طائفة وهم
اهل الاثر ان الروح غير النفس والنفس غير الروح وقوام النفس بالروح
والنفس صورة العبد والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها ولا عدو
اعدى لابن ادم من نفسه فالنفس لا تريد الا الدنيا ولا تحب الا اياها والروح
تدعو الى الاخرة وتؤثرها وجعل الهوى تبعا للنفس والشيطان تبع النفس
والهوى والملك مع العقل والروح والله تعالى يمدهما بالهامه وتوفيقه
وقال بعضهم الارواح من امر الله اخفى حقيقتها وعلمها على الخلق وقال
بعضهم الارواح نور من نور الله وحيوة من حيوة الله ثم اختلفوا
في الارواح هل تموت بموت الابدان والانفس او لا تموت فقال طائفة
الارواح لا تموت ولا تبلى وقال جماعة الارواح على صور الخلق لها ايدى
وارجل واعين وسمع وبصر ولسان وقالت طائفة للمؤمن ثلاثة ارواح
وللمنافق والكافر روح واحدة وقال بعضهم للانبياء والصديقين
خمس ارواح وقال بعضهم الارواح روحانية خلقت من الملكوت فاذا
صفت رجعت الى الملكوت * قلت * اما الروح التي تتوفى وتقبض فهي روح
واحدة وهي النفس واما ما يؤيد الله به اولياءه من الروح فهي روح اخرى غير
هذه الروح كما قال تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه
وكذلك الروح الذى ايد بها روحه المسيح ابن مريم كما قال تعالى اذ قال الله

يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس * وكذلك الروح التي يلقيها على من يشاء من عباده هي غير الروح التي في البدن واما القوى التي في البدن فانها تسمى ايضا ارواحا فيقال الروح الباصر والروح السامع والروح الشام فهذه الارواح قوى مودعة في الابدان تموت بموت الابدان وهي غير الروح التي لا تموت بموت البدن ولا تبلى كما يبلى ويطلق الروح على اخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله والانابة اليه ومحبته وانبعاث الهمة الى طلبه وارادته ونسبة هذه الى الروح كنسبة الروح الى البدن فاذا فقدتها الروح كانت بمنزلة البدن اذا فقد روحه وهي الروح التي يؤيد بها اهل ولايته وطاعته ولهذا يقول الناس فلان فيه روح وفلان ما فيه روح وهو بو وهو قصبة فارغة ونحو ذلك فللعلم روح وللاحسان روح وللاخلاص روح وللمحبة والانابة روح وللتوكل وللصدق روح والناس متفاوتون في هذه الارواح اعظم تفاوت فمنهم من تغلب عليه هذه الارواح فيصير روحانيا ومنهم من يفقدها او اكثرها فيصير ارضيا بهيميا والله المستعان *

فصل * * * واما المسئلة الحادية والعشرون وهي هل النفس واحدة ام ثلاث *

فقد وقع في كلام كثير من الناس ان لابن ادم ثلاث انفس نفس مطمئنة ونفس لوامة ونفس امارة وان منهم من تغلب عليه هذه ومنهم من تغلب عليه

المسئلة الحادية والعشرون هل النفس واحدة ام ثلاث

الاخرى و يحتجون على ذلك بقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة و بقوله لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة و بقوله ان النفس لامارة بالسوء * و التحقيق انها نفس واحدة و لكن لها صفات فتسمى باعتبار كل صفة باسم فتسمى مطمئنة باعتبار طمأنينتها الى ربها بعبوديته ومحبته والانابة اليه والتوكل عليه والرضى والسكون اليه فان سمة محبته وخوفه و رجائه منها قطع النظر عن محبة غيره و خوفه و رجائه فيستغني بمحبته عن حب ما سواه و بذكره عن ذكر ما سواه و بالشوق اليه و الى لقائه عن الشوق الى ما سواه فالطمأنينة الى الله سبحانه حقيقة ترد منه سبحانه على قلب عبده تجمعه عليه و ترد قلبه الشارد اليه حتى كانه جالس بين يديه يسمع به و يبصر به و يتحرك به و يبطش به فتسرى تلك الطمأنينة في نفسه وقلبه ومفاصله وقواه الظاهرة والباطنة وتجذب روحه الى الله و يلين جلده وقلبه ومفاصله الى خدمته والتقرب اليه ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية الا بالله و بذكره وهو كلامه الذى انزله على رسوله كما قال تعالى الذين امنوا و تطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب * فان طمأنينة القلب سكونه و استقراره بزوال القلق والانزعاج و الاضطراب عنه وهذا لا يتاتى بشيء سوى الله تعالى وذكره البتة واما ما عداه فالطمأنينة اليه و به غرور والثقة به عجز قضى الله سبحانه و تعالى قضاء لا مرد له ان من اطمأن الى شيء سواه اتاه القلق والانزعاج و الاضطراب من جهته كائنا من كان بل لو اطمأن العبد الى علمه و حاله وعمله سلبه و زايله و قد جعل سبحانه

نفوس المطمئنين الى سواه اغراضا لسهام البلاء ليعلم عباده واولياءه ان
المتعلق بغيره مقطوع والمطمئن الى سواه عن مصالحه ومقاصده مصدود
وممنوع وحقيقة الطمانينة التي تصير بها النفس مطمئنة ان تطمئن في باب
معرفة اسمائه وصفاته ونعوت كماله الى خبره الذي اخبر به عن نفسه
واخبرت به عنه رسله فتتلقاه بالقبول والتسليم والاذعان وانشراح
الصدر له وفرح القلب به فانه معرفة من تعرفات الرب سبحانه الى
عبده على لسان رسوله فلا يزال القلب في اعظم القلق والاضطراب
في هذا الباب حتى يخالط الايمان باسماء الرب تعالى وصفاته وتوحيده
وعلوه على عرشه وتكلمه بالوحي بشاشة قلبه فينزل ذلك عليه نزول
الماء الزلال على القلب الملتهب بالعطش فيطمئن اليه ويسكن اليه
ويفرح به ويلين له قلبه ومفاصله حتى كانه شاهد الامر كما اخبرت به
الرسل بل يصير ذلك لقلبه بمنزلة رؤية الشمس في الظهيرة لعينه
فلو خالفه في ذلك من بين شرق الارض وغربها لم يلتفت الى خلافهم
وقال اذا استوحش من الغربة قد كان الصديق الاكبر مطمئنا بالايمان
وحده وجميع اهل الارض يخالفه وما نقص ذلك من طمانينته شيئا
فهذا اول درجات الطمانينة ثم لا يزال يقوى كلما سمع باية متضمنة
لصفة من صفات ربه وهذا الامر لا نهاية له فهذه الطمانينة اصل اصول
الايمان التي قام عليها بناءه ثم يطمئن الى خبره عما بعد الموت من امور
البرزخ وما بعدها من احوال القيامة حتى كانه يشاهد ذلك كله عيانا

وهذا حقيقة اليقين الذي وصف به سبحانه اهل الايمان حيث قال وبالاخرة هم يوقنون * فلا يحصل الايمان بالاخرة حتى يطمئن القلب الى ما اخبر الله سبحانه به عنها طمانينة الى الامور التى لا يشك فيها ولا يرتاب فهذا هو المؤمن حقا باليوم الاخر كما في حديث حارثة اصبحت مؤمنا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا واهلها وكاني انظر الى عرش ربي بارزا والى اهل الجنة يتزاورون فيها واهل النار يعذبون فيها فقال عبد نور الله قلبه *

فصل

فصل في ان الطمانينة الى اسماء الرب تعالى وصفاته نوعان

والطمانينة الى اسماء الرب تعالى وصفاته نوعان طمانينة الى الايمان بها واثباتها واعتقادها * وطمانينة الى ما تقتضيه وتوجبه من اثار العبودية مثاله الطمانينة الى القدر واثباته والايمان به يقتضي الطمانينة الى مواضع الاقدار التى لم يؤمر العبد بدفعها ولا قدرة له على دفعها فيسلم لها ويرضى بها ولا يسخط ولا يشكو ولا يضطرب ايمانه فلا يأسى على ما فاته ولا يفرح بما اتاه لان المصيبة فيه مقدرة قبل ان تصل اليه وقبل ان يخلق كما قال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم * وقال تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه * قال غير واحد من السلف هو العبد تصيبه المصيبة

فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم فهذه طمانينة الى احكام الصفات وموجباتها وآثارها في العالم وهي قدر زائد على الطمانينة بمجرد العلم بها واعتقادها وكذلك سائر الصفات وآثارها ومتعلقاتها كالسمع والبصر والعلم والرضاء والغضب والمحبة فهذه طمانينة الايمان واما طمانينة الاحسان فهي الطمانينة الى امره امتثالا واخلاصا ونصحا فلا يقدم على امره ارادة ولا هوى ولا تقليدا فلا يساكن شبهة تعارض خبره ولا شهوة تعارض امره بل اذا امرت به انزلها منزلة الوسواس التي لئن يخر من السماء الى الارض احب اليه من ان يجدها فهذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم صريح الايمان وعلامة هذه الطمانينة ان يطمئن من قلق المعصية وانزعاجها الى سكون التوبة وحلاوتها وفرحتها ويسهل عليه ذلك بان يعلم ان اللذة والحلاوة والفرحة في الظفر بالتوبة وهذا امر لا يعرفه الا من ذاق الامرين وباشر قلبه آثارهما فللتوبة طمانينة تقابل ما في المعصية من الانزعاج والقلق ولو فتش العاصي عن قلبه لوجده حشوه المخاوف والانزعاج والقلق والاضطراب وانما يوارى عنه شهود ذلك سكر الغفلة والشهوة فان لكل شهوة سكرا يزيد على سكر الخمر وكذلك الغضب له سكر اعظم من سكر الشراب ولهذا ترى العاشق والغضبان يفعل ما لا يفعله شارب الخمر وكذلك يطمئن من قلق الغفلة والاعراض الى سكون الاقبال على الله وحلاوة ذكره وتعلق الروح بحبه ومعرفته فلا طمانينة للروح بدون هذا ابدا ولو انصفت نفسها لرأتها اذا فقدت ذلك في

غاية الانزعاج والقلق والاضطراب ولكن يواريها السكر فاذا كشف
الغطاء تبين له حقيقة ما كان فيه *

فصل في ان الله سبحانه جعل لكل عضو من اعضاء الانسان كمالا الخ

فصل

وههنا امر لطيف يجب التنبيه عليه والتنبه له والتوفيق له بيد من ازمة
التوفيق بيده وهو ان الله سبحانه جعل لكل عضو من اعضاء الانسان
كمالا ان لم يحصل له فهو في قلق واضطراب وانزعاج بسبب فقد كماله الذي
جعل له مثاله كمال العين بالابصار وكمال الاذن بالسمع وكمال اللسان
بالنطق فاذا عدمت هذه الاعضاء القوى التي بها كمالها حصل الالم والنقص
بحسب فوات ذلك وجعل كمال القلب ونعيمه وسروره ولذته
وابتهاجه في معرفته سبحانه وارادته ومحبته والانابة اليه والاقبال
عليه والشوق اليه والانس به فاذا عدم القلب ذلك كان اشد عذابا
واضطرابا من العين التي فقدت النور الباصر ومن اللسان الذي فقد
قوة الكلام والذوق ولا سبيل له الى الطمأنينة بوجه من الوجوه ولو نال
من الدنيا واسبابها ومن العلوم ما نال الا بان يكون الله وحده هو محبوبه
والهه ومعبوده وغاية مطلوبه وان يكون هو وحده مستعانه على
تحصيل ذلك فحقيقة الامر انه لا طمأنينة له بدون التحقق باياك نعبد واياك
نستعين واقوال المفسرين في الطمأنينة ترجع الى ذلك * قال * ابن
عباس المطمئنة المصدقة * وقال قتادة هو المؤمن اطمأنت نفسه الى
ما وعد الله * وقال الحسن المصدقة بما قال الله * وقال مجاهد هي النفس

التي ايقنت بان الله ربها المسلمة لامره فيما هو فاعل بها * وروى منصور عنه قال النفس التي ايقنت ان الله ربها وضربت جاشا لامره وطاعته وقال ابن ابي نجيح عنه النفس المطمئنة المخبتة الى الله وقال ايضا هي التي ايقنت بلقاء الله فكلام السلف في المطمئنة يدور على هذين الاصلين طمانينة العلم والايمان وطمانينة الارادة والعمل *

﴿ فصل ﴾

فاذا اطمانت من الشك الى اليقين ومن الجهل الى العلم ومن الغفلة الى الذكر ومن الخيانة الى التوبة ومن الرياء الى الاخلاص ومن الكذب الى الصدق ومن العجز الى الكيس ومن صولة العجب الى ذلة الاخبات ومن التيه الى التواضع ومن الفتور الى العمل فقد باشرت روح الطمانينة واصل ذلك كله ومنشاه من اليقظة فهي اول مفاتيح الخير فان الغافل عن الاستعداد للقاء ربه والتزود لمعاده بمنزلة النائم بل اسوء حالا منه فان العاقل يعلم وعد الله ووعيده وما تتقاضاه اوامر الرب تعالى ونواهيه واحكامه من الحقوق لكن يحجبه عن حقيقة الادراك ويقعده عن الاستدراك سنة القلب وهي غفلته التي رقد فيها فطال رقوده وركد واخلد الى نوازع الشهوات فاشتد اخلاده وركوده وانغمس في غمار الشهوات واستولت عليه العادات ومخالطة اهل البطالات ورضي بالتشبه باهل اضاعة الاوقات فهو في رقاده مع النائمين وفي سكرته مع المخمورين فمتى انكشف عن قلبه سنة هذه الغفلة بزجرة من

زواجر الحق في قلبه استجاب فيها الواعظ الله في قلب عبده المومن او همة عليه اثارها معول الفكر فى المعل القابل فضرب بمعول فكره وكبر تكبيرة اضاءت له منها قصور الجنة فقال *

الا يا نفس ويحك ساعديني * بسعى منك في ظلم الليالى

لعلك في القيمة ان تفوزى * بطيب العيش في تلك العلالى

فاثارت له تلك الفكرة نورا رأى فى ضوءه ما خلق له وما سيلقاه بين يديه من حين الموت الى دخول دار القرار ورأى سرعة انقضاء الدنيا وعدم وفائها لبنيها وقتلها لعشاقها وفعلها بهم انواع المثلات فنهض في ذلك الضوء على ساق عزمه قائلا يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله فاستقبل بقية عمره التى لا قيمة لها مستدركا بها ما فات محييا بها ما امات مستقبلا بها ما تقدم له من العثرات منتهزا فرصة الامكان التى ان فاتت فاته جميع الخيرات ثم يلحظ في نور تلك اليقظة وفود نعمة ربه عليه من حين استقر فى الرحم الى وقته وهو يتقلب فيها ظاهرا وباطنا ليلا ونهارا ويقظة ومناما سرا وعلانية فلو اجتهد في احصاء انواعها لما قدر ويكفى ان ادناها نعمة النفس ولله عليه فى كل يوم اربعة وعشرون الف نعمة فما ظنك بغيرها ثم يرى فى ضوء ذلك النور انه آيس من حصرها واحصائها عاجز عن اداء حقها وان المنعم بها ان طالبه بحقوقها استوعب جميع اعماله حق نعمة واحدة منها فيتيقن حينئذ انه لا مطمع له في النجاة الا بعفو الله ورحمته وفضله ثم يرى فى ضوء تلك اليقظة انه لو عمل اعمال الثقلين

من

من البر لاحتقرها بالنسبة الى جنب عظمة الرب تعالى وما يستحقه بجلال
وجهه وعظم سلطانه هذا لو كانت اعماله منه فكيف وهي مجرد فضل الله
ومنته واحسانه حيث يسرها له واعانه عليها وهياه لها وشاءها منه وكونها
ولو لم يفعل ذلك لم يكن له سبيل اليها فحينئذ لا يرى اعماله منه وان الله
سبحانه لن يقبل عملا يراه صاحبه من نفسه حتى يرى عين توفيق الله له
وفضله عليه ومنته وانه من الله لا من نفسه وانه ليس له من نفسه الا
الشر واسبابه وما به من نعمة فمن الله وحده صدقة تصدق بها عليه
وفضلا منه ساقه اليه من غير ان يستحقه بسبب ويستاهله بوسيلة فيرى
ربه ووليه ومعبوده اهلا لكل خير ويرى نفسه اهلا لكل شر وهذا
اساس جميع الاعمال الصالحة الظاهرة والباطنة وهو الذي يرفعها
ويجعلها في ديوان اصحاب اليمين ثم تبرق له في نور تلك اليقظة بارقة
اخرى يرى في ضوئها عيوب نفسه وآفات عمله وما تقدم له من
الجنايات والاساءات وهتك الحرمات والتقاعد عن كثير من الحقوق
الواجبات فاذا انضم ذلك الى شهود نعم الله عليه واياديه لديه رای
ان حق المنعم عليه في نعمه واوامره لم يبق له حسنة واحدة يرفع بها راسه
فيطمئن قلبه وانكسرت نفسه وخشعت جوارحه وسار الى الله ناكس
الراس بين مشاهدة نعمه ومطالعة جناياته وعيوب نفسه وافات عمله
قائلا ابوء لك بنعمتك علي وابوء لك بذنبي فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب
الا انت فلا يرى لنفسه حسنة ولا يراها اهلا لخير فيوجب له امرين عظيمين

* احدهما * استكثار ما من الله عليه * والثاني * استقلال ما منه من الطاعة كائنة ما كانت ثم تبرق له بارقة اخرى يرى في ضوء ها عزة وقته وخطره وشرفه وانه راس مال سعادته فيبخل به ان يضيعه فيما لا يقربه الى ربه فان في اضاعته الخسران والحسرة والندامة وفي حفظه وعمارته الربح والسعادة فيشح بانفاسه ان يضيعها فيما لا ينفعه يوم معاده *

فصل

ثم يلحظ في ضوء تلك البارقة ما تقتضيه يقظته من سنة غفلته من التوبة المحاسبة والمراقبة والغيرة لربه ان يؤثر عليه غيره وعلى حظه من رضاه وقربه وكرامته بيبعه بثمن بخس في دار سريعة الزوال وعلى نفسه ان يملك رقها المعشوق لو فكر في منتهى حسنه ورأى اخره بعين بصيرة لانف لها من محبته فهذا كله من اثار اليقظة وموجباتها وهي اول منازل النفس المطمئنة التي نشا منها سفرها الى الله والدار الاخرة *

فصل

واما النفس اللوامة وهي التي اقسم بها سبحانه في قوله ولا اقسم بالنفس اللوامة فاختلف فيها فقالت طائفة هي التي لا تثبت على حال واحدة اخذوا اللفظة من التلوم وهو التردد فهي كثيرة التقلب والتلون وهي من اعظم آيات الله فانها مخلوق من مخلوقاته تتقلب وتتلون في الساعة الواحدة فضلا عن اليوم والشهر والعام والعمر الوانا متلونة فتذكر وتغفل وتقبل وتعرض وتلطف وتكثف وتنيب وتجفو وتحب

وتبغض و تفرح وتحزن و ترضى و تغضب و تطيع و تعصي و تتقى
و تفجر الى اضعاف اضعاف ذلك من حالاتها و تلونها فهي تتلون كل وقت
الوانا كثيرة فهذا قول * فقالت طائفة * اللفظة ماخوذة من اللوم ثم
اختلفوا فقالت فرقة هي نفس المومن و هذا من صفاتها المجردة قال الحسن
البصرى ان المؤمن لا تراه الا يلوم نفسه دائما يقول ما اردت بهذا لم فعلت
هذا كان غير هذا اولى او نحو هذا من الكلام و قال غيره هي نفس المومن
توقعه في الذنب ثم تلومه عليه فهذا اللوم من الايمان بخلاف الشقي فانه
لا يلوم نفسه على ذنب بل يلومها و تلومه على فواته * وقالت طائفة * بل
هذا اللوم للنوعين فان كل احد يلوم نفسه برا كان او فاجرا فالسعيد
يلومها على ارتكاب معصية الله و ترك طاعته والشقي لا يلومها الا على
فوات حظها و هواها * و قالت فرقة اخرى * هذا اللوم يوم القيامة
يان كل احد يلوم نفسه ان كان مسيئا على اساءته وان كان محسنا على
تقصيره وهذه الاقوال كلها حق ولا تنافي بينها فان النفس موصوفة بهذا
كله و باعتباره سميت لوامة لكن اللوامة نوعان لوامة ملومة و هي النفس
الجاهلة الظالمة التي يلومها الله و ملائكته ولوامة غير ملومة وهي التي لا تزال
تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة الله مع بذله جهده فهذه غير ملومة
و اشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة الله و احتملت ملام اللائمين
في مرضاته فلا تاخذها فيه لومة لائم فهذه قد تخلصت من لوم الله
واما من رضيت باعمالها و لم تلم نفسها و لم تحتمل في الله ملام اللوام فهي

التي يلومها الله عز وجل *

* فصل *

واما النفس الامارة فهي المذمومة فانها التي تامر بكل سوء وهذا من طبيعتها الا ما وفقها الله وثبتها واعانها فما تخلص احد من شر نفسه الا بتوفيق الله له كما قال تعالى حاكيا عن امرأة العزيز وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم * وقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا * وقال تعالى لاكرم خلقه عليه واحبهم اليه ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا * وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم خطبة الحاجة الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له فالشر كامن في النفس وهو يوجب سيئات الاعمال فان خلا الله بين العبد وبين نفسه هلك بين شرها وما تقتضيه من سيئات الاعمال فان وفقه واعانه نجاه من ذلك كله فنسال الله العظيم ان يعيذنا من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا وقد امتحن الله سبحانه الانسان بهاتين النفسين الامارة واللوامة كما اكرمه بالمطمئنة فهي نفس واحدة تكون امارة ثم لوامة ثم مطمئنة وهي غاية كمالها وصلاحها وايد المطمئنة بجنود عديدة فجعل الملك قرينها وصاحبها الذي يليها ويسددها ويقذف فيها الحق ويرغبها فيه ويريها حسن صورته ويزجرها عن الباطل ويزهدها فيه ويريها قبح صورته وامدها بما علمها من القران والاذكار

واعمال

واعمال البر وجعل وفود الخيرات وامداد التوفيق بنياتها ويصل اليها من كل ناحية وكلما تلقتها بالقبول والشكر والحمد لله ورويتها وليته في ذلك كله ازداد مددها فتقوى على محاربة الامارة فمن جندها وهو سلطان عساكرها وملكها الايمان واليقين فالجيوش الاسلامية كلها تحت لوائه ناظرة اليه ان ثبت ثبتت وان انهزم ولت على ادبارها ثم امراء هذا الجيش ومقدموا عساكره شعب الايمان المتعلقة بالجوارح على اختلاف انواعها كالصلوة والزكوة والصيام والحج والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصيحة الخلق والاحسان اليهم بانواع الاحسان وشعب الباطنة المتعلقة بالقلب كالاخلاص والتوكل والانابة والتوبة والمراقبة والصبر والحلم والتواضع والمسكنة وامتلاء القلب من محبة الله ورسوله وتعظيم اوامر الله وحقوقه والغيرة لله وفي الله والشجاعة والعفة والصدق والشفقة والرحمة وملاك ذلك كله الاخلاص والصدق فلا يتعب الصادق المخلص فقد اقيم على الصراط المستقيم فيسار به وهو راقد ولا يتعب من حرم الصدق والاخلاص فقد قطعت عليه الطريق واستهوته الشياطين في الارض حيران فان شاء فليعمل وان شاء فليترك فلا يزيده عمله من الله الا بعدا وبالجملة فما كان لله وبالله فهو من جند النفس المطمئنة واما النفس الامارة فجعل الشيطان قرينها وصاحبها الذي يليها فهو يعدها ويمنيها ويقذف فيها الباطل ويامرها بالسوء ويزينه لها (١) في الامل ويريها الباطل في صورة تقبلها وتستحسنها

(١) ويطيل لها

و يمدها بانواع الامداد الباطل من الامانى الكاذبة و الشهوات المهلكة ويستعين عليها بهواها وارادتها فمنه يدخل عليها ويدخل عليها كل مكروه فما استعان على النفوس بشئ هو ابلغ من هواها وارادتها اليه وقد علم ذلك اخوانه من الشياطين الانس فلا يستعينون على الصور الممنوعة منهم بشئ ابلغ من هواهم وارادتهم فاذا اعيتهم صورة طلبوا بجهدهم ما تحبه و تهواه ثم طلبوا بجهدهم تحصيله فاصطادوا به تلك الصورة فاذا فتحت لهم النفس باب الهوى دخلوا منه فجاسوا خلال الديار فعاثوا وافسدوا و فتكوا و سبوا و فعلوا ما يفعله العدو ببلاد عدوه اذا تحكم فيها فهدموا معالم الايمان والقران والذكر والصلوة و خربوا المساجد وعمروا البيع والكنائس والخانات والمواخير و قصدوا الى الملك فاسروه و سلبوه ملكه و نقلوه من عبادة الرحمن الى عبادة البغايا والاوثان ومن عز الطاعة الى ذل المعصية و من السماع الرحماني الى السماع الشيطانى و من الاستعداد للقاء رب العالمين الى الاستعداد للقاء اخوان الشياطين فبيناهو يراعى حقوق الله وما امره به اذ صار يرعى الخنازير و بينا هو منتصب لخدمة العزيز الرحيم اذ صار منتصبا لخدمة كل شيطان رجيم والمقصود ان الملك قرين النفس المطمئنة والشيطان قرين الامارة وقد روى ابو الاحوص عن عطاء بن السائب عن مرة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن ادم و للملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر و تكذيب بالحق

واما

و اما لمة الملك فايعاد بالخير و تصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه
من الله و ليحمد الله و من وجد الاخر فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم
ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء * وقد رواه عمرو عن
عطاء بن السائب وزاد فيه عمرو قال سمعنا في هذا الحديث انه كان
يقال اذا احس احدكم من لمة الملك شيئا فليحمد الله و ليساله من فضله
و اذا احس من لمة الشيطان شيئا فليستغفر الله و ليتعوذ من الشيطان *

فصل

فالنفس المطمئنة و الملك وجنده من الايمان يقتضيان من النفس المطمئنة
التوحيد و الاحسان و البر و التقوى و الصبر و التوكل و التوبة والانابة
و الاقبال على الله و قصر الامل والاستعداد للموت ومابعده والشيطان
و جنده من الكفر يقتضيان من النفس الامارة ضد ذلك وقد سلط الله
سبحانه الشيطان على كل ماليس له ولم يرد به وجهه ولاهو طاعة له وجعل
ذلك اقطاعه فهو يستنيب النفس الامارة على هذا العمل والاقطاع
و يتقاضا ان تاخذ الاعمال من النفس المطمئنة فيجعلها قوة لها فهي احرص
شيء على تخليص الاعمال كلها لها وان تصير من حظوظها فاصعب شيء على
النفس المطمئنة تخليص الاعمال من الشيطان ومن الامارة لله فلو وصل
منها عمل واحد كما ينبغي لنجا به العبد ولكن ابت الامارة و الشيطان
ان يدعا لها عملا واحدا يصل الى الله كما قال بعض العارفين بالله و بنفسه
والله لو اعلم ان لي عملا واحدا وصل الى الله لكنت افرح بالموت من

الغائب يقدم على اهله وقال عبد الله بن عمر لو اعلم ان الله تقبل مني سجدة واحدة لم يكن غائب احب الى من الموت انما يتقبل الله من المتقين

فصل

وقد انتصبت الامارة في مقابلة المطمئنة فكلما جاءت به تلك من خير ضاهتها هذه وجاءت من الشر بما يقابله حتى تفسده عليها فاذا جاءت بالايمان والتوحيد جاءت هذه بما يقدح في الايمان من الشك والنفاق وما يقدح فى التوحيد من الشرك ومحبة غير الله وخوفه ورجائه ولا يرضى حتى يقدم محبة غيره وخوفه ورجائه على محبته سبحانه وخوفه ورجائه فيكون ماله عندها هو الموخر وماللخلق هو المقدم وهذا حال اكثر هذا الخلق واذا جاءت تلك بتجريد المتابعة للرسول جاءت هذه بتحكيم اراء الرجال واقوالهم على الوحي واتت من الشبه المضلة بما يمنعها من كمال المتابعة وتحكيم السنة وعدم الالتفات الى اراء الرجال فيقوم الحرب بين هاتين النفسين والمنصور من نصره الله واذا جاءت تلك بالاخلاص والصدق والتوكل والانابة والمراقبة جاءت هذه باضدادها واخرجتها فى عدة قوالب وتقسم بالله ما مرادها الا الاحسان والتوفيق والله يعلم انها كاذبة وما مرادها الا مجرد حظها واتباع هواها والتفلت من سجن المتابعة والتحكيم المحض للسنة الى فضاء ارادتها وشهوتها وحظوظها ولعمر الله ما تخلصت الا من فضاء المتابعة والتسليم الى سجن الهوى والارادة وضيقه وظلمته ووحشته فهي مسجونة في هذا العالم وفي

البرزخ فى اضيق منه و يوم المعاد الثانى في اضيق منهماو من اعجب امرها انها تسحر العقل والقلب فتاتى الى اشرف الاشياء وافضلهاو اجلها فتخرجه في صورة مذمومة واكثر الخلق صبيان العقول اطفال الاحلام لم يصلوا الى حد الفطام الاول عن العوائد و المالوفات فضلا عن البلوغ الذى يميز به العاقل البالغ بين خير الخيرين فيوثره و شر الشرين فيجتنبه فتريه صورة تجريد التوحيد التى هى ابهى من صورة الشمس و القمر فى صورة التنقيص المذموم و هضم العظماء منازلهم وحطهم منها الى مرتبة العبودية المحضة و المسكنة والذل والفقر المحض الذى لا ملكة لهم معه ولا ارادة ولا شفاعة الا من بعد اذن الله فتريهم النفس السحارة هذا القدر غاية تنقيصهم وهضمهم ونزول اقدارهم وعدم تميزهم عن المساكين الفقراء فتنفر نفوسهم من تجريد التوحيد اشد النفار و يقولون اجعل الالهة الها واحدا ان هذا الشئ عجاب و تريهم تجريد المتابعة للرسول و ما جاء به و تقديمه على اراء الرجال في صورة تنقيص العلماء والرغبة عن اقوالهم و مافهموه عن الله و رسوله وان هذه اساءة ادب عليهم و تقدم بين ايديهم وهو مفض الى اساءة الظن بهم و انهم قد فاتهم الصواب وكيف لنا قوة ان نرد عليهم و نفوز و نحظى بالصواب دونهم فتنفر من ذلك اشد النفار و تجعل كلامهم هو المحكم الواجب الاتباع و كلام الرسول هو المتشابه الذى يعرض على اقوالهم فما وافقها قبلناه وما خالفها رددناه او اولناه او فوضناه و تقاسم النفس السحارة بالله ان اردنا

الا احسانا وتوفيقا اولائك الذين يعلم الله ما في قلوبهم *

فصل

وتريه صورة الاخلاص في صورة ينفر منها وهي الخروج عن حكم العقل المعيشي والمداراة والمداهنة التي بها اندراج حال صاحبها ومشيه بين الناس فمتى اخلص اعماله ولم يعمل لاحد شيئا تجنبهم وتجنبوه وابغضهم وابغضوه وعاداهم وعادوه وسار على جادة وهم على جادة فينفر من ذلك اشد النفار وغايته ان يخلص في القدر اليسير من اعماله التي لا تتعلق بهم وسائر اعماله لغير الله *

فصل

وتريه صورة الصدق مع الله وجهاد من خرج عن دينه وامره في قالب الانتصاب لعداوة الخلق واذاهم وحربهم وانه يعرض نفسه من البلاء لما لا يطيق وانه يصير غرضا لسهام الطاعنين وامثال ذلك من الشبه التي تقيمها النفس الامارة والخيالات التي تخيلها * وتريه حقيقة الجهاد في صورة تقتل فيها النفس وتنكح المرأة ويصير الاولاد يتامى ويقسم المال * وتريه حقيقة الزكوة والصدقة في صورة مفارقة المال ونقصه وخلو اليد منه واحتياجه الى الناس ومساواته للفقير وعوده بمنزلته * وتريه حقيقة اثبات صفات الكمال لله في صورة التشبيه والتمثيل فينفر من التصديق بها وينفر غيره * وتريه حقيقة التعطيل والالحاد فيها في صورة التنزيه والتعظيم واعجب من ذلك انها تضاهي ما يحبه الله

ورسوله من الصفات والاخلاق والافعال بما يبغضه منها * وتلبس على العبد احد الامرين بالاخر ولا يخلص من هذا الا ارباب البصائر فان الافعال تصدر عن الارادات وتظهر على الاركان من النفسين الامارة والمطمئنة فيتباين الفعلان في البطلان ويشتبهان في الظاهر ولذلك امثلة كثيرة منها المداراة والمداهنة فالاول من المطمئنة والثاني من الامارة وخشوع الايمان وخشوع النفاق وشرف النفس والتيه والحمية والجفاء والتواضع والمهانة والقوة فى امر الله والعلو في الارض والحمية لله والغضب له والحمية للنفس والغضب لها والجود والسرف والمهابة والكبر والصيانة والتكبر والشجاعة والجرأة والحزم والجبن والاقتصاد والشح والاحتراز وسوء الظن والفراسة والظن والنصيحة والغيبة والهدية والرشوة والصبر والقوة والعفو والذل وسلامة القلب والبله والغفلة والثقة والغرة والرجاء والتمني والتحدث بنعم الله والفخر بها وفرح القلب وفرح النفس ورقة القلب والجزع والموجدة والحقد والمنافسة والحسد وحب الرياسة وحب الامامة والدعوة الى الله والحب لله والحب مع الله والتوكل والعجز والاحتياط والوسوسة والهام الملك والهام الشيطان والاناءة والتسويف والاقتصاد والتقصير والاجتهاد والغلو والنصيحة والتانيب والمبادرة والعجلة والاخبار بالحال عند الحاجة والشكوى فالشئ الواحد تكون صورته واحدة وهو منقسم الى محمود ومذموم كالفرح والحزن والاسف والغضب

و الغيرة والخيلاء والطمع و التجمل والخشوع و الحسدو الغبطة والجرأة والتحسروالحرص و التنافس واظهار النعمة والحلف و المسكنة و الصمت و الزهدو الورع و التخلي و العزلة و الانفة والحمية و الغيبة وفي الحديث ان من الغيرة مايحبها الله و منها مايكرهه فالغيرة التي يحبها الله الغيرة في ريبة و التي يكرهها الغيرة في غيرريبة و ان من الخيلاء مايحبه الله و منها مايكرهه فالتي يحب الخيلاء في الحرب * وفي الصحيح ايضا لاحسد الافي اثنتين رجل آتاه الله مالا وسلطه على هلكته في الحق ورجل اتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها * وفي الصحيح ايضا ان الله رفيق يحب الرفق و يعطي على الرفق مالا يعطي على العنف * وفيه ايضا من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي حظه من الخير فالرفق شئ والتواني والكسل شئ فان المتواني يتثاقل عن مصلحته بعد امكانها فيتقاعد عنها والرفيق يتلطف في تحصيلها بحسب الامكان مع المطاوعة وكذلك المداراة صفة مدح و المداهنة صفة ذم و الفرق بينهما ان المداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق او يرده عن الباطل و المداهن يتلطف به ليقره على باطله و يتركه على هواه فالمداراة لاهل الايمان والمداهنة لاهل النفاق و قد ضرب لذلك مثل مطابق و هو حال رجل به قرحة قد المته فجاءه الطبيب المداري الرفيق فتعرف حالها ثم اخذ في تليينها حتى اذا نضجت اخذ في بطنها برفق و سهولة حتى اخرج مافيها ثم وضع على مكانها من الدواء و المرهم مايمنع فساده و يقطع مادته ثم تابع

عليها

عليها بالمراهم التي تنبت اللحم ثم يذر عليها بعد نبات اللحم ما ينشف رطوبتها
ثم يشد عليها الرباط ولم يزل يتابع ذلك حتى صلحت * والمداهن قال
لصاحبها لا باس عليك منها وهذه لا شيء فاسترها عن العيون بخرقة ثم
اله عنها فلا تزال مادتها تقوى وتستحكم حتى عظم فسادها وهذا
المثل ايضا مطابق كل المطابقة لحال النفس الامارة مع المطمئنة فتامله فاذا
كانت هذه حال قرحة بقدر الحمصة فكيف بسقم هاج من نفس امارة
بالسوء هي معدن الشهوات وماوى كل فسق وقد قارنها شيطان في
غاية المكر والخداع يعدها ويمنيها ويسحرها بجميع انواع السحر حتى
يخيل اليها النافع ضارا والضار نافعا والحسن قبيحا والقبيح جميلا وهذا
لعمر الله من اعظم انواع السحر ولهذا يقول سبحانه فانى تسحرون * والذى
نسبوا اليه الرسل من كونهم مسحورين هو الذي اصابهم بعينه
وهم اهله لا رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين كما انهم نسبوهم الى
الضلال والفساد في الارض والجنون والسفه وما استعاذت
الانبياء والرسل وامراء الامم بالاستعاذة من شر النفس الامارة وصاحبها
وقرينها الشيطان لانهما اصل كل شر وقاعدته ومنبعه وهما متساعدان
عليه متعاونان * رضيعى لبان ثدى ام تقاسما * باسحم داج عوض لا يتفرق *
قال الله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم *
وقال واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم *
وقال وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان

يحضرون وقال تعالى قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد * فهذا استعاذة من شر النفس * وقال قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس * فهذا استعاذة من قرينها وصاحبها وبئس القرين والصاحب فامر الله سبحانه نبيه واتباعه بالاستعاذة بربوبية التامة الكاملة من هذين الخلقين العظيم شانهما في الشر والفساد والقلب بين هذين العدوين لا يزال شرهما يطرقه وينتابه واول مايدب فيه السقم من النفس الامارة من الشهوة وما يتبعها من الحب والحرص والطلب والغضب ويتبعه من الكبر والحسد والظلم والتسلط فيعلم الطبيب الغاش الخائن بمرضه فيعوده ويصف له انواع السموم والموذيات ويخيل اليه بسحره ان شفاءه فيها ويتفق ضعف القلب بالمرض وقوة النفس الامارة والشيطان وتتابع امدادهما وانه نقد حاضر ولذة عاجلة والداعي اليه يدعو من كل ناحية والهوى ينفذ والشهوة تهون والناس بالاكثر والتشبه بهم والرضاء بان يصيبه مااصابهم فكيف يستجيب مع هذه القواطع واضعافها لداعى الايمان ومنادى الجنة الا من امده الله بامداد التوفيق وايده برحمته وتولى حفظه وحمايته وفتح بصيرة قلبه فراى سرعة انقطاع الدنيا وزوالها وتقلبها باهلها وفعلها بهم وانها في الحيوة الدائمة كغمس

اصبع في البحر بالنسبة اليه

فصل

و الفرق بين خشوع الايمان وخشوع النفاق ان خشوع الايمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم و الاجلال و الوقار و المهابة والحياء فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجل و الخجل و الحب و الحياء وشهود نعم الله و جناياته هو فيخشع القلب لامحالة فيتبعه خشوع الجوارح و اما خشوع النفاق فيبد وعلى الجوارح تصنعا و تكلفا و القلب غير خاشع وكان بعض الصحابة يقول اعوذ بالله من خشوع النفاق قيل له وما خشوع النفاق قال ان يرى الجسد خاشعا والقلب غير خاشع فالخاشع لله عبد قد خمدت نيران شهوته وسكن دخانها عن صدره فانجلى الصدر و اشرق فيه نور العظمة فماتت شهوات النفس للخوف و الوقار الذي حشي به و خمدت الجوارح و توقر القلب و اطمأن الى الله و ذكره بالسكينة التي نزلت عليه من ربه فصار مخبتا له و المخبت المطمئن فان الخبت من الارض ما تطأمن فاستنقع فيه الماء فكذلك القلب المخبت قد خشع و تطامن كالبقعة المطمئنة من الارض التي يجري اليها الماء فيستقر فيها وعلامته ان يسجد بين يدى ربه اجلالا له وذلا و انكسارا بين يديه سجدة لا يرفع رأسه عنها حتى يلقاه واما القلب المتكبر فانه قد اهتز بتكبره و ربا فهو كبقعة رابية من الارض لا يستقر عليها الماء فهذا خشوع الايمان و اما التماوت وخشوع النفاق فهو حال عند تكلف اسكان

الجوارح تصنعا ومراثاة و نفسه في الباطن شابة طرية ذات شهوات وارادات فهو ينخشع في الظاهر وحية الوادي واسد الغابة رابض بين جنبيه ينتظر الفريسة

فصل في الفرق بين شرف النفس والتيه

فصل

واما شرف النفس فهو صيانتها عن الدنايا والرذائل والمطامع التى تقطع اعناق الرجال فربا بنفسه عن ان يلقيها فى ذلك بخلاف التيه فانه خلق متولد بين امرين اعجابه بنفسه وازرائه بغيره فيتولد من بين هذين التيه والاول يتولد من بين خلقين كريمين اعزاز النفس واكرامها وتعظيم مالكها وسيدها ان يكون عبده دنيا وضيعا خسيسا فيتولد من بين هذين الخلقين شرف النفس وصيانتها واصل هذا كله استعداد النفس وتهيؤها وامداد وليها ومولاها لها فاذا فقد الاستعداد والامداد فقد الخير كله

فصل في الفرق بين الحمية والجفاء

فصل

وكذلك الفرق بين الحمية والجفاء فالحمية فطام النفس عن رضاع اللوم من ثدى هو مصب الخبائث والرذائل والدنايا ولو غزر لبنه وتهالك الناس عليه فان لهم فطاما تنقطع معه الاكباد حسرات فلابد من الفطام فان شئت عجل وانت محمود مشكور وان شئت اخر وانت غير ماجور بخلاف الجفاء فانه غلظة في النفس وقساوة في القلب وكثافة في الطبع يتولد عنها خلق يسمى الجفاء

﴿ فصل ﴾

والفرق بين التواضع والمهانة * ان التواضع * يتولد من بين العلم بالله سبحانه ومعرفة اسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبته واجلاله ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وعيوب عمله وآفاتها فيتولد من بين ذلك كله خلق هو التواضع وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة بعباده فلا يرى له على احد فضلا ولا يرى له عند احد حقا بل يرى الفضل للناس عليه والحقوق لهم قبله وهذا خلق انما يعطيه الله عز وجل من يحبه ويكرمه ويقربه * واما المهانة * فهي الدناءة والخسة وبذل النفس وابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها كتواضع السفل في نيل شهواتهم وتواضع المفعول به للفاعل وتواضع طالب كل حظ لمن يرجو نيل حظه منه فهذا كله ضعة لا تواضع والله سبحانه يحب التواضع ويبغض الضعة والمهانة وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم واوحي الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ولا يبغي احد على احد * والتواضع المحمود على نوعين * احدهما * تواضع العبد عند امر الله امتثالا وعند نهيه اجتنابا فان النفس لطلب الراحة تتلكأ في امره فيبدو منها نوع اباء وشرا زهرها من العبودية وتثبت عند نهيه طلبا للظفر بما منع منه فاذا وضع العبد نفسه لامر الله ونهيه فقد تواضع للعبودية * والنوع الثاني * تواضعه لعظمة الرب وجلاله وخضوعه لعزته وكبريائه فكلما شمخت نفسه ذكر عظمة الرب تعالى وتفرده بذلك وغضبه الشديد على من نازعه

ذلك فتواضعت اليه نفسه وانكسر لعظمة الله قلبه وتطامن لهيبته واخبت
لسلطانه فهذا غاية التواضع وهو يستلزم الاول من غير عكس والمتواضع
حقيقة من رزق الامرين والله المستعان *

﴿ فصل ﴾

﴿ فصل في الفرق بين القوة في امر الله والعلو في الارض وفي الحمية لله والحمية للنفس ﴾

وكذلك القوة في امر الله هي من تعظيمه وتعظيم اوامره وحقوقه حتى
يقيمها لله والعلو في الارض هو من تعظيم نفسه وطلب تفردها بالرياسة
ونفاذ الكلمة سواء عز امر الله او هان بل اذا عارضه امر الله وحقوقه
ومرضاته في طلب علوه لم يلتفت الى ذلك واهدره واماته في تحصيل علوه
وكذلك الحمية لله والحمية للنفس فالاولى يثيرها تعظيم الامر والآمر والثانية
يثيرها تعظيم النفس والغضب لفوات حظوظها فالحمية لله ان يحمى قلبه
له من تعظيم حقوقه وهي حال عبد قد اشرق على قلبه نور سلطان الله فامتلأ
قلبه بذلك النور فاذا غضب فانما يغضب من اجل نور ذلك السلطان
الذي القي على قلبه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب
احمرت وجنتاه وبدا بين عينيه عرق يدره الغضب ولم يقم لغضبه شيء
حتى ينتقم لله وروى زيد بن اسلم عن ابيه ان موسى بن عمران صلى الله
عليه وسلم كان اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا * وهذا بخلاف الحمية
للنفس فانها حرارة تهيج من نفسه لفوات حظها او طلبه فان الفتنة في
النفس والفتنة هي الحريق والنفس متلظية بنار الشهوة والغضب فانما هما
حرارتان يظهران على الاركان حرارة من قبل النفس المطمئنة آثارها

تعظيم حق الله وحرارة من قبل النفس والا مايرة اثارها استشعار فوت الحظ *

فصل

والفرق بين الجود والسرف ان الجواد حكيم يضع العطاء مواضعه والمسرف مبذر قد يصادف عطاؤه موضعه وكثيرا لا يصادفه وايضاح ذلك ان الله سبحانه بحكمته جعل في المال حقوقا وهي نوعان حقوق موظفة وحقوق ثابتة فالحقوق الموظفة كالزكوة والنفقات الواجبة على من تلزمه نفقته والثانية كحق الضيف ومكافاة المهدى وما وقى به عرضه ونحو ذلك فالجواد يتوخى بماله اداء هذه الحقوق على وجه الكمال طيبة بذلك نفسه راضية مؤملة للخلف في الدنيا والثواب في العقبى فهو يخرج ذلك بسماحة قلب وسخاوة نفس وانشراح صدر بخلاف المبذر فانه يبسط يده في ماله بحكم هواه وشهوته جزافا لا على تقدير ولا مراعاة مصلحة وان اتفقت له فالاول بمنزلة من بذر حبه في الارض تنبت وتوخى ببذره مواضع المغل والانبات فهذا لا يعد مبذرا ولا سفيها والثاني بمنزلة من بذر حبه في سباخ وغراز من الارض وان اتفق بذره في محل النبات بذر بذرا متراكما بعضه على بعض فذلك المكان البذر فيه ضائع معطل وهذا المكان بذرا متراكما بعضه على بعض فذلك يحتاج ان يقلع بعض زرعه ليصلح الباقي ولئلا تضعف الارض عن تربيته والله سبحانه هو الجواد على الاطلاق بل كل جود في العالم العلوي والسفلي بالنسبة الى جوده اقل من قطرة في بحار

الدنيا وهي من جوده و مع هذا فانما ينزل بقدر ما يشاء وجوده لا يناقض
حكمته و يضع عطاءه مواضعه وان خفي على اكثر الناس ان تلك
مواضعه فالله اعلم حيث يضع فضله واي المحال اولى به ✱

فصل

(فصل في الفرق بين المهابة والكبر)

والفرق بين المهابة والكبر ✱ ان المهابة ✱ اثر من آثار امتلاء القلب بعظمة الله
ومحبته واجلاله فاذا امتلأ القلب بذلك حل فيه النور و نزلت عليه
السكينة والبس رداء الهيبة فاكتسي وجهه الحلاوة والمهابة فاخذ بمجامع
القلوب محبة و مهابة فحنت اليه الافئدة وقرت به العيون و آنست به
القلوب فكلامه نور و مدخله نور و مخرجه نور وعمله نور ان سكت
علاه الوقار وان تكلم اخذ بالقلوب والاسماع ✱ واما الكبر ✱ فاثر من آثار
العجب والبغي من قلب قد امتلأ بالجهل والظلم ترحلت منه العبودية ونزل
عليه المقت فنظره الى الناس شزر و مشيه بينهم تبختر ومعاملته لهم معاملة
الاستيثار لا الايثار و لا الانصاف ذاهب بنفسه تيها لا يبدأ من لقيه
بالسلام وان رد عليه رأى انه قد بالغ في الانعام عليه لا ينطلق لهم
وجهه ولا يسعهم خلقه ولا يرى لاحد عليه حقا و يرى حقوقه على الناس
ولا يرى فضلهم عليه و يرى فضله عليهم لا يزداد من الله الا بعدا
و من الناس الا صغارا او بغضا ✱

فصل

(فصل في الفرق بين الصيانة والتكبر)

والفرق بين الصيانة والتكبر ان الصائن لنفسه بمنزلة رجل قد لبس

ثوبا جديدا نقي البياض ذا ثمن فهو يدخل به على الملوك فمن دونهم فهو يصونه عن الوسخ والغبار والطبوع وانواع الآثار ابقاء على بياضه ونقائه فتراه صاحب تعزز وهروب من المواضع التي يخشى منها عليه التلوث فلا يسمح باثر ولا طبع ولا لوث يعلو ثوبه وان اصابه شيء من ذلك على غرة بادر على قلعه وازالته ومحو اثره وهكذا الصائن لقلبه ودينه تراه يجتنب طبوع الذنوب واثارها فان لها في القلب طبوعا وآثارا اعظم من الطبوع الفاحشة في الثوب النقي البياض ولكن على العيون غشاوة ان تدرك تلك الطبوع فتراه يهرب من مظان التلوث ويحترس من الخلق ويتباعد من تخالطهم مخافة ان يحصل لقلبه ما يحصل للثوب الذي يخالط الدباغين والذباحين والطباخين ونحوهم بخلاف صاحب العلو فانه وان شابه هذا في تحرزه وتجنبه فهو يقصد ان يعلو رقابهم ويجعلهم تحت قدمه فهذا لون وذاك لون *

﴿ فصل ﴾

والفرق بين الشجاعة والجرأة * ان الشجاعة * من القلب وهي ثباته واستقراره عند المخاوف وهو خلق يتولد من الصبر وحسن الظن فانه متى ظن الظفر وساعده الصبر ثبت كما ان الجبن يتولد من سوء الظن وعدم الصبر فلا يظن الظفر ولا يساعده الصبر واصل الجبن من سوء الظن ووسوسة النفس بالسوء وهو ينشأ من الرية فاذا ساء الظن ووسوست النفس بالسوء انتفخت الرية فزاحمت القلب في مكانه وضيقت عليه

﴿ فصل في الفرق بين الشجاعة والجراءة ﴾

حتى ازعجته عن مستقره فاصابه الزلزال والاضطراب لازعاج الرية له وتضييقها عليه ولهذا جاء في حديث عمرو بن العاص الذي رواه احمد وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم شر ما في المرء جبن خالع وشح هالع * فسمي الجبن خالعا لانه يخلع القلب عن مكانه لانتفاخ السحر وهو الرية كما قال ابو جهل لعتبة بن ربيعة يوم بدر انتفخ سحرك فاذا زال القلب عن مكانه ضاع تدبير العقل فظهر الفساد على الجوارح فوضعت الامور على غير مواضعها * فالشجاعة * حرارة القلب وغضبه وقيامه وانتصابه وثباته فاذا راته الاعضاء كذلك اعانته فانها خدم له وجنود كما انه اذا ولى ولت سائر جنوده * واما الجراءة * فهي اقدام سببه قلة المبالاة وعدم النظر في العاقبة بل تقدم النفس في غير موضع الاقدام يعرضه عن ملاحظة العارض فاما عليها واما لها *

﴿ فصل ﴾

واما الفرق بين الحزم والجبن * فالحازم * هو الذي قد جمع عليه همه وارادته وعقله ووزن الامور بعضها ببعض فاعد لكل منها قرنه ولفظة الحزم تدل على القوة والاجماع ومنه حزمة الحطب فحازم الراي هو الذي اجتمعت له شؤن رأيه وعرف منها خير الخيرين وشر الشرين فاحجم في موضع الاحجام رأيا وعقلا لا جبنا وضعفا *

العاجز الراي مضياع لفرصته * حتى اذا فات امرعاتب القدرا

﴿ فصل الفرق بين الحزم والجبن ﴾

فصل

واما الفرق بين الاقتصاد والشح * ان الاقتصاد * خلق محمود يتولد من خلقين عدل وحكمة فبالعدل يعتدل في المنع والبذل وبالحكمة يضع كل واحد منهما موضعه الذي يليق به فيتولد من بينهما الاقتصاد وهو وسط بين طرفين مذمومين كما قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا * وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * وقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا * واما الشح * فهو خلق ذميم يتولد من سوء الظن وضعف النفس ويمده وعد الشيطان حتى يصير هلعا والهلع شدة الحرص على الشيء والشره به فيتولد عنه المنع لبذله والجزع لفقده كما قال تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا *

فصل

والفرق بين الاحتراز وسوء الظن * ان المحترز * بمنزلة رجل قد خرج بماله ومركوبه مسافرا فهو يحترز بجهده من كل قاطع للطريق وكل مكان يتوقع منه الشر وكذلك يكون مع التأهب والاستعداد واخذ الاسباب التي بها ينجو من المكروه فالمحترز كالمتسلح المتدرع الذي قد تأهب للقاء عدوه واعد له عدته فهمه في تهيئة اسباب النجاة ومحاربة عدوه قد اشغلته عن سوء الظن به وكلما ساء به الظن اخذ في انواع العدة والتاهب * واما سوء الظن * فهو امتلاء قلبه بالظنون السيئة بالناس حتى

يطفح على لسانه وجوارحه فهم معه ابدا فى الهمز واللمز والطعن والعيب والبغض يبغضهم ويبغضونه ويلعنهم ويلعنونه ويحذرهم ويحذرون منه فالاول يخالطهم ويحترز منهم والثاني يتجنبهم ويلحقه اذاهم الاول داخل فيهم بالنصيحة والاحسان مع الاحتراز والثاني خارج منهم مع الغش والدغل والبغض *

فصل

والفرق بين الفراسة والظن * ان الظن * يخطى ويصيب ويكون مع ظلمة القلب ونوره وطهارته ونجاسته ولهذا امر تعالى باجتناب كثير منه واخبران بعضه اثم * واما الفراسة * فاثنى على اهلها ومدحهم فى قوله ان فى ذلك لايات للمتوسمين * قال ابن عباس وغيره اى للمتفرسين وقال تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم * وقال تعالى ولونشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول * فالفراسة الصادقة لقلب قد تطهر وتصفي وتنزه من الادناس وقرب من الله فهو ينظر بنور الله الذى جعله في قلبه وفي الترمذى وغيره من حديث ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله * وهذه الفراسة نشأت له من قربه من الله فان القلب اذا قرب من الله انقطعت عنه معارضات السوء المانعة من معرفة الحق وادراكه وكان تلقيه من مشكوة قريبة من الله بحسب قربه منه واضاء له النور بقدر قربه فراى في ذلك النور مالم يره البعيد والمحجوب

كما ثبت فى الصحيح من حديث ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل انه قال ما تقرب الي عبدى بمثل ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي * فاخبر سبحانه ان تقرب عبده منه يفيده محبته له فاذا احبه قرب من سمعه وبصره ويده ورجله فسمع به وابصر به وبطش به ومشى به فصار قلبه كالمرءاة الصافية تبدو فيها صور الحقائق على ما هى عليه فلا تكاد تخطى له فراسة فان العبد اذا ابصر بالله ابصر الامر على ماهو عليه فاذا سمع بالله سمعه على ماهو عليه وليس هذا من علم الغيب بل علام الغيوب قذف الحق فى قلب قريب مستبشر بنوره غير مشغول بنقوش الاباطيل والخيالات والوساوس التى تمنعه من حصول صور الحقائق فيه واذا غلب على القلب النور فاض على الاركان وبادر من القلب الى العين فكشف بعين بصره بحسب ذلك النور وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى اصحابه فى الصلوة وهم خلفه كما يراهم امامه وراى بيت المقدس عيانا وهو بمكة ورأي قصور الشام وابواب صنعاء ومداين كسرى وهو بالمدينة يحفر الخندق ورأى امراءه بموتة وقد اصيبوا وهو بالمدينة ورأى النجاشي بالحبشة لما مات وهو بالمدينة فخرج الى المصلى فصلى عليه * وراى عمر سارية بنهاوند من ارض فارس

هو وعساكر المسلمين وهم يقاتلون عدوهم فناداه ياسارية الجبل * ودخل عليه نفر من مذحج فيهم الاشتر النخعي فصعد فيه البصر وصوبه وقال ايهم هذا قالوا مالك بن الحارث فقال ماله قاتله الله اني لارى للمسلمين منه يوما عصيبا * ودخل عمرو بن عبيد على الحسن فقال هذا سيد الفتيان ان لم يحدث * وقيل ان الشافعي ومحمد بن الحسن جلسا في المسجد الحرام فدخل رجل فقال محمد افرس انه نجار فقال الشافعي اتفرس انه حداد فسألاه فقال كنت حدادا وانا اليوم انجر * ودخل ابو الحسن البوسنجي والحسن الحداد على ابي القاسم المناوى يعودانه فاشتريا في طريقهما بنصف درهم تفاحا نسية فلما دخلا عليه قال ماهذه الظلمة فخرجا وقالا ما علمنا لعل هذا من قبل ثمن التفاح فاعطيا الثمن ثم عادا اليه ووقع بصره عليهما فقال يمكن الانسان ان يخرج من الظلمة بهذه السرعة اخبراني عن شانكما فاخبراه بالقصة فقال نعم كان كل واحد منكما يعتمد على صاحبه في اعطاء الثمن والرجل مستحي منكما في التقاضي * وكان بين ابي زكريا النخشبي وبين امرأة سبب قبل توبته فكان يوما واقفا على راس ابي عثمان الحيرى فتفكر في شانها فرفع ابو عثمان اليه رأسه وقال الا تستحيي * وكان شاه الكرماني جيد الفراسة لا تخطى فراسته وكان يقول من غض بصره عن المحارم وامسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وتعود اكل الحلال لم تخط فراسته * وكان شاب يصحب الجنيد يتكلم على الخواطر فذكر للجنيد فقال ايش

هذا الذي ذكر لي عنك فقال له اعتقد شيئا فقال له الجنيد اعتقدت فقال الشاب اعتقدت كذا وكذا فقال الجنيد لا فقال فاعتقد ثانيا قال اعتقدت فقال الشاب اعتقدت كذا وكذا فقال الجنيد لا قال فاعتقد ثالثا قال اعتقدت قال الشاب هو كذا وكذا قال لا فقال الشاب هذا عجب وانت صدوق وانا اعرف قلبي فقال الجنيد صدقت في الاولى والثانية والثالثة لكن اردت ان امتحنك هل يتغير قلبك * وقال ابو سعيد الخراز دخلت المسجد الحرام فدخل فقير عليه خرقتان يسأل شيئا فقلت في نفسي مثل هذا كل على الناس فنظر الي وقال اعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه قال فاستغفرت في سري فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده * وقال ابراهيم الخواص كنت في الجامع فاقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه حسن الحرمة فقلت لاصحابنا يقع لي انه يهودي فكلهم كره ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع اليهم فقال ايش قال الشيخ فيّ فاحتشموه فالح عليهم فقالوا قال انك يهودي فجاء فاكب على يدي فاسلم فقلت ما السبب فقال نجد في كتابنا ان الصديق لا تخطئ فراسته فقلت امتحن المسلمين فتاملتهم فقلت ان كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة فلبست عليكم فلما اطلع هذا الشيخ علي وتفرسني علمت انه صديق * وهذا عثمان بن عفان دخل عليه رجل من الصحابة وقد رأى امرأة في الطريق فتأمل محاسنها فقال له عثمان يدخل على احدكم واثر الزنا ظاهر على عينيه فقلت اوحي بعد رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن تبصرة و برهان و فراسة صادقة * فهذا شان الفراسة وهي نور يقذفه الله فى القلب فيخطر له الشيء فيكون كما خطر له و ينفذ الى العين فترى مالا يراه غيرها *

فصل

والفرق بين النصيحة والغيبة ان النصيحة يكون القصد فيها تحذير المسلم من مبتدع او فتان او غاش او مفسد فتذكر ما فيه اذا استشارك في صحبته و معاملته والتعلق به كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس وقد استشارته فى نكاح معاوية و ابى جهم فقال اما معاوية فصعلوك واما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه * و قال عن بعض اصحابه لمن سافر معه اذا هبطت بلاد قومه فاحذره * فاذا وقعت الغيبة على وجه النصيحة لله و رسوله وعباده المسلمين فهى قربة الى الله من جملة الحسنات واذا وقعت على وجه ذم اخيك و تمزيق عرضه والتفكه بلحمه والغض منه لتضع منزلته من قلوب الناس فهى الداء العضال و نار الحسنات التى تاكلها كما تاكل النار الحطب *

فصل

والفرق بين الهدية والرشوة و ان اشتبها في الصورة القصد فان الراشى قصده بالرشوة التوصل الى ابطال حق او تحقيق باطل فهذا الراشى الملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فان رشا لدفع الظلم عن نفسه اختص المرتشى وحده باللعنة * واما المهدى * فقصده

استجلاب

استجلاب المودة والمعرفة والاحسان فان قصد المكافاة فهو معاوض وان قصد الربح فهو مستكثر *

فصل

والفرق بين الصبر والقسوة * ان الصبر * خلق كسبي يتخلق به العبد وهو حبس النفس عن الجزع والهلع والتشكي فيحبس النفس عن التسخط واللسان عن الشكوى والجوارح عما لا ينبغي فعله وهو ثبات القلب على الاحكام القدرية والشرعية * واما القسوة * فيبس في القلب يمنعه من الانفعال وغلظة تمنعه من التاثر بالنوازل فلا يتاثر لغلظته وقساوته لا لصبره واحتماله وتحقيق هذا ان القلوب ثلاثة * قلب قاس * غليظ بمنزلة اليد اليابسة * وقلب مائع * رقيق جدا فالاول لا ينفعل بمنزلة الحجر والثاني بمنزلة الماء وكلاهما ناقص واصح القلوب * القلب الرقيق * الصافي الصلب فهو يرى الحق من الباطل بصفائه ويقبله ويؤثره برقته ويحفظه ويحارب عدوه بصلابته وفي اثر القلوب آنية الله في ارضه فاحبها اليه ارقها واصلبها واصفاها * وهذا القلب الزجاجي فان الزجاجة جمعت الاوصاف الثلاثة وابغض القلوب الى الله القلب القاسي قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله * وقال ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة * وقال ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم * فذكر القلبين المنحرفين عن الاعتدال هذا بمرضه وهذا بقسوته وجعل القاء

الشيطان فتنة لاصحاب هذين القلبين ورحمة لاصحاب القلب الثالث وهو القلب الصافى الذى ميز بين القاء الشيطان والقاء الملك بصفائه وقبل الحق باخباته ورقته وحارب النفوس المبطلة بصلابته وقوته فقال تعالى عقيب ذلك وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادى الذين امنوا الى صراط مستقيم *

فصل

فصل فى الفرق بين العفو والذل

والفرق بين العفو والذل * ان العفو * اسقاط حقك جودا وكرما واحسانا مع قدرتك على الانتقام فتوثر الترك رغبة في الاحسان ومكارم الاخلاق بخلاف الذل فان صاحبه يترك الانتقام عجزا وخوفا ومهانة نفس فهذا مذموم غير محمود ولعل المنتقم بالحق احسن حالا منه قال تعالى والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون * فمدحهم بقوتهم على الانتصار لنفوسهم وتقاضيهم منها ذلك حتى اذا قدروا على من بغى عليهم وتمكنوا من استيفاء مالهم عليه ندبهم الى الخلق الشريف من العفو والصفح فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين * فذكر المقامات الثلاثة العدل واباحه والفضل وندب اليه والظلم وحرمه * فان قيل * فكيف مدحهم على الانتصار والعفو وهما متنافيان * قيل * لم يمدحهم على الاستيفاء والانتقام وانما مدحهم على الانتصار وهو القدرة والقوة على استيفاء حقهم فلما قدروا ندبهم الى العفو قال بعض السلف

في هذه الاية كانوا يكرهون ان يستذلوا فاذا اقدروا عفوا فمدحهم على عفو بعد قدرة لا على عفو ذل وعجز ومهانة وهذا هو الكمال الذى الذى مدح سبحانه به نفسه فى قوله وكان الله عفوا قديرا * والله غفور رحيم * وفى اثر معروف حملة العرش اربعة اثنان يقولان سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واثنان يقولان سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك * ولهذا قال المسيح صلوات الله وسلامه عليه ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم * اى ان غفرت لهم غفرت عن عزة وهى كمال القدرة وحكمة وهي كمال العلم فغفرت بعد ان علمت ما عملوا واحاطت بهم قدرتك اذ المخلوق قد يغفر بعجزه عن الانتقام وجهله بحقيقة ما صدر من المسيء والعفو من المخلوق ظاهره ضيم وذل وباطنه عز ومهابة والانتقام ظاهره عز وباطنه ذل فما زاد الله بعفو الا عزا ولا انتقم احد لنفسه الا ذل ولو لم يكن الا بفوات عز العفو ولهذا ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط وتامل قوله سبحانه هم ينتصرون كيف يفهم منه ان فيهم من القوة ما يكونون هم بها المنتصرين لانفسهم لاان غيرهم هو الذى ينصرهم ولما كان الانتصار لا تقف النفوس فيه على حد العدل غالبا بل لا بد من المجاوزة شرع فيه سبحانه المماثلة والمساواة وحرم الزيادة وندب الى العفو والمقصود ان العفو من اخلاق النفس المطمئنة والذل من اخلاق الامارة ونكتة المسئلة ان

الانتقام شئ والانتصار شئ فالانتصار ان ينتصر لحق الله ومن اجله
ولا يقوى على ذلك الامن تخلص من ذل حظه ورق هواه فانه
حينئذ ينال حظا من العز الذى قسم الله للمؤمنين فاذا بغى عليه انتصر
من الباغي من اجل عز الله الذى اعزه به غيرة على ذلك العز ان يستضام
ويقهر وحمية للعبد المنسوب الى العزيز الحميد ان يستذل فهو يقول
للباغي عليه انا مملوك من لا يذل مملوكه ولا يحب ان يذله احد واذ اكانت
نفسه الامارة قائمة على اصولها لم تحنث بعد طلبه الانتقام والانتصار لحظها
وظفرها بالباغي تشفيا فيه واذ لا لاله واما النفس المطمئنة التي خرجت
من ذل حظها ورق هواها الى عز توحيدها وانابتها الى ربها فاذا نالها
البغي قامت بالانتصار حمية ونصرة للعز الذى اعزها الله به ونالته منه
وهو في الحقيقة حمية لربها ومولاها وقد ضرب لذلك مثل بعبدين من
عبيد الملك حراثين ضرب احدهما صاحبه فعفا المضروب عن الضارب
نصحا منه لسيده وشفقة على الضارب ان يعاقبه السيد فلم يجشم سيده
خلفه عقوبته وافساده بالضرب فشكر العافي على عفوه ووقع منه
بموقع وعبد اخر قد اقامه بين يديه وجمله والبسه ثيابا يقف بها بين يديه
فعمد بعض سواس الدواب واضرابهم ولطخ تلك الثياب بالعذرة
او مزقها فلو عفا عن من فعل به ذلك لم يوافق عفوه رأي سيده
ولا محبته وكان الانتصار احب اليه واوفق لمرضاته كانه يقول انما فعل هذا
بك جرأة علي واستخفافا بسلطاني فاذا امكنه من عقوبته فاذ له وقهره

ولم

ولم يبق الا ان يبطش به فذل وانكسر قلبه فان سيده يحب منه ان لا يعاقبه لحظه وان ياخذ منه حق السيد فيكون انتصاره حينئذ لمحض حق سيده لا لنفسه كما روي عن علي انه مر برجل فاستغاث به وقال هذا منعني حقي ولم يعطني اياه فقال اعطه حقه فلما جاوزهما لج الظالم ولطم صاحب الحق فاستغاث بعلي فرجع وقال اتاك الغوث فقال له استقد منه فقال قد عفوت يا امير المؤمنين فضربه علي تسع درر وقال قد عفا عنك من لطمته وهذا حق السلطان * فعاقبه علي لما اجترأ على سلطان الله ولم يدعه ويشبه هذا قصة الرجل الذى جاء الى ابي بكر فقال احملني فوالله لانا افرس منك ومن ابنك وعنده المغيرة بن شعبة فحسر عن ذراعه وصك بها انف الرجل فسال الدم فجاء قومه الى ابي بكر رضي الله عنه فقالوا اقدنا من المغيرة فقال انا اقيدكم من وزعة الله لا اقيدكم منه * فرأى ابو بكر ان ذلك انتصارا من المغيرة وحمية لله وللعز الذى اعز به خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتمكن بذلك العز من حسن خلافته واقامة دينه فترك قوده لاجترائه على عز الله وسلطانه الذى اعز به رسوله ودينه وخليفته فهذا لون والضرب حمية للنفس الامارة لون *

فصل

والفرق بين سلامة القلب والبله والتغفل * ان سلامة القلب * تكون من عدم ارادة الشر بعد معرفته فيسلم قلبه من ارادته وقصده لا من معرفته

والعلم به وهذا بخلاف البله والغفلة فانها جهل وقلة معرفة و هذا لا يحمد اذ هو نقص وانما يحمد الناس من هو كذلك لسلامتهم منه والكمال ان يكون القلب عارفا بتفاصيل الشر سليما من ارادته قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لست بخب ولا يخدعني الخب * وكان عمر اعقل من ان يخدع واورع من ان يخدع وقال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم * فهذا هو السليم من الافات التي تعتري القلوب المريضة من مرض الشبهة التي توجب اتباع الظن و مرض الشهوة التي توجب اتباع ما تهوى الانفس فالقلب السليم الذي سلم من هذا و هذا *

﴿ فصل ﴾

﴿ فصل في الفرق بين الثقة و الغرة ﴾

و الفرق بين الثقة والغرة * ان الثقة * سكون يستند الى ادلة وامارات يسكن القلب اليها فكلما قويت تلك الامارات قويت الثقة واستحكمت ولا سيما على كثرة التجارب و صدق الفراسة واللفظة كانها والله اعلم من الوثاق وهو الرباط فالقلب قد ارتبط بمن وثق به توكلا عليه وحسن ظن به فصار في وثاق محبته ومعاملته والاستناد اليه والاعتماد عليه فهو في وثاقه بقلبه و روحه و بدنه فاذا سار القلب الى الله وانقطع اليه تقيد بحبه وصار في وثاق العبودية فلم يبق له مفزع في النوائب ولا ملجأ غيره و يصير عدته في شدته و ذخيرته في نوائبه و ملجأه في نوازله ومستعانه في حوائجه وضروراته * و اما الغرة * فهي حال المغتر الذي غرته نفسه و شيطانه وهواه واملّه الخائب الكاذب بربه حتى اتبع نفسه هواها

وتمني

وتمني على الله الاماني والغرور ثقتك بمن لا يوثق به وسكونك الى من لا يسكن اليه ورجاؤك النفع من المحل الذي لا ياتي بخير كحال المغتر بالسراب قال تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب * وقال تعالى في وصف المغترين قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا * وهؤلاء اذا انكشف الغطاء وثبتت حقائق الامور علموا انهم لم يكونوا على شئ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وفي اثر معروف اذا رأيت الله سبحانه يزيدك من نعمه وانت مقيم على معصيته فاحذره فانما هو استدراج يستدرجك به وشاهد هذا في القران في قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون * وهذا من اعظم الغرة ان تراه يتابع عليك نعمه وانت مقيم على ما يكره فالشيطان موكل بالغرور وطبع النفس الامارة الاغترار فاذا اجتمع الرأي والبغي والرأى المحتاج والشيطان الغرور والنفس المغترة لم يقع هناك خلاف فالشياطين غروا المغترين بالله واطمعوهم مع اقامتهم على ما يسخط الله ويغضبه في عفوه وتجاوزه وحدثوهم بالتوبة لتسكن قلوبهم ثم دافعوهم بالتسويف حتى هجم الاجل فاخذوا على اسوء احوالهم وقال تعالى وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور * وقال تعالى يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة

ولا يغرنكم بالله الغرور * واعظم الناس غرورا بربه من اذا امسه الله برحمة منه وفضل قال هذا لي اي انا اهله وجدير به ومستحق له ثم قال وما اظن الساعة قائمة فظن انه اهل لما اولاه من النعم مع كفره بالله ثم زاد في غروره فقال ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى يعني الجنة والكرامة فهكذا تكون الغرة بالله فالمغتر بالشيطان مغتر بوعوده وامانيه وقد ساعده اغتراره بدنياه ونفسه فلا يزال كذلك حتى يتردى في ابار الهلاك *

﴿ فصل ﴾

﴿ فصل في الفرق بين الرجاء والتمني ﴾

والفرق بين الرجاء والتمني * ان الرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة في الاتيان باسباب الظفر والفوز والتمني حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الاسباب الموصلة اليه قال تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولائك يرجون رحمة الله * فطوى سبحانه بساط الرجاء الا عن هؤلاء وقال المغترون ان الذين ضيعوا اوامره وارتكبوا نواهيه واتبعوا ما اسخطه وتجنبوا ما يرضيه اولائك يرجون رحمته وليس هذا ابدع من غرور النفس والشيطان لهم فالرجاء لعبد قد امتلأ قلبه من الايمان بالله واليوم الاخر فمثل بين عينيه ماوعده الله تعالى من كرامته وجنته فامتد القلب مائلا الى ذلك شوقا اليه وحرصا عليه فهو شبيه بالماد عنقه الى مطلوب قد صار نصب عينيه وعلامة الرجاء الصحيح ان الراجي يخاف فوت الجنة وذهاب حظه منها بترك ما يخاف ان يحول بينه وبين دخولها فمثله مثل رجل

خطب امرأة كريمة في منصب وشرف الى اهلها فلما آن وقت العقد
واجتماع الاشراف والاكابر وافي الرجل الى الحضور اعلم عشية ذلك
اليوم ليتاهب للحضور فتراه المرأة واكابر الناس فاخذ في التاهب والتزين
والتجمل فاخذ من فضول شعره وتنظف وتطيب ولبس اجمل ثيابه
واتى الى تلك الدار متقيا في طريقه كل وسخ ودنس واثر يصيبه اشد
تقوى حتى الغبار والدخان وماهو دون ذلك فلما وصل الى الباب رحب
به ربها ومكن له في صدر الدار على الفرش والوسائد ورمقته العيون
وقصد بالكرامة من كل ناحية فلو انه ذهب بعد اخذ هذه الزينة فجلس
في المزابل وتمرغ عليها وتمعك بها وتلطخ في بدنه وثيابه بما عليها من
عذرة وقذر ودخل ذلك في شعره وبشره وثيابه فجاء على تلك
الحال الى تلك الدار وقصد دخولها للوعد الذى سبق له فقام اليه
البواب بالضرب والطرد والصياح عليه والابعاد له من بابها وطريقها
فرجع متحيرا خاسئا فالاول حال الراجي وهذا حال المتمني وان شئت
مثلت حال الرجلين بملك هو من اغير الناس واعظمهم امانة واحسنهم
معاملة لا يضيع لديه حق احد وهو يعامل الناس من وراء ستر لا يراه
احد وبضائعه واموا له وتجاراته وعبيده واماءه ظاهر بارز
في داره للمعاملين فدخل عليه رجلان فكان احدهما يعامله بالصدق
والامانة والنصيحة لم يجرب عليه غشا ولا خيانة ولا مكرا فباعه بضائعه
كلها واعتمد مع مماليكه وجواريه ما يجب ان يعتمد معهم فكان اذا

دخل اليه ببضاعة تخير له احسن البضائع واحبها اليه وان صنعها بيده
بذل جهده في تحسينها وتنميقها وجعل ماخفي منها احسن مما ظهر ويسلم
المؤنة ممن امره ان يسلمها منه وامتثل ماامره به السفير بينه وبينه في
مقدار ما يعمله صفته وهيئته وشكله ورقته وسائر شؤنه وكان الاخر اذا
دخل دخل باخس بضاعة يجدها لم يخلصها من الغش ولانصح فيها
ولا اعتمد في امرها ماقاله المترجم عن الملك والسفير بينه وبين الصناع
والتجار بل كان يعملها على مايهواه هوومع ذلك فكان يخون الملك في
داره اذ هو غائب عن عينه فلا يلوح له طمع الا خانه ولا حرمة للملك
الا مد بصره اليها وحرص على افسادها ولا شيئا يسخط الملك الا ارتكبه
اذ اقدر عليه فمضيا على ذلك مدة ثم قيل ان الملك يبرز اليوم لمعامليه
حتى يحاسبهم ويعطيهم حقوقهم فوقف الرجلان بين يديه فعامل
كل واحد منهما بما يستحقه فتامل هذين المثلين فان الواقع مطابق لهما
فالراجي على الحقيقة لما صارت الجنة نصب عينيه ورجاؤه واملهامتد اليها
قلبه وسعى لها سعيها فان الرجاء هو امتداد القلب وميله وحقق رجاءه
كمال التاهب وخوف الفوت والاخذ بالحذر واصله من التنحي ورجاء
البير ناحيته وارجاء السماء نواحيها وامتداد القلب الى المحبوب منقطعا
عن ما يقطعه عنه هو تنحي عن النفس الامارة واسبابها وما تدعو اليه وهذا
الامتداد والميل والخوف من شان النفس المطمئنة فان القلب اذا
انفتحت بصيرته فراى الاخرة وما اعد الله فيها لاهل طاعته واهل

معصيته خاف و خف مر تحلا الى الله و الدار الاخرة و كان قبل ذلك
مطمئنا الى النفس و النفس الى الشهوات و الدنيا فلما انكشف عنه غطاء
النفس خف وارتحل عن جوارها طالبا جوار العزيز الرحيم فى
جنات النعيم ومن ههنا صار كل خائف راجيا وكل راج خائفا فاطلق
اسم احدهما على الاخر فان الراجي قلبه قريب الصفة من قلب الخائف
هذا الراجي قد نحى قلبه عن مجاورة النفس والشيطان مرتحلا الى الله
قدرفع له من الجنة علم فشمر اليه وامه مادا اليه قلبه كله وهذا الخائف فار
من جوارهما ملتجئ الى الله من حبسه في سجنهما في الدنيا فيحبس معهما
بعد الموت و يوم القيامة فان المرأ مع قرينه فى الدنيا والاخرة فلما سمع الوعيد
ارتحل من مجاورة جار السوء فى الدارين فاعطي اسم الخائف و لما سمع
الوعد امتد واستطال شوقا اليه وفرحا بالظفر به فاعطي اسم الراجي وحالاه
متلازمان لا ينفك عنها فكل راج خائف من فوات ما يرجوه كما ان
كل خائف راج امنه مما يخاف فلذلك تداول الاسمان عليه قال
تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا* قالوا في تفسيرها لا تخافون لله عظمة وقد
تقدم ان الله سبحانه طوى الرجاء الا عن الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا
وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بانه ذو شعب واعمال
ظاهرة وباطنة وفسر الهجرة بانها هجر مانهى الله عنه والجهاد بانه جهاد
النفس في ذات الله فقال المهاجر من هجر مانهى الله عنه والمجاهد من
جاهد نفسه في ذات الله والمقصود ان الله سبحانه جعل اهل الرجاء

من آمن وهاجر وجاهد واخرج من سواهم من هذه الامم * واما الاماني * فانها رؤس اموال المفاليس اخرجوها في قالب الرجاء وتلك امانيهم وهي تصدر من قلب تزاحمت عليه وساوس النفس فاظلم من دخانها فهو يستعمل قلبه في شهواتها وكلما فعل ذلك منته حسن العاقبة والنجاة واحالتـه على العفو والمغفرة والفضل وان الكريم لا يستوفى حقه ولا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة ويسمى ذلك رجاء وانما هو وسواس واماني باطلة تقذف بها النفس الى القلب الجاهل فيستريح اليها قال تعالى ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا * فاذا ترك العبد ولاية الحق ونصرته ترك الله ولايته ونصرته ولم يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا واذا ترك ولايته ونصرتـه تولته نفسه والشيطان فصارا وليين له ووكل الى نفسه فصار انتصاره لها بدلا من نصرة الله ورسوله فاستبدل بولاية الله ولاية نفسه وشيطانه وبنصرته نصرة نفسه وهواه فلم يدع للرجاء موضعا فاذا قالت لك النفس انا في مقام الرجاء فطالبها بالبرهان وقل هذه امنية فهاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فالكيس يعمل اعمال البر على الطمع والرجاء والاحمق العاجز يعطل اعمال البر ويتكل على الاماني التي يسميها رجاء والله الموفق *

فصل

والفرق بين التحدث بنعم الله والفخر بها ان * المتحدث بالنعمة * مخبر عن صفات

فصل في الفرق بين التحدث بنعم الله والفخر بها

و ايها و محض جوده و احسانه فهو مثن عليه باظهارها و التحدث بها شاكر له ناشر لجميع ما اولاه مقصوده بذلك اظهار صفات الله ومدحه و الثناء و بعث النفس على الطلب منه دون غيره وعلى محبته و رجائه فيكون راغبا الى الله باظهار نعمه ونشرها والتحدث بها * و اما الفخر * بالنعم فهو ان يستطيل بها على الناس و يريهم انه اعز منهم و اكبر فيركب اعناقهم و يستعبد قلوبهم و يستميلها اليه بالتعظيم و الخدمة قال النعمان ابن بشير ان للشيطان مصالي ونخوخا وان من مصاليه وفخوخه البطش بنعم الله و الكبر على عباد الله و الفخر بعطية الله و الهون فى غير ذات الله *

فصل

و الفرق بين فرح القلب و فرح النفس ظاهر فان الفرح بالله و معرفته و محبته و كلامه من القلب قال تعالى و الذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك * فاذا كان اهل الكتاب يفرحون بالوحى فاولياء الله واتباع رسوله احق بالفرح به و قال تعالى و اذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون * و قال تعالى قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون * قال ابو سعيد الخدرى فضل الله القران و رحمته ان جعلكم من اهله * و قال هلال بن يساف فضل الله و رحمته الاسلام الذى هداكم اليه والقران الذي علمكم هو خير من الذهب والفضة الذى تجمعون * و قال ابن عباس و الحسن و قتادة و جمهور المفسرين فضل الله

الاسلام ورحمته القرآن فهذا فرح القلب وهو من الايمان ويثاب عليه العبد فان فرحه به يدل على رضاه به بل هو فوق الرضاء فالفرح بذلك على قدر محبته فان الفرح انما يكون بالظفر بالمحبوب وعلى قدر محبته يفرح بحصوله له فالفرح بالله واسمائه وصفاته ورسوله وسنته وكلامه محض الايمان وصفوة وليه وله عبودية عجيبة واثر في القلب لا يعبر عنه فابتهاج القلب وسروره وفرحه بالله واسمائه وصفاته وكلامه ورسوله ولقائه افضل ما يعطاه بل هو اجل عطاياه والفرح في الاخرة بالله ولقائه بحسب الفرح به ومحبته في الدنيا فالفرح بالوصول الى المحبوب يكون على حسب قوة المحبة وضعفها فهذا شان فرح القلب وله فرح اخر وهو فرحه بما من الله به عليه من مما ملته والاخلاص له والتوكل عليه والثقة به وخوفه ورجائه به وكلما تمكن في ذلك قوي فرحه وابتهاجه وله فرحة اخرى عظيمة الوقع عجيبة الشان وهي الفرحة التي تحصل له بالتوبة فان لها فرحة عجيبة لا نسبة لفرحة المعصية اليها البتة فلو علم العاصي ان لذة التوبة وفرحتها تزيد على لذة المعصية وفرحتها اضعافا مضاعفة لبادر اليها اعظم من مبادرته الى لذة المعصية وسر هذا الفرح انما يعلمه من علم سر فرح الرب تعالى بتوبة عبده اشد فرح يقدر ولقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا ليس في انواع الفرح في الدنيا اعظم منه وهو فرح رجل قد خرج براحلته التي عليها طعامه وشرابه في سفر ففقدها في ارض دوية مهلكة فاجتهد

في طلبها فلم يجدها فيئس منها فجلس ينتظر الموت حتى اذا طلع البدر رأى في ضوئه راحلته وقد تعلق زمامها بشجرة فقال من شدة فرحه اللهم انت عبدي وانا ربك اخطأ من شدة الفرح فالله افرح بتوبة عبده من هذا براحلته * فلا ينكر ان يحصل للتائب نصيب وافر من الفرح بالتوبة ولكن ههنا امر يجب التنبيه عليه وهو انه لا يصل الى ذلك الا بعد ترحات ومضض ومحن لا تثبت لها الجبال فان صبر لها ظفر بلذة الفرح ان ضعف عن حملها ولم يصبر لها لم يظفر بشيء وآخر امره فوات ما آثره من فرحة المعصية ولذتها فيفوته الامران ويحصل على ضد اللذة من الالم المركب من وجود المؤذي وفوت المحبوب فالحكم لله العلي الكبير *

فصل

وههنا فرحة اعظم من هذا كله وهي فرحته عند مفارقته الدنيا الى الله اذا ارسل اليه الملائكة فبشروه بلقائه وقال له ملك الموت اخرجي ايتها الروح الطيبة كانت في الجسد الطيب ابشري بروح وريحان ورب غير غضبان اخرجي راضية مرضيا عنك يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي * فلو لم يكن بين يدي التائب الا هذه الفرحة وحدها لكان العقل يامر بايثارها فكيف ومن بعدها انواع من الفرح منها صلوة الملائكة الذين بين السماء والارض على روحه ومنها فتح ابواب السماء لها وصلوة ملائكة السماء عليها وتشييع مقربيها لها الى السماء الثانية فتفتح ويصلي عليها اهلها

و يشيعها مقربوهـا هكذا الى السماء السابعة فكيف يقدر فرحها وقد استوذن لها على ربها و ليها و حبيبها فوقفت بين يديه واذن لها بالسجود فسجدت ثم سمعته سبحانه يقول اكتبوا كتابه فى عليين ثم يذهب به فيرى الجنة و مقعده فيها و ما اعد الله و يلقى اصحابه واهله فيستبشرون به و يفرحون به و يفرح بهم فرح الغائب يقدم على اهله فيجدهم على احسن حال و يقدم عليهم بخير ما قدم بـه مسافر هذا كله قبل الفرح الاكبر يوم حشر الاجساد بجلوسه في ظل العرش و شربه من الحوض واخذه كتابه بيمينه وثقل ميزانه و بياض وجهه واعطائه النور التام والناس في الظلمة وقطعه جسر جهنم بلا تعويق وانتهائه الى باب الجنة وقد ازلفت له في الموقف و تلقي خزنتها له بالترحيب والسلام و البشارة و قدومه على منازله و قصوره واز واجه و سراريه و بعد ذلك فرح آخر لا يقدر قدره ولا يعبر عنه تتلاشى هذه الافراح كلها عنده وانما يكون هذا لاهل السنة المصدقين برؤية وجه ربهم تبارك وتعالى من فوقهم وسلامه عليهم وتكليمه اياهم ومحاضرته لهم *

وليست هذه الفرحات الا * لذي الترحات في دار الرزايا

فشمر ما استطعت الساق واجهد * لعلك ان تفوز بذى المطايا

وصم عن لذة حشيت بلاء * للذات خلصن من البلايا

ودع امنية ان لم تنلها * تعذب او تنل كانت منايا

ولا تستبطِ وعدا من رسول * اتى بالحق من رب البرايا

فهذا الوعد ادني من نعيم ❊ مضى بالامس لو وفقت رأيا

❊ فصل ❊

والفرق بين رقة القلب والجزع ❊ ان الجزع ❊ ضعف في النفس وخوف في القلب يمده شدة الطمع والحرص ويتولد من ضعف الايمان بالقدر والافمتى علم ان المقدر كائن ولا بدكان الجزع عناء محضا ومصيبة ثانية قال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم ❊ فمتى امن العبد بالقدر وعلم ان المصيبة مقدرة في الحاضر والغائب لم يجزع ولم يفرح ولا ينافي هذا رقة القلب فانها ناشئة من صفة الرحمة التي هي كمال والله سبحانه انما يرحم من عباده الرحماء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارق الناس قلبا وابعدهم من الجزع فرقة القلب رأفة ورحمة وجزعه مرض وضعف فالجزع حال قلب مريض بالدنيا قد غشيه دخان النفس الامارة فاخذ بانفاسه وضيق عليه مسالك الاخرة وصار في سجن الهوى والنفس وهو سجن ضيق الارجاء مظلم المسالك فانحصار القلب وضيقه يجزع من ادني ما يصيبه ولا يحتمله فاذا اشرق فيه نور الايمان واليقين بالوعد وامتلأ من محبة الله واجلاله رق وصارت فيه الرأفة والرحمة فتراه رحيما رقيق القلب بكل ذي قربي ومسلم يرحم النملة في جحرها والطير في وكره فضلا عن بني جنسه فهذا اقرب القلوب من الله قال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم

الناس بالعيال والله سبحانه اذا اراد ان يرحم عبدا اسكن في قلبه الرافة والرحمة واذا اراد ان يعذبه نزع من قلبه الرحمة والرأفة وابدله بها الغلظة والقسوة وفي الحديث الثابت لاتنزع الرحمة الا من شقي * وفيه من لايرحم لايرحم * وفيه ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء * وفيه اهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذى قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال * والصديق رضى الله عنه انما فضل الامة بما كان في قلبه من الرحمة العامة زيادة على الصديقية ولهذا اظهر اثرها في جميع مقاماته حتى في الاسارى يوم بدر واستقر الامر على ما اشار به وضرب له النبي صلى الله عليه وسلم مثلا بعيسى وابراهيم والرب سبحانه وتعالى هو الرؤف الرحيم واقرب الخلق اليه اعظمهم رأفة ورحمة كما ان ابعدهم منه من اتصف بضد صفاته وهذا باب لايلجه الا الافراد في العالم *

﴿ فصل ﴾

﴿ الفرق بين الموجدة والحقد ﴾

والفرق بين الموجدة والحقد * ان الوجد * الاحساس بالمولم والعلم به وتحرك النفس في رفعه فهو كمال * واما الحقد * فهو اضمار الشر وتوقعه كل وقت فمن وجدت عليه فلا يزايل القلب اثره وفرق اخر وهو ان الموجدة لما ينالك منه والحقد لما يناله منك فالموجدة وجود ما نالك من اذاه والحقد توقع وجود ما يناله من المقابلة فالموجدة سريعة الزوال والحقد بطئ الزوال والحقد يجئ مع ضيق القلب واستيلاء ظلمة النفس ودخانها

عليه بخلاف الموجدة فانها تكون مع قوته وصلابته وقوة نوره واحساسه *

فصل

و الفرق بين المنافسة والحسد ان المنافسة المبادرة الى الكمال الذى تشاهد من غيرك فتنافسه فيه حتى تلحقه او تجاوزه فهى من شرف النفس وعلو الهمة وكبر القدر قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون * واصلها من الشيء النفيس الذى تتعلق به النفوس طلبا ورغبة فينافس فيه كل من النفسين الاخرى وربما فرحت اذا شاركتها فيه كما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتنافسون في الخير ويفرح بعضهم ببعض باشتراكهم فيه بل يحض بعضهم بعضا عليه مع تنافسهم فيه وهى نوع من المسابقة وقد قال تعالى فاستبقوا الخيرات * وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء * وكان عمر بن الخطاب يسابق ابا بكر رضى الله عنهما فلم يظفر بسبقه ابدا فلما علم انه قد استولى على الامامة قال والله لا اسابقك الى شيء ابدا وقال والله ما سابقته الى خير الا وجدته قد سبقني اليه * والمتنافسان كعبدين بين يدى سيدهما يتباريان ويتنافسان فى مرضاته و يتسابقان الى محابه فسيدهما يعجبه ذلك منهما ويحثهما عليه وكل منهما يحب الاخر ويحرضه على مرضاة سيده والحسد خلق نفس ذميمة وضيعة ساقطة ليس فيها حرص على الخير فلعجزها ومهانتها تحسد من يكسب الخير والمحامد و يفوز بها دونها وتتمنى ان لو فاته كسبها حتى يساويها في العدم كما قال تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء * وقال تعالى ود كثير من اهل

الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعدما تبين لهم الحق * فالحسود عدو النعمة متمن زوالها عن المحسود كما زالت عنه هو والمنافس مسابق النعمة متمن تمامها عليه وعلى من ينافسه فهو ينافس غيره ان يعلو عليه ويحب لحاقه به او مجاوزته له في الفضل والحسود يحب انحطاط غيره حتى يساويه في النقصان واكثر النفوس الفاضلة الخيرة تنتفع بالمنافسة فمن جعل نصب عينيه شخصا من اهل الفضل والسبق فنافسه انتفع به كثيرا فانه يتشبه به ويطلب اللحاق به والتقدم عليه وهذا لانذمه وقد يطلق اسم الحسد على المنافسة المحمودة كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به اناء الليل واطراف النهار ورجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق * فهذا حسد منافسة وغبطة يدل على علو همة صاحبه وكبر نفسه وطلبها للتشبه باهل الفضل *

فصل

فصل في الفرق بين حب الرياسة وحب الامارة

والفرق بين حب الرياسة وحب الامارة للدعوة الى الله هو الفرق بين تعظيم امر الله والنصح له وتعظيم النفس والسعي في حظها فان الناصح لله المعظم له المحب له يحب ان يطاع ربه فلا يعصى وان تكون كلمته هي العليا وان يكون الدين كله لله وان يكون العباد ممتثلين اوامره مجتنبين نواهيه فقد ناصح الله في عبوديته وناصح خلقه في الدعوة الى الله فهو يحب الامامة في الدين بل يسأل ربه ان يجعله للمتقين اماما يقتدى

به المتقون كما اقتدى هو بالمتقين فاذا احب هذا العبد الداعي الى الله ان
يكون فى اعينهم جليلا وفي قلوبهم مهيبا واليهم حبيبا وان يكون فيهم
مطاعا لكي يأتموا به ويقتفوا اثر الرسول على يده لم يضره ذلك بل يحمد
عليه لانه داع الى الله يحب ان يطاع ويعبد ويوحد فهو يحب ما يكون عونا
على ذلك موصلا اليه ولهذا ذكر سبحانه عباده الذين اختصهم لنفسه
واثنى عليهم في تنزيله واحسن جزاءهم يوم لقائه فذكرهم باحسن اعمالهم
واوصافهم ثم قال والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا
قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما * فسألوه ان يقر اعينهم بطاعة ازواجهم
وذرياتهم له سبحانه وان يسر قلوبهم باتباع المتقين له على طاعته وعبوديته
فان الامام والمؤتم متعاونان على الطاعة فانما سالوه ما يعاونون به المتقين
على مرضاته وطاعته وهو دعوتهم الى الله بالامامة في الدين التى اساسها الصبر
واليقين كما قال تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا
يوقنون * وسوالهم ان يجعلهم ائمة للمتقين هو سوال ان يهديهم ويوفقهم ويمن
عليهم بالعلوم النافعة والاعمال الصالحة ظاهرا وباطنا التى لا تتم الامامة
الا بها وتامل كيف نسبهم في هذه الايات الى اسمه الرحمن جل جلاله
ليعلم خلقه ان هذا انما نالوه بفضل رحمته ومحض جوده ومنته وتامل كيف
جعل جزاءهم فى هذه السورة الغرف وهي المنازل العالية في الجنة لما كانت
الامامة في الدين من الرتب العالية بل من اعلا مرتبة يعطاها العبد في الدين
كان جزاؤه عليها الغرفة العالية في الجنة وهذا بخلاف طلب الرياسة فان

طلابها يسعون في تحصيلها لينالوا بها اغراضهم من العلو في الارض و تعبد القلوب لهم و ميلها اليهم و مساعدتهم لهم على جميع اغراضهم مع كونهم عالين عليهم قاهرين لهم فترتب على هذا المطلب من المفاسد ما لا يعلمه الا الله من البغي والحسد و الطغيان والحقد و الظلم و الفتنة والحمية للنفس دون حق الله و تعظيم من حقره الله واحتقار من اكرمه الله ولا تتم الرياسة الدنيوية الا بذلك ولا تنال الا به و باضعافه من المفاسد والرؤساء في عمى عن هذا فاذا كشف الغطاء تبين لهم فساد ما كانوا عليه ولا سيما اذا حشروا في صور الذر يطأهم اهل الموقف بارجلهم اهانة لهم و تحقيرا وتصغيرا كما صغروا امر الله وحقروا عباده *

فصل

فصل في الفرق بين الحب في الله والحب مع الله

و الفرق بين الحب في الله و الحب مع الله و هذا من اهم الفروق وكل احد محتاج بل مضطر الى الفرق بين هذا و هذا فالحب في الله هو من كمال الايمان والحب مع الله هو عين الشرك والفرق بينهما ان المحبة في الحب تابع لمحبة الله فاذا تمكنت محبته من قلب العبد اوجبت تلك المحبة ان يحب ما يحبه الله فاذا احب ما احبه ربه و وليه كان ذلك الحب له وفيه كما يحب رسله و انبياءه و ملائكته واولياءه لكونه تعالى يحبهم و يبغض من يبغضهم لكونه تعالى يبغضهم و علامة هذا الحب و البغض في الله انه لا ينقلب بغضه لبغيض الله حبا لاحسانه اليه و خدمته له وقضاء حوائجه ولا ينقلب حبه لحبيب الله بغضا اذا وصل اليه من جهته ما يكرهه ويؤلمه

اماخطأ واما عمدا مطيعا لله فيه او مثيا ولا او مجتهد ا او باغيا نازعا بائنا
والدين كله يدور على اربع قواعد حب وبغض ويترتب عليهما فعل
وترك فمن كان حبه وبغضه وفعله وتركه لله فقد استكمل الايمان بحيث
اذا احب احب لله واذا ابغض ابغض لله واذا فعل فعل لله واذا ترك ترك لله
وما نقص من اضافة هذه الاربعة نقص من ايمانه ودينه بحسبه وهذا
بخلاف الحب مع الله فهو نوعان نوع يقدح في اصل التوحيد وهو شرك
ونوع يقدح في كمال الاخلاص ومحبة الله ولا يخرج من الاسلام * فالاول *
كمحبة المشركين لاوثانهم واندادهم قال تعالى ومن الناس من يتخذ من
دون الله اندادا يحبونهم كحب الله * وهولاء المشركون يحبون اوثانهم
واصنامهم والهتهم مع الله كما يحبون الله فهذه محبة تأله وموالاة يتبعها
الخوف والرجاء والعبادة والدعاء وهذه المحبة هي محض الشرك الذي
لا يغفره الله ولا يتم الايمان الا بمعاداة هذه الانداد وشدة بغضها وبغض
اهلها ومعاداتهم ومحاربتهم وبذلك ارسل الله جميع رسله وانزل جميع
كتبه وخلق النار لاهل هذه المحبة الشركية وخلق الجنة لمن حارب
اهلها وعاداهم فيه وفي مرضاته فكل من عبد شيئا من لدن عرشه الى
قرار ارضه فقد اتخذ من دون الله الها ووليا واشرك به كائنا ذلك المعبود
ما كان ولا بد ان يتبرا منه احوج ما كان اليه * والنوع الثاني * محبة
ما زينه الله للنفوس من النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة
والانعام والحرث فيحبها محبة شهوة كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء

فهذه المحبة ثلاثة انواع فان احبها الله توصلا بها اليه واستعانة على مرضاته وطاعته اثيب عليها وكانت من قسم الحب لله توصلا بها اليه ويلتذ بالتمتع بها وهذا حال اكمل الخلق الذي حبب اليه من الدنيا النساء والطيب وكانت محبته لهما عونا له على محبة الله وتبليغ رسالته والقيام بامره وان احبها لموافقة طبعه وهواه وارادته ولم يؤثرها على ما يحبه الله ويرضاه بل نالها بحكم الميل الطبيعي كانت من قسم المباحات ولم يعاقب على ذلك ولكن ينقص من كمال محبته لله والمحبة فيه وان كانت هي مقصوده ومراده وسعيه في تحصيلها والظفر بها وقدمها على ما يحبه الله ويرضاه منه كان ظالما لنفسه متبعا لهواه * فالاولى * محبة السابقين * والثانيه * محبة المقتصدين * والثالثة * محبة الظالمين فتامل هذا الموضع وما فيه من الجمع والفرق فانه معترك النفس الامارة والمطمئنة والمهدي من هداه الله *

فصل

فصل في الفرق بين التوكل والعجز

والفرق بين التوكل والعجز ان التوكل عمل القلب وعبوديته اعتمادا على الله وثقة به والتجاء اليه وتفويضا اليه ورضا بما يقضيه له لعلمه بكفايته سبحانه وحسن اختياره لعبده اذا فوض اليه مع قيامه بالاسباب المامور بها واجتهاده في تحصيلها فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم المتوكلين وكان يلبس لامته ودرعه بل ظاهر يوم احد بين درعين واختفى في الغار ثلاثا فكان متوكلا في السبب لا على السبب * واما العجز فهو تعطيل الامرين او احدهما فاما ان يعطل السبب عجزا منه ويزعم

ان ذلك توكل و لعمر الله انه لعجز و تفريط واما ان يقوم بالسبب ناظرا
اليه معتمدا عليه غافلا عن المسبب معرضا عنه وان خطر بباله لم يثبت معه
ذلك الخاطر و لم يعلق قلبه به تعلقا تاما بحيث يكون قلبه مع الله و بدنه
مع السبب فهذا توكله عجز و عجزه توكل و هذا موضع انقسم فيه الناس
طرفين و وسطا * فاحد الطرفين * عطل الاسباب محافظة على التوكل
* و الثاني * عطل التوكل محافظة على السبب * والوسط * علم ان حقيقة
التوكل لا يتم الا بالقيام بالسبب فتوكل على الله في نفس السبب واما من
عطل السبب و زعم انه متوكل فهو مغرور مخدوع متمن كمن عطل النكاح
والتسري وتوكل في حصول الولد وعطل الحرث والبذر وتوكل في حصول
الزرع وعطل الاكل والشرب و توكل في حصول الشبع والري
فالتوكل نظير الرجاء والعجز نظير التمني فحقيقة التوكل ان يتخذ العبد ربه
وكيلا له قد فوض اليه كما يفوض الموكل الى وكيله العالم بكفايته و نهضته
و نصحه و امانته و خبرته و حسن اختياره والرب سبحانه قد امر عبده
بالاحتيال و توكل له ان يستخرج له من حيلته ما يصلحه فامره ان يحرث
و يبذر و يسعى و يطلب رزقه في ضمان ذلك كما قدره سبحانه و دبره
واقتضته حكمته و امره ان لا يعلق قلبه بغيره بل يجعل رجاءه له وخوفه
منه و ثقته به و توكله عليه و اخبره انه سبحانه الملي بالوكالة الوفي بالكفالة
فالعاجز من رمى هذا كله وراء ظهره و قعد كسلان طالبا للراحة موثرا
للدعة يقول الرزق يطلب صاحبه كما يطلبه اجله و سياتيني ما قدر لي على

مني ولن انال مالم يقدر لي مع قوتي ولو اني هربت من رزقي كما اهرب من الموت للحقني فيقال له نعم هذا كله حق وقد علمت ان الرزق مقدر فما يدريك كيف قدر لك بسعيك ام بسعي غيرك واذا كان بسعيك فباي سبب ومن اي وجه واذا خفي عليك هذا كله فمن اين علمت انه يقدر لك اتيانه عفوا بلا سعي ولا كد فكم من شي سعيت فيه فقدر لغيرك وكم من شي سعى فيه غيرك فقدر لك رزقا فاذا رأيت هذا عيانا فكيف علمت ان رزقك كله بسعي غيرك وايضا فهذا الذي اوردته عليك النفس يجب عليك طرده في جميع الاسباب مع مسبباتها حتى في اسباب دخول الجنة والنجاة من النار فهل يعطلها اعتمادا على التوكل ام يقوم بها مع التوكل بلى لن تخلوا الارض من متوكل صبر نفسه لله وملأ قلبه من الثقة به ورجائه وحسن الظن به فضاق قلبه مع ذلك عن مباشرة بعض الاسباب فسكن قلبه الى الله واطمأن اليه ووثق به وكان هذا من اقوى اسباب حصول رزقه فلم يعطل السبب وانما رغب عن سبب الى سبب اقوى منه فكان توكله اوثق الاسباب عنده فكان اشتغال قلبه بالله وسكونه اليه وتضرعه اليه احب اليه من اشتغال بسبب يمنعه من ذلك او من كماله فلم يتسع قلبه للامرين فاعرض عن احدهما الى الاخر ولا ريب ان هذا اكمل حالا ممن امتلأ قلبه بالسبب واشتغل به عن ربه واكمل منهما من جمع الامرين وهي حال الرسل والصحابة فقد كان زكريا نجارا وقد امر الله نوحا ان يصنع السفينة ولم يكن

في الصحابة من يعطل السبب اعتمادا على التوكل بل كانوا اقوم الناس بالامرين الا ترى انهم بذلوا جهدهم في محاربة اعداء الدين بايديهم والسنتهم وقاموا في ذلك بحقيقة التوكل وعمروا اموالهم واصلحوها واعدوا لاهليهم كفايتهم من القوت اقتداء بسيد المتوكلين صلوات الله وسلامه عليه *

فصل

والفرق بين الاحتياط والوسوسة * ان الاحتياط * الاستقصاء والمبالغة في اتباع السنة وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من غير غلو ومجاوزة ولا تقصير ولا تفريط فهذا هو الاحتياط الذي يرضاه الله ورسوله * واما الوسوسة * فهي ابتداع مالم تات به السنة ولم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احد من الصحابة زاعما انه يصل بذلك الى تحصيل المشروع وضبطه كمن يحتاط بزعمه ويغسل اعضاءه في الوضوء فوق الثلاثة فيسرف في صب الماء في وضوئه وغسله ويصرح بالتلفظ بنية الصلوة مرارا او مرة واحدة ويغسل ثيابه مما لا يتيقن نجاسته احتياطا او يرغب عن الصلوة في نعله احتياطا الى اضعاف اضعاف هذا مما اتخذه الموسوسون دينا وزعموا انه احتياط وقد كان الاحتياط باتباع هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه اولى بهم فانه الاحتياط الذي من خرج عنه فقد فارق الاحتياط وعدل عن سواء الصراط والاحتياط كل الاحتياط الخروج عن خلاف السنة ولو خالفت

اكثر اهل الارض بل كلهم *

فصل

والفرق بين الهام الملك والقاء الشيطان من وجوه * منها * ان ما كان لله موافقا لمرضاته و ماجاء به رسوله فهو من الملك وما كان لغيره غير موافق لمرضاته فهو من القاء الشيطان * ومنها * ان ما اثمر اقبالا على الله و انابة اليه و ذكرا له وهمة صاعدة اليه فهو من القاء الملك وما اثمر ضد ذلك فهو من الشيطان * و منها * ان ما اورث انسا و نورا فى القلب وانشراحا في الصدر فهو من الملك وما اورث ضد ذلك فهو من الشيطان * ومنها * ان ما اورث سكينة وطمانينة فهو من الملك و ما اورث قلقا و انزعاجا و اضطرابا فهو من الشيطان * فالالهام الملكي * يكثر فى القلوب الطاهرة النقية التي قد استنارت بنور الله فللملك بها اتصال و بينه وبينها مناسبة فانه طيب طاهر لا يجاور الا قلبا يناسبه فتكون لمة الملك بهذا القلب اكثر من لمة الشيطان واما القلب المظلم الذى قد اسود بدخان الشهوات و الشبهات فالقاء الشيطان و لمته به اكثر من لمة الملك *

فصل

و الفرق بين الاقتصاد و التقصير * ان الاقتصاد * هو التوسط بين طرفي الافراط و التفريط و له طرفان هما ضدان له تقصير ومجاوزة فالمقتصد قد اخذ بالوسط و عدل عن الطرفين قال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * وقال تعالى ولا تجعل

يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط * وقال تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا * والدين كله بين هذين الطرفين بل الاسلام قصد بين الملل والسنة قصد بين البدع ودين الله بين الغالى فيه والجافي عنه وكذلك الاجتهاد هو بذل الجهد فى موافقة الامر والغلو مجاوزة وتعدية وما امر الله بامر الا وللشيطان فيه نزغتان فاما الى غلو ومجاوزة واما الى تفريط وتقصير وهما افتان لا يخلص منهما في الاعتقاد والقصد والعمل الا من مشى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك اقوال الناس وآراءهم لما جاء به لا من ترك ما جاء به لاقوالهم وآرائهم وهذان المرضان الخطران قد استوليا على اكثر بنى آدم ولهذا احذر السلف منهما اشد التحذير وخوفوا من بلي باحدهما بالهلاك وقد يجتمعان في الشخص الواحد كما هو حال اكثر الخلق يكون مقصرا مفرطا فى بعض دينه غاليا متجاوزا فى بعضه والمهدى من هداه الله *

فصل

و الفرق بين النصيحة والتأنيب ان النصيحة احسان الى من تنصحه بصورة الرحمة له والشفقة عليه والغيرة له وعليه فهو احسان محض يصدر عن رحمة ورقة ومراد الناصح بها وجه الله ورضاه والاحسان الى خلقه فيتلطف في بذلها غاية التلطف ويحتمل اذى المنصوح ولائمته ويعامله معاملة الطبيب العالم المشفق والمريض المستبشع مرضاه وهو يحتمل سوء خلقه وشراسته ونفرته ويتلطف في وصول الدواء اليه بكل ممكن

فهذا شان الناصح * واما المؤنب * فهو رجل قصده التعيير والاهانة وذم من انبه وشتمه في صورة النصح فهو يقول له يا فاعل كذا وكذا يا مستحقا للذم والاهانة في صورة ناصح مشفق وعلامة هذا انه لو رأى من يحبه ويحسن اليه على مثل عمل هذا او شر منه لم يعرض له ولم يقل له شيئا ويطلب له وجوه المعاذير فان غلب قال واني ضمنت له العصمة والانسان عرضة للخطأ ومحاسنه اكثر من مساويه والله غفور رحيم ونحو ذلك فيا عجبا كيف كان هذا لمن يحبه دون من يبغضه وكيف كان حظ ذلك منك التانيب في صورة النصح وحظ هذا منك رجاء العفو والمغفرة وطلب وجوه المعاذير ومن الفروق بين الناصح والمؤنب ان الناصح لا يعاديك اذ لم تقبل نصيحته وقال قد وقع اجري على الله قبلت او لم تقبل ويدعو لك بظهر الغيب ولا يذكر عيوبك ولا يبينها في الناس والمؤنب بضد ذلك *

فصل في الفرق بين المبادرة والعجلة

فصل

والفرق بين المبادرة والعجلة * ان المبادرة * انتهاز الفرصة في وقتها ولا يتركها حتى اذا فاتت طلبها فهو لا يطلب الامور في ادبارها ولا قبل وقتها بل اذا حضر وقتها بادر اليها ووثب عليها وثوب الاسد على فريسته فهو بمنزلة من يبادر الى اخذ الثمرة وقت كمال نضجها وادراكها والعجلة طلب اخذ الشيء قبل وقته فهو لشدة حرصه عليه بمنزلة من يأخذ الثمرة قبل اوان ادراكها فالمبادرة وسط بين خلقين مذمومين احدهما التفريط والاضاعة

والثاني

و الثاني الاستعجال قبل الوقت ولهذا كانت العجلة من الشيطان فانها خفة وطيش و حدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم و توجب له وضع الاشياء في غير مواضعها و تجلب عليه انواعا من الشرور و تمنعه انواعا من الخير و هي قرين الندامة فقل من استعجل الا ندم كما ان الكسل قرين الفوت والاضاعة *

﴿ فصل في الفرق بين الاخبار بالحال و بين الشكوى ﴾

﴿ فصل ﴾

والفرق بين الاخبار بالحال و بين الشكوى و ان اشتبهت صورتهما * ان الاخبار * بالحال يقصد المخبر به قصدا صحيحا من علم سبب ازالته او الاعتذار لاخيه من امر طلبه منه او يحذره من الوقوع في مثل ما وقع فيه فيكون ناصحا باخباره له او حمله على الصبر بالتاسي به كما يذكر عن الاحنف انه شكا اليه رجل شكوى فقال يا ابن اخي لقد ذهب ضوء عيني من كذا و كذا سنة فما اعلمت به احدا * ففي ضمن هذا الاخبار من حمل الشاكي على التأسي و الصبر ما يثاب عليه المخبر وصورته صورة الشكوى ولكن القصد ميز بينهما ولعل من هذا قول النبي صلى الله عليه و سلم لما قالت عائشة وارأساه فقال بل انا وارأساه اي الوجع القوي بي انا دونك فتاسي بي فلا تشتكي و يلوح لي فيه معنى آخر و هو انها كانت حبيبة رسول الله صلى الله عليه و سلم بل كانت احب النساء اليه على الاطلاق فلما شكت اليه رأسها اخبرها ان بمحبها من الالم مثل الذي بها و هذا غاية الموافقة من المحب ومحبوبه يتالم بتالمه و يسر بسروره حتى اذا المه عضو من اعضائه الم

المحب ذلك العضو بعينه وهذا من صدق المحبة وصفاء المودة فالمعنى الاول يفهم انك لا تشتكى واصبرى فبي من الوجع مثل مابك فتاسي بي في الصبر وعدم الشكوى والمعنى الثاني يفهم اعلامها بصدق محبته لها اى انظرى قوة محبتي لك كيف واسيتك فى المك ووجع راسك فلم تكونى متوجعة وانا سليم من الوجع بل يولمنى ما يولمك كما يسرني ما يسرك كما قيل * وان اولى البرايا ان تواسيه * عند السرور الذي واساك في الحزن * * واما الشكوى * فالاخبار العارى عن القصد الصحيح بل يكون مصدره السخط وشكاية المبتلى الى غيره فان شكا اليه سبحانه وتعالى لم يكن ذلك شكوى بل استعطاف وتملق واسترحام له كقول ايوب رب اني مسنى الضر وانت ارحم الراحمين * وقول يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله * وقول موسى اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بك وقول سيد ولد ادم اللهم اليك اشكو ضعف قوتى وقلة حيلتي وهوانى على الناس انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمنى او الى عدو ملكته امرى ان لم يكن بك غضب علي فلا ابالى غير ان عافيتك اوسع لى اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة ان يحل علي غضبك او ينزل بى سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك * فالشكوى الى الله سبحانه لا تنافي الصبر بوجه فان الله تعالى قال عن ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب * مع اخباره عنه

بالشكوى

بالشكوى اليه في قوله مسني الضر واخبر عن نبيه يعقوب انه وعد من نفسه بالصبر الجميل والنبي اذا قال وفى مسمع قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله ولم يجعل ذلك نقصا لصبره ولا يلتفت الى غير هذا من ترهات القوم كما قال بعضهم لما قال مسني الضر قال تعالى انا وجدناه صابرا ولم يقل صبورا حيث قال مسني الضر وقال بعضهم لم يقل ارحمني وانما قال انت ارحم الراحمين فلم يزد على الاخبار بحاله ووصف ربه وقال بعضهم انما شكا مس الضرحين ضعف لسانه عن الذكر فشكا مس ضر ضعف الذكر لا ضر المرض والالم وقال بعضهم استخرج منه هذا القول ليكون قدوة للضعفاء من هذه الامة وكان هذا القائل رأى ان الشكوى الى الله تنافي الصبر وغلط اقبح الغلط فالمنافي للصبر شكواه لا الشكوى اليه فالله يبتلي عبده ليسمع تضرعه ودعاءه والشكوى اليه ولا يحب التجلد عليه واحب ما اليه انكسار قلب عبده بين يديه وتذلله له واظهار ضعفه وفاقته وعجزه وقلة صبره فاحذر كل الحذر من اظهار التجلد عليه وعليك بالتضرع والتمسكن وابداء العجز والفاقة والذل والضعف فرحمته اقرب الى هذا القلب من اليد للفم *

فصل

وهذا باب من الفروق مطول ولعل ان ساعد القدر ان نفرد فيه كتابا كبيرا وانما نبهنا بما ذكرنا على اصوله واللبيب يكتفي ببعض ذلك والدين كله فرق وكتاب الله فرقان ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس ومن

اتقى الله جعل له فرقانا يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
وسمى يوم بدر يوم الفرقان لانه فرق بين اولياء الله واعدائه فالهدى كله
فرقان والضلال اصله الجمع كما جمع المشركون بين عبادة الله وعبادة الاوثان
ومحبته ومحبة الاوثان وبين ما يحبه ويرضاه وبين ماقدره وقضاه
فجعلوا الامر واحدا واستدلوا بقضائه وقدره على محبته ورضاه وجمعوا
بين الربا والبيع فقالوا انما البيع مثل الربا وجمعوا بين المذكى والميتة وقالوا
كيف ناكل ماقتلنا ولا ناكل ماقتل الله وجمع المنسلخون عن الشرائع بين
الحلال والحرام فقالوا هذه المرأة خلقها الله وهذه خلقها وهذا الحيوان
خلقه وهذا خلقه فكيف يحل هذا ويحرم هذا وجمعوا بين اولياء الرحمن
واولياء الشيطان وجاءت طائفة الاتحادية فطموا الوادى على القرى
وجمعوا الكل في ذات واحدة وقالوا هي الله الذى لا اله الا هو وقال
صاحب فصوصهم وواضع نصوصهم واعلم أن الامر قرآنا لا فرقانا

ما الامر الا نسق واحد * ما فيه من مدح ولا ذم
وانما العادة قد خصصت * والطبع والشارع بالحكم

والمقصود ان ارباب البصائر هم اصحاب الفرقان فاعظم الناس فرقانا
بين المشتبهات اعظم الناس بصيرة والتشابه يقع في الاقوال والاعمال
والاحوال والاموال والرجال وانما اتى اكثر اهل العلم من المتشابهات
في ذلك كله ولا يحصل الفرقان الا بنور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده
يرى في ضوئه حقائق الامور ويميز بين حقها وباطلها وصحيحها وسقيمها

الرد على الطائفة الاتحادية في مقولة الاتحاد وذكر فصوصهم وواضع نصوصهم

ومن

ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور * ولا تستطل هذا الفصل فلعله من انفع فصول الكتاب والحاجة اليه شديدة فان رزقك الله فيه بصيرة خرجت منه الى فرقان اعظم منه وهو الفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد المعطلين والفرق بين تنزيه الرسل وتنزيه اهل التعطيل والفرق بين اثبات الصفات والعلو والتكلم والتكليم حقيقة وبين التشبيه والتمثيل والفرق بين تجريد التوحيد العملي الارادي وبين هضم ارباب المراتب مراتبهم التي انزلهم الله اياها والفرق بين تجريد متابعة المعصوم وبين اهدار اقوال العلماء والغائها وعدم الالتفات اليها والفرق بين تقليد العالم وبين الاستضاءة بنور علمه والاستعانة بفهمه والفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان والفرق بين الحال الايماني الرحماني والحال الشيطاني الكفري والحال النفساني والفرق بين الحكم المنزل الواجب الاتباع على كل احد والحكم المأول الذي نهايته ان يكون جائز الاتباع عند الضرورة ولا درك على مخالفه *

فصل

ونحن نختم الكتاب باشارة لطيفة الى الفروق بين هذه الامور اذ كل فرق منها يستدعي بسطه كتابا كبيرا * فالفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد المعطلين * ان توحيد الرسل اثبات صفات الكمال لله على وجه التفصيل وعبادته وحده لا شريك له فلا يجعل له ندا في قصد ولا حب ولا خوف ولا رجاء ولا لفظ ولا حلف ولا نذر بل يرفع العبد الانداد

له من قلبه و قصده ولسانه و عبادته كما انها معدومة في نفس الامر لا وجود لها البتة فلا يجعل لها وجودا في قلبه ولا لسانه * واما توحيد المعطلين * فنفي حقائق اسمائه وصفاته وتعطيلها ومن امكنه منهم تعطيلها من لسانه عطلها فلا يذكرها ولا يذكر اية تتضمنها ولا حديثا يصرح بشيء منها ومن لم يمكنه تعطيل ذكرها سطا عليها بالتحريف ونفي حقيقتها وجعلها اسما فارغا لا معنى له او معناه من جنس الالغاز والاحاجي على ان من طرد تعطيله منهم علم انه يلزمه في ما حرف اليه النص من المعنى نظير ما فر منه سواء فان لزم تمثيل او تشبيه او حدوث في الحقيقة لزم في المعنى الذي حمل عليه النص وان لا يلزم في هذا فهو اولى ان لا يلزم في الحقيقة فلما علم هذا لم يمكنه الا تعطيل الجميع فهذا اطرد لاصل التعطيل والفرق اقرب منه ولكنه مناقض يتحكم بالباطل حيث اثبت لله بعض ما اثبته لنفسه ونفى عنه البعض الاخر واللازم الباطل فيهما واحد واللازم الحق لا يفرق بينهما والمقصود انهم سموا هذا التعطيل توحيدا وانما هو الحاد في اسماء الرب تعالى وصفاته وتعطيل لحقائقها *

فصل

والفرق بين تنزيه الرسل وتنزيه المعطلة * ان الرسل * نزهوه سبحانه عن النقائص والعيوب التي نزه نفسه عنها وهي المنافية لكماله وكمال ربوبيته وعظمته كالسنة والنوم والغفلة والموت واللغوب والظلم وارادته والتسمي به والشريك والصاحبة والظهير والولد والشفيع بدون اذنه

وان يترك عباده سدى هملا وان يكون خلقهم عبثا وان يكون خلق السموات والارض ومابينهما باطلا لا لثواب ولا عقاب ولا امر ولا نهي وان يسوي بين اوليائه واعدائه وبين الابرار والفجار وبين الكفار والمؤمنين وان يكون في ملكه مالا يشاء وان يحتاج الى غيره بوجه من الوجوه وان يكون لغيره معه من الامر شيء وان يعرض له غفلة او سهو او نسيان وان يخلف وعده اوتبدل كلماته اويضاف اليه الشر اسما اووصفا اوفعلا بل اسماؤه كلها حسنى وصفاته كلها كمال وافعاله كلها خير وحكمة ومصلحة فهذا تنزيه الرسل لربهم * واما المعطلون * فنزهوه عما وصف به نفسه من الكمال فنزهوه عن ان يتكلم او يكلم احدا ونزهوه عن استوائه على عرشه وان ترفع اليه الايدي وان يصعد اليه الكلم الطيب وان ينزل من عنده شيء او تعرج اليه الملائكة والروح وان يكون فوق عباده وفوق جميع مخلوقاته عاليا عليها ونزهوه ان يقبض السموات بيده والارض باليد الاخرى وان يمسك السموات على اصبع والارض على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع ونزهوه ان يكون له وجه وان يراه المؤمنون بابصارهم في الجنة وان يكلمهم ويسلم عليهم ويتجلى لهم ضاحكا وان ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول من يستغفرني فاغفر له من يسألني فاعطيه فلا نزول عندهم ولا قول ونزهوه ان يفعل شيئا لشيء بل افعاله لا لحكمة ولا لغرض مقصود ونزهوه ان يكون تام المشيئة نافذ الارادة بل يشاء الشيء ويشاء عباده خلافه فيكون ما شاء

العبـد دون ماشاء الرب و لايشاء الشيء فيكون مالايشاء و يشاء مالايكون و سموا هذا عدلا كما سموا ذلك التنزيه توحيدا ونزهوه عن ان يحب او يحب و نزهوه عن الرافة والرحمة و الغضب والرضا و نزهه آخرون عن السمع و البصر وآخرون عن العلم و نزهه اخرون عن الوجود فقالوا الذى فراليه هولاء المنزهون من التشبيه والتمثيل يلزمنا فى الوجود فيجب علينا ان ننزهه عنه فهذا تنزيه الملحدين والاول تنزيه المرسلين *

فصل

و الفرق بين اثبات حقائق الاسماء و الصفات و بين التشبيه والتمثيل ماقاله الامام احمد و من وافقه من ائمة الهدى ان التشبيه والتمثيل ان تقول يد كيدى او سمع كسمعى او بصر كبصرى و نحو ذلك واما اذا قلت سمع وبصر و يد ووجه واستواء لايماثل شيئا من صفات المخلوقين بل بين الصفة و الصفة من الفرق كما بين الموصوف و الموصوف فاي تمثيل ههنا واي تشبيه لولا تلبيس الملحدين فمدار الحق الذى اتفقت عليه الرسل على ان يوصف الله بما وصف به نفسه و بما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل اثبات الصفات و نفى مشابهة المخلوقات فمن شبه الله بخلقه فقد كفر و من جحد حقائق ما وصف الله به نفسه فقد كفر و من اثبت له حقائق الاسماء و الصفات و نفى عنه مشابهة المخلوقات فقد هدي الى صراط مستقيم *

فصل فى الفرق بين حقائق الاسماء و الصفات و بين التشبيه و التمثيل

فصل

والفرق بين تجريد التوحيد وبين هضم ارباب المراتب * ان تجريد التوحيد * ان لا يعطي المخلوق شيئا من حق الخالق وخصائصه فلا يعبد ولا يصلي له ولا يسجد ولا يحلف باسمه ولا ينذر له ولا يتوكل عليه ولا يوله ولا يقسم به على الله ولا يعبد ليقرب الى الله زلفى ولا يساوي برب العالمين في قول القائل ما شاء الله وشئت وهذا منك ومن الله وانا بالله وبك وانا متوكل على الله وعليك والله لي في السماء وانت في الارض وهذا من صدقاتك وصدقات الله وانا تائب الى الله واليك وانا في حسب الله وحسبك فيسجد للمخلوق كما يسجد المشركون لشيوخهم ويحلق رأسه له ويحلف باسمه وينذر له ويسجد لقبره بعد موته ويستغيث به في حوائجه ومهماته ويرضيه بسخط الله ولا يسخطه في رضاء الله ويتقرب اليه اعظم مما يتقرب الى الله ويحبه ويخافه ويرجوه اكثر مما يحب الله ويخافه ويرجوه او يساويه فاذا هضم المخلوق خصائص الربوبية وانزله منزلة العبد المحض الذي لا يملك لنفسه فضلا عن غيره ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياتا ولا نشورا لم يكن هذا تنقصا له ولا حطا من مرتبته ولو رغم المشركون وقد صح عن سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه انه قال لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم فانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله * وقال ايها الناس ما احب ان ترفعوني فوق منزلتي * وقال لا تتخذوا قبري عيدا * وقال اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد * وقال لا تقولوا

ماشاء الله وشاء محمد* وقال له رجل ماشاء الله وشئت فقال اجعلتني لله
ندا وقال له رجل قد اذنب اللهم اني اتوب اليك ولا اتوب الى محمد
فقال عرف الحق لاهله وقد قال الله له ليس لك من الامر شيء وقال قل
ان الامر كله لله وقال قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ماشاء الله
وقال قل اني لا املك لنفسي ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله احد
ولن اجد من دونه ملتحدا* اي لن اجد من دونه من التجيء اليه واعتمد عليه
وقال لابنته فاطمة وعمه العباس وعمته صفية لا املك لكم من الله
شيئا* وفي لفظ في الصحيح لا اغني عنكم من الله شيئا* فعظم ذلك
على المشركين بشيوخهم والهتهم وابوا ذلك كله وادعوا الشيوخهم ومعبودهم
خلاف هذا كله وزعموا ان من سلبهم ذلك فقد هضمهم مراتبهم
وتنقصهم وقد هضموا جانب الالهية غاية الهضم وتنقصوه فلهم نصيب
وافر من قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون
بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون*

فصل

والفرق بين تجريد متابعة المعصوم صلى الله عليه وسلم واهدار اقوال
العلماء والغائها* ان تجريد المتابعة* ان لا تقدم على ماجاء به قول احد
ولا رأيه كائنا من كان بل تنظر في صحة الحديث اولا فاذا صح لك نظرت في
معناه ثانيا فاذا تبين لك لم تعدل عنه ولو خالفك من بين المشرق والمغرب
ومعاذ الله ان تتفق الامة على مخالفة ماجاء به نبيها بل لابد ان يكون في الامة

من قال به ولو لم تعلمه فلا تجعل جهلك بالقائل به حجة على الله ورسوله
بل اذهب الى النص ولا تضعف واعلم انه قد قال به قائل قطعا ولكن
لم يصل اليك هذا مع حفظ مراتب العلماء وموالاتهم واعتقاد حرمتهم
وامانتهم واجتهادهم في حفظ الدين وضبطه فهم دائرون بين الاجر
والاجرين والمغفرة ولكن لا يوجب هذا اهدار النصوص وتقديم
قول الواحد منهم عليها الشبهة انه اعلم بها منك فان كان كذلك فمن ذهب
الى النص اعلم به منك فهلا وافقته ان كنت صادقا فمن عرض اقوال
العلماء على النصوص ووزنها بها وخالف منها ما خالف النص لم يهدر
اقوالهم ولم يهضم جانبهم بل اقتدى بهم فانهم كلهم امروا بذلك فمتبعهم
حقا من امتثل ما اوصوا به لا من خالفهم فخلافهم في القول الذي جاء
النص بخلافه اسهل من مخالفتهم في القاعدة الكلية التي امروا ودعوا
اليها من تقديم النص على اقوالهم ومن هنا يتبين الفرق بين تقليد العالم في
كل ما قال وبين الاستعانة بفهمه والاستضاءة بنور علمه فالاول ياخذ
قوله من غير نظر فيه ولا طلب لدليله من الكتاب والسنة بل يجعل
ذلك كالحبل الذي يلقيه في عنقه يقلده به ولذلك سمي تقليدا بخلاف
من استعان بفهمه واستضاء بنور علمه في الوصول الى الرسول
صلوات الله وسلامه عليه فانه يجعلهم بمنزلة الدليل الى الدليل الاول
فاذا وصل اليه استغنى بدلالته عن الاستدلال بغيره فمن استدل بالنجم
على القبلة فانه اذا شاهدها لم يبق لاستدلاله بالنجم معنى قال الشافعي

اجمع الناس على ان من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له ان يدعها لقول احد *

فصل

والفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان * ان اولياء الرحمن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * هم الذين امنوا وكانوا يتقون وهم المذكورون في اول سورة البقرة الى قوله هم المفلحون وفي وسطها في قوله ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر الى قوله اولائك الذين صدقوا واولائك هم المتقون * وفى اول الانفال الى قوله لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم * وفي اول سورة المؤمنين الى قوله هم فيها خالدون وفى آخر سورة الفرقان وفي قوله ان المسلمين والمسلمات الى آخر الاية وفي قوله الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون * وفي قوله ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولائك هم الفائزون * وفى قوله الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون الى قوله في جنات مكرمون * وفي قوله التائبون العابدون الحامدون الى اخر الاية فاولياء الرحمن هم المخلصون لربهم المحكمون لرسوله في الحرم والحل الذين يخالفون غيره لسنته ولا يخالفون سنته لغيرها فلا يبتدعون ولا يدعون الى بدعة ولا يتحيزون الى فئة غير الله ورسوله واصحابه ولا يتخذون دينهم لهوا ولعبا ولا يستحبون سماع الشيطان على سماع القران ولا يوثرون صحبة الافتان (١) على مرضاة الرحمن

(١) هكذا او لعله الانتان

ولا المعازف

ولا المعازف والمثانى على السبع المثاني *

بر ئنا الى الله من معشر * بهم مرض مورد للضنا

وكم قلت يا قوم انتم على * شفا جرف من سماع الغنا

فلما استهانوا بتنبيهنا * تركناغويا وماقد جنا

وهل يستجيب لداعي الهدى * غوى اصار الغناد يدنا

فعشنا على ملة المصطفى * وماتوا على تانا تنتنا

ولا يشتبه اولياء الرحمن باولياء الشيطان الاعلى فاقد البصيرة والايمان وانى يكون المعرضون عن كتابه وهدي رسوله وسنته المخالفون له الى غيره اولياءه وقد ضربوا لمخالفته جاشا وعدلوا عن هدى نبيه وطريقته وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون فاولياء الرحمن المتلبسون بما يحب ووليهم الداعون اليه المحاربون لمن خرج عنه واولياء الشيطان المتلبسون بما يحبه وليهم قولا وعملا يدعون اليه ويحاربون من نهاهم عنه فاذا رايت الرجل يحب السماع الشيطاني ومؤذن الشيطان واخوان الشياطين ويدعو الى مايحبه الشيطان من الشرك والبدع والفجور علمت انه من اوليائه فان اشتبه عليك فاكشفه فى ثلاثة مواطن فى صلاته ومحبته للسنة واهلها ونفرته عنهم ودعوته الى الله ورسوله وتجريد التوحيد والمتابعة وتحكيم السنة فزنه بذلك لا بزنه بحال ولا كشف ولا خارق ولو مشى على الماء وطار فى الهواء *

فصل

وبهذا يعلم الفرق بين الحال الايماني والحال الشيطاني * فان الحال الايماني * ثمرة المتابعة للرسول والاخلاص في العمل وتجريد التوحيد ونتيجته منفعة المسلمين في دينهم ودنياهم وهو انما يصح بالاستقامة على السنة والوقوف مع الامر والنهي * والحال الشيطاني * نسبته اما شرك او فجور وهو ينشأ من قرب الشياطين والاتصال بهم ومشابهتهم وهذا الحال يكون لعباد الاصنام والصلبان والنيران والشيطان فان صاحبه لما عبد الشيطان خلع عليه حالا يصطاد به ضعفاء العقول والايمان ولا اله الا الله كم هلك بهؤلاء من الخلق ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فكل حال خرج صاحبه عن حكم الكتاب وما جاء به الرسول فهو شيطاني كائنا ما كان وقد سمعت باحوال السحرة وعباد النار وعباد الصليب وكثير ممن ينتسب الى الاسلام ظاهرا وهو بريء منه في الباطن له نصيب من هذا الحال بحسب موالاته للشيطان ومعاداته للرحمن وقد يكون الرجل صادقا ولكن يكون ملبوسا عليه بجهله فيكون حاله شيطانيا مع زهد وعبادة واخلاص لكن لبس عليه الامر لقلة علمه بامور الشياطين والملائكة وجهله بحقائق الايمان وقد حكى هؤلاء وهؤلاء من لبس منهم بل هو مشتبه صاحب مخاييل ومخاريق ووقع الناس في البلاء بسبب عدم التمييز بين هؤلاء وهؤلاء فحسبوا كل سوداء تمرة وكل بيضاء شحمة والفرقان اعزما في هذا العالم وهو نور يقذفه الله

في القلب يفرق به بين الحق والباطل ويزن به حقائق الامور خيرها وشرها وصالحها وفاسدها فمن عدم الفرقان وقع ولابد في اشراك الشيطان فالله المستعان وعليه التكلان *

فصل

فصل في الفرق بين الحكم المنزل الواجب الاتباع والحكم المأول الذي غايته ان يكون جائز الاتباع

والفرق بين الحكم المنزل الواجب الاتباع والحكم المأول الذي غايته ان يكون جائز الاتباع * ان الحكم المنزل * هو الذي انزله الله على رسوله وحكم به بين عباده وهو حكمه الذي لا حكم له سواه * واما الحكم المأول * فهو اقوال المجتهدين المختلفة التي لا يجب اتباعها ولا يكفر ولا يفسق من خالفها فان اصحابها لم يقولوا هذا حكم الله ورسوله بل قالوا اجتهدنا برأينا فمن شاء قبله ومن شاء لم يقبله ولم يلزموا به الامة بل قال ابو حنيفة هذا رأيي فمن جاءنا بخير منه قبلناه * ولو كان هو عين حكم الله لما ساغ لابي يوسف ومحمد وغيرهما مخالفته فيه وكذلك مالك استشاره الرشيد ان يحمل الناس على ما في الموطأ فمنعه من ذلك وقال قد تفرق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في البلاد وصار عند كل قوم علم غير ما عند الاخرين * وهذا الشافعي ينهى اصحابه عن تقليده ويوصيهم بترك قوله اذا جاء الحديث بخلافه * وهذا الامام احمد ينكر على من كتب فتاواه ودونها ويقول لا تقلدني ولا تقلد فلانا ولا فلانا وخذ من حيث اخذوا * ولو علموا رضي الله عنهم ان اقوالهم يجب اتباعها لحرموا على اصحابهم مخالفتهم ولما ساغ لاصحابهم ان يفتوا بخلافهم في شيء ولما كان احدهم

يقول القول ثم يفتي بخلافه فيروى عنه في المسئلة القولان والثلاثة واكثر من ذلك فالرأي والاجتهاد احسن احواله ان يسوغ اتباعه والحكم المنزل لا يحل لمسلم ان يخالفه ولا يخرج عنه * واما الحكم المبدل وهو الحكم بغير ما انزل الله فلا يحل تنفيذه ولا العمل به ولا يسوغ اتباعه وصاحبه بين الكفر والفسوق والظلم والمقصود التنبيه على بعض احوال النفس المطمئنة واللوامة والامارة وما تشترك فيه النفوس الثلاثة وما يتميز به بعضها من بعض وافعال كل واحدة منها واختلافها ومقاصدها ونياتها وفي ذلك تنبيه على ما وراءه وهي نفس واحدة تكون امارة تارة ولوامة اخرى ومطمئنة اخرى واكثر الناس الغالب عليهم الامارة واما المطمئنة فهي اقل النفوس البشرية عددا واعظمها عند الله قدرا وهي التي يقال لها ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي والله سبحانه وتعالى المسئول المرجو الاجابة ان يجعل نفوسنا مطمئنة اليه * عاكفة بهمتها عليه * راهبة منه راغبة فيما لديه وان يعيذنا من شرور انفسنا وسيات اعمالنا وان لا يجعلنا ممن اغفل قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا ولا يجعلنا من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا انه سميع الدعاء واهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل *

تم طبع هذا الكتاب بعون الله الملك الوهاب في ثالث شهر رمضان سنة ۱۳۱۸ هجريه على صاحبها الف الف صلوة وتحية زكيه *

فهرس مضامين كتاب الروح

مضمون	ص

صحيفه	مضمون
٨٢	فصل في ان مذهب السلف ان الميت اذا مات يكون في نعيم او عذاب مع الروح والبدن
٨٣	فصل في ذكر احاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير
٩١	فصل في ان عذاب القبر حق باتفاق اهل السنة
٩٢	فصل في ان عذاب القبر ينال من هو مستحق له قبر او لم يقبر
٩٨	المسئلة السابعة في جواب الملاحدة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر ونعيمه وما يتعلق بهما
٩٩	ذكر الامور التي يعلم بها الجواب
ايضاً	الامر الاول
١٠٠	الامر الثاني
١٠١	الامر الثالث
١٠٣	الامر الرابع
١٠٥	الامر الخامس مع الامر السادس
١١٣	الامر السابع
١١٥	الامر الثامن
١١٧	الامر التاسع
١١٨	الامر العاشر
١٢٠	المسئلة الثامنة في انه ما الحكمة في عدم ذكر عذاب القبر في القرآن مع شدة الحاجة اليه
١٢٣	المسئلة التاسعة في الاسباب التي تعذب بها اصحاب القبور
١٢٧	المسئلة العاشرة في الاسباب المنجية من عذاب القبر
١٣٢	المسئلة الحادية عشر ان السوال في القبر هل هو عام في حق المسلمين والمنافقين والكفار او يختص بالمسلم والمنافق
١٣٩	المسئلة الثانية عشر في ان سوال منكر ونكير هل هو مختص بهذه الامة او يكون لها ولغيرها

المسئلة

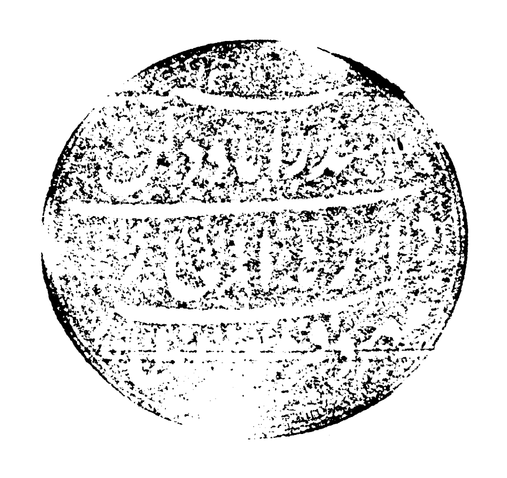
مضمون	صفحه

فصل

صفحة	مضمون

صفحه	مضمون

صفحه	مضمون
٤٠٩	فصل في الفرق بين الاحتياط والوسوسة
٤١٠	فصل في الفرق بين الهام الملك والقاء الشيطان
ايضا	فصل في الفرق بين الاقتصاد والتقصير
٤١١	فصل في الفرق بين النصيحة والتانيب
٤١٢	فصل في الفرق بين المبادرة والعجلة
٤١٣	فصل في الفرق بين الاخبار بالحال وبين الشكوى
٤١٥	فصل
٤١٦	الرد على الطائفة الاتحادية في مقولة الاتحاد وذكر فصوصهم وواضع نصوصهم
٤١٧	فصل في بيان الاشارة اللطيفة الى الفروق بين هذه الامور
٤١٨	فصل في الفرق بين تنزيه الرسل وتنزيه المعطلة
٤٢٠	فصل في الفرق بين حقائق الاسماء والصفات وبين التشبيه والتمثيل
٤٢١	فصل في الفرق بين تجريد التوحيد وبين هضم ارباب المراتب
٤٢٢	فصل في الفرق بين تجريد متابعة المعصوم صلى الله عليه وسلم واهدار اقوال العلماء والغائها
٤٢٤	فصل في الفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان
٤٢٦	فصل في الفرق بين الحال الايماني والحال الشيطاني
٤٢٧	فصل في الفرق بين الحكم المنزل الواجب الاتباع والحكم المأول الذى غايته ان يكون جائز الاتباع
٤٢٩	خاتمة الكتاب



خاتمة الطبع

قد نجز بحمد الله واعانته طبع كتاب الروح للحافظ شمس الدين ابي عبد الله محمد الشهير بابن قيم الجوزية الحنبلي الدمشقي قدس الله روحه ونور ضريحه ولعمري انه الكتاب جليل القدر والشان وسفر واضح الحجة والبرهان * فطوبى ثم طوبى لمؤلفه وجامعه * وبخ بخ لمقتنيه ومطالعه * وكان ذلك الطبع الفائق والوضع الرائق بمطبعة دائرة المعارف النظامية الزاهرة الكائنة بمدينة حيدر اباد الدكن العامره * قاعدة السلطنة الاسلامية الاصفية * في الاقطار الجنوبية الهندية * ابدها الله بالتائيد الى الابدية السرمدية * ووسع نطاقها الى ما كان في زمان الدول الاولى الاسلامية * في ايام مالكها العامر ربوع الفضل والمكارم * المشيد من دعائم المجد الاثيل امنع المعالم * مظفر الممالك فتح جنك نظام الدوله نظام الملك اصفجاه مير محبوب علي خان بهادر لازالت اعلام سلطنته خافقة على اعالي القنن * وايامه مقرونة بالاقبال على مر الزمن * ولابرحت بعنايته العلوم في ترق واقبال * والمعارف ساحبة على متن المجرة الاذيال * بحرمة النبي الامين سيدنا محمد والصحب والال * صلى الله عليهم وسلم بعدد دماء البحار والرمال * واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين * كتبه الراجي لطف ربه القوي العبد الضعيف الحسن بن احمد الحنفي مدير المطبعة عامله الله باحسانه * وافاض عليه هواطل امتنانه *

* آمين *

